مكتبة المحبة



بطل الأرثوذكسية العظيم

الأنبا ديوسقورس

البطريرك الخامس والعشرين

ويتخلل سيرة هذا القديس تاريخ المجامع التى لها علاقة بجهاده ومناقشة آرائها ونتائجها

تأليف

المتنيح القمص أرمانيوس حبشى البرماوى

الراهب السابق بدير السريان العامر

(طبعة ثانية)

مراجعة وتنقيح وتعليق

أرشيدياكون د. ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

بطل الأرثوذكسية العظيم
الأنبا ديوسقورس
البطريرك الخامس والعشرين

ويتخلل سيرة هذا القديس تاريخ المجامع التى لها علاقة بجهاده ومناقشة آرائها ونتائجها

تأليف

المتنيح القمص أرمانيوس حبشى البرماوى

الراهب بدير السريان العامر

(طبعة ثانية)

مراجعة وتنقيح وتعليق

دياكون د. ميخائيل [illegible]سي اسكندر

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٥/٥٥٣٢
الترقيم الدولي 9-0803-12-977

طبع بشركة هارموني للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)



صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقديم الكتاب

مؤلف هذا الكتاب من آباء دير السريان العامر طيب الذكر والعالم الكنسى ، وله عدة مؤلفات روحية نافعة .

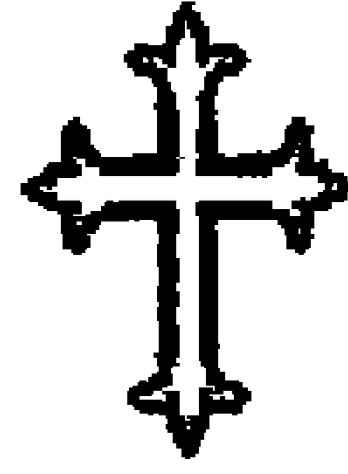
وهو يتناول شخصية البابا القديس الأنبا "ديوسقورس" (طبعة المحبة سنة ١٩٣٨) وكيف عانى من الظلم ومن الاضطهاد ، بسبب عوامل سياسية وأحقاد وصراعات دينية ونفسية وحروب روحية ، آثارها عدو الخير على هذه الشخصية المجاهدة ، فتم عقابه بدنيا . ثم نفيه ظلما ، وهو درس هام لكل نفس أمينة ، تطبق كلام الله ، فتنال رضاه حسب وعده : " كن أمينا إلى الموت ، فسأعطيك إكليل الحياة " (رؤ٢: ١٠) .

وهو أيضا بحث هام للدارسين ، ولمُحِبّى التاريخ المقدس . ونرجو أن يكون نافعا للكل ، بصلوات قداسة البابا شنودة الثالث ، وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة

الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** ، أسقف ورئيس دير الســـريان العامر ، والمشرف على هذه السلسلة مـــن الدراســات ، آمين .

دياكون د. ميخائيل مكسى اسكندر

الجيزة فى ٢٠٠٣/٦/٤ .



بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الكاتب

فى تاريخ الكنيسة القبطية صفحـــات ذهبيـــة تنطـــق سطورها بأعمال أحبارها الأبرار ، الذين تسلموا الرعايـــة من رئيس الرعاة الأعظم فأحســـنوها ، وتقلـــدوا إرشـــاد الشعب ، الذى أؤتمنوا عليـــه ، فقـــادوه إلـــى المراعـــى الخضراء ، وحفظوه من الذئاب الخاطفة ، وقد نالهم فـــى سبيل ذلك كل أنواع الأذى فاستعذبوها ، عالمين أن لـــهم فى السماء إكليلا لا يفنى ولا يضمحل .

وفى مقدمة أولئـــك الآبـــاء القديســين ، والأحبـــار المجاهدين ، ذلك الأب الجليل والحبر الأبـــر والمجـــاهد العظيم والقديس الحكيم :

الأنبا ديوسقورس بابا الإسكندرية الخامس والعشرين

ذلك القديس الذى اعتصم بصخرة الحق وصمد أمـــام مقاوميه ، يناضل ويجادل ويدافع ، ويترافع عن الإيمـــــان القويم ، بلا كلل ولا ملل . لم تُرهبه فـــي ذلـك سـطوة الملوك، ولا أخافته كثرة مقاومي الحق .

فقد حاولوا أولاً إغراءه بأنواع التكريم ، فلم يمل قلبـه عن الحق . وأرهبوه بسطوة الملوك فلم يتحّول عن إيمانـه القويم . وأنذرته بلخارية الراهبة الحانثة بعهدها – زوجـة الإمبراطور مرقيان – بأنها ستذيقه مُر العذابـات إذا لـم ينصع لأمرها ، فأخجلها بتذكيرّها بماحل بأمها الشـريرة من الأمراض المؤلمة ، جزاء ظلمها لذهبي الفم . فدفعـها الغيظ إلى صفعه وكسر أسنانه . كما أوعزت إلى الجنـد فتألبوا عليه وضربوه ونحلوا شعر لحيته . وفى هـذا لـم يتزحزح عن معتقده المستقيم .

وحاكموه في مجمع خلقدونية . وإذ لم يجـدوا عليـه علة ، حكموا عليه في غيابه، ونفذ الملك مرقيان رغبتـهم. فنفاه إلى جزيرة غاغرا . وأرسـلوا بدلـه دخيـلاً إلـى

الإسكندرية فلم يقبله شعبها . فنال الأقبـــاط بســـبب ذلـــك العذابات . ومع ذلك ظلوا ثابتين على صخـــــرة الإيمـــان الأرثوذكسي القويم .

هذا مُجمل حياة هذا البار ، وجندى المسيح المجاهد . ولأنها تعتبر دُرّة ثمينة فى تاج الكنيســـة القبطيـــة . فقـــد اجتهدت فى وضع تاريخ وافٍ عن حياة هذا البابا العظيـــم ضمّنتها خلاصة تاريخية عن الحالـــة الدينيـــة والمدنيـــة السابقة لعصر ديوسقورس كما أشرت فيه إلـــى مدرســـة الإسكندرية ، وفضلها على العالم أجمع . وعن المجـــامع المسكونية . ثم توسعت فـــى رحلـــة ديوســـقورس إلـــى القسطنطينية . ومن كان معه من الآباء القديســـين. ومـــا جرى فى مجمع أفسس الثانى .

وتاريخ حياة الملك ثاؤدوســـيوس (الكبـــير) التقـــى، واستشهاد التسعة وأربعين قديساً شـــيوخ شـــيهيت (وادى النطرون) وأفضت فى القـــول عمـــاجرى فـــى المجمـــع الخلقدونى . وعن الحوادث الدامية والمذابـــح الفظيعـــة ،

والتعذيبات الوحشية التــــى حلــت بشــعب الإســكندرية الأرثوذكسى .

كما أوردت كثيراً من أقوال آباء الكنيســـة القبطيـــة وعلمائها القديسين عن تعريف الاتحـــاد بيــن اللاهــوت والناسوت وكيفيته ، من كتب قديمـــة مخطوطــة تشــهد بتمسك الكنيسة القبطية بهذا الاعتقاد القويم ، منـــذ فجــر المسيحية إلى اليوم . وليساعد الدارسين والباحثين .

- وقد جعلته فى خمسة أقسام :

القسم الأول : الحوادث السابقة لبطريركية ديوسقورس .

القسم الثانى : أوطيخا وفلابيانوس ومجمع أفسس الثانى .

القسم الثالث : ديوسقورس فى القسطنطينية .

القسم الرابع : مجمع خلقدونية (٤٥١م) .

القسم الخامس : شهادة الكنيسة والتاريخ عن الاتحاد بيــن طبيعتى المسيح .

هذا وأسأل ربنا وإلهنا ومخلصنا يســوع المســيح أن يرعانى بعنايته ، حتى أقدم لكنيسته هذه الخدمة الصغـيرة،

سائلا منه تعالى أيضا أن يجعلها واسطة لنفع الدارسين. له المجد دائما أبديا ، آمين .

القمص أرمانيوس حبشى البرماوى

(مارس ١٩٣٨)

القسم الأول

الحوادث السابقة لبطريركية ديوسقورس على الكرسى المرقسى

الفصل الأول

الحالة الدينية والمدنية السابقة لبطريركية ديوسقورس

فى سنة ٣٧٨م ارتقى عرش الإمبراطورية الرومانية فى القسطنطينية ثاؤدوسيوس الكبير . وكان قوى الهمة صادق العزم نقى السيرة ، شديد التمسك بالإيمان الأرثوذكسى . ولذا فقد أفلح فى القضاء على البدعة الأريوسية ، كما حول البرابى (معابد الأوثان) إلى كنائس، وساعد فى بناء كنائس كثيرة – وخصوصا فى البلاد المصرية – أيام الأنبا ثاؤفيلس البابا الثالث والعشرين .

ومن ذلك أنه كان بجوار الدار البطريركية كوم كبير من التراب . وحدث أن البابا أثناسيوس الرسولى كان جالسا يوما فى حديقة كرسيه بالإسكندرية ، فتطلع إلى هذا الكوم وقال : " إن أعطانى الرب عُمراً ، بنيت مكانه كنيسة ، ووضعت فيها رفات القديسين العظيمين أليشع ويوحنا المعمدان " (اللذان جئ بهما للإسكندرية) .

ولما شرع البابا ثاؤفيلس فى إزالة هذا الكوم ، عثر على كنز يرجع تاريخه إلى عصر الإسكندر المقدونى . فأخبر القيصر ثاؤدوسيوس بذلك ، فصرح له بصرفه فى بناء الكنائس . ونفذ البابا رغبته . وكان من ضمن الكنائس التى شيدها كنيسة للقديسين أليشع ويوحنا المعمدان فى مكان الكوم المذكور . وهى المعروفة اليوم بجامع النبى دانيال ، بالقرب من الكنيسة المرقسية بالإسكندرية .

وكان البابا ثاؤفيلس أبا عالما ومحبا للعلم كما كانت الأديرة القبطية فى أيامه زاخرة بالرهبان العلماء

والقديسين الأبرار . وتــــرددبأرجـــاء الوديـــان أصـــداء صلواتهم المليئة بالنسك والطهارة . كما أنها كانت معـــاهد علمية للعلم والفضيلة . ولذلك فإن كيرلس ابن أخت البابـــا ثاؤفيلس ، بعد أن تفقه فى مدرسة الإســـكندرية الشـــهيرة وحصل على الشهادة النهائية ، أوفده خاله إلــــى الأديــرة بوادى النطرون . وهناك تتلمذ على يد القديس ســرابيون ، ولحدة ذكائه ، فقد درس العلوم الكنسية واللاهوتية العاليـــة فى فترة وجيزة . وعاد إلى خاله مقترنا بـــالعلم العـــالى ، والتقوى الكاملة . فجعله له تلميذا ، وكلفه بالوعظ والتعليم فى كنيسة البطريركية بالإسكندرية .

أما القيصر ثاؤدوسيوس فإنـــــه قــد رُزِق ولديــن : أنوريوس وأركاديوس ، وقد استقدم العلامـــة أرســـانيوس لتعليمهما[1] . ولما توفى فى ١٧ يناير سنة ٣٩٥ انقســـمت

---

(١) وهو الذى قد ترهب بوادى النطرون بعدئذ ، وصار من القديســـين العظام . وراجع تفاصيل سيرته فى كتابنا : " بستان القديسين " ، وكتابنا: " قديسو مصر " ، وكتابنا " القديسون المصريون " .

مملكته إلى شطرين أختص أنوريـــوس بالقســـم الغربـــى وأركاديوس بالقسم الشرقى . ولما بلغ أركاديوس رشـــده تزوج بافدوكسيا إبنة أحد القواد . وبقدر ما كان عليه مـــن وهن العزيمة والتقلقل فى الرأى، كانت زوجته على جانب عظيم من الدهاء والغطرسة . ولذا فإنها قد أذاقت القديـــس يوحنا ذهبى الفم العذابات الأليمة عندما ندد بظلمها .

ولما تنيح الأنبا ثاؤفيلس خلفه على كرسى الكـــرازة المرقسية القديس كيرلس (عمود الديـــن) وكـــان فـــارس الميدان فى مجمع أفسس الذى عُقِـــد لمحاكمـــة نســـطور بطريرك القسطنطينية . فقد ترأس هذا البابـــا المجمـــع ، وفند ببلاغته بدعة نسطور ، لما ذهب البابا كيرلس إلـــى أفسس بصحبة القديـــس العظيـــم الأنبـــا شـــنودة رئيـــس المتوحدين . وقد أدهش هذا القديس جميع من رآه بأفســـس بغزارة علمه وشدة غيرته على الإيمان الأرثوذكسى القويم (السليم) .

وكان مع البابا كيرلس أيضا فى هذا المجمع تلميـــذه ديوسقورس مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية المرقسية . الذى خلفه على العرش المرقسى (٤٤٤- ٤٥٧م) .

+ + +

الفصل الثانى

ديوسقورس

إن نشأة ديوسقورس غير معروفة لنـــا كمـــا لغيرنـــا أيضا . والذى نقطع به هو أن ديوســـــقورس ، قـــد وُلِـــد بالإسكندرية وبها نشأ . وتلقى العلم بمدرستها اللاهوتيـــــة الشهيرة . وأعجب به القديس كـــيرلس بابـــا الإســـكندرية الرابع والعشرون (عمود الدين) فجعله سكرتيراً خاصاً له.

وكان لما دخلت المسيحية مصر ، وأنشئت مدرســـــة الإسكندرية المسيحية ، دار نقاش شديد وجدال عنيف بيـــن أساتذتها وأساتذة المدرسة الوثنية . جعل الأولين يتعمقـــون فى دراسة الفلسفة اليونانية ، حتى أنهم قد تغلبـــــوا علــــى

خصومهم وأفحموهم بما اقتبسوه من قياساتها المنطقية ، لاسيما وأنه لما كانت الأناجيل والرسائل قد كتبت باللغة اليونانية ، فهذا كان الباعث الأقوى لدراسة اللغة اليونانية دراسة تمكنهم من قراءة العهد الجديد . أما العهد القديم فقد كان عندهم من ذى قبل ، حيث أمر بطليموس بترجمته إلى اليونانية تلك الترجمة المعروفة بالسبعينية .

ولقد بلغ من كثرة تعمقهم فى اللغة اليونانية وكثرة كُتابهم بها أن ادعى البعض أن لاهوتى الكنيسة القبطية كانوا إلى أواخر القرن الخامس يونانى الجنس . ولكن الدلائل التاريخية تكذب زعمهم هذا . فقد جاء في ص ٢٥ من كتاب " برهان الكنيسة الشرقية " الذى طبعه خريجو مدرسة اليونان بمدينة رومة سنة ١٧٠٢م ما يأتى :

" إنما دُعى الآباء الشرقيون يونانيين لأنهم كتبوا تأليفهم باللغة اليونانية . ونحن متأكدون من أن إغناطيوس وباسيليوس وأوريجانوس وغريغوريوس أسقف نيصص والنزيزى وصانع العجائب والذهبى الفم لم يكونوا من

جنس يونانى ، بل كان بعضهم سريانى وبعضهم بنطـــى وبعضهم قبطى " .

ولذلك نرى القديس إيرونيموس لا يدعوهم يونـــانيين بل " **كتبة اللغة اليونانية** " . وقال الفونسيوس ليكورى فى كتابه " تاريخ الهرطقات " ص ٤١ : " إن أوريجانس كـان مصرى الجنس " وقال بولس مسعد المارونى فـــى كتابـــه " الدر المنظوم " المطبـــوع ســـنة ١٨٦٣م ص ٣٠ " إن اثناسيوس كان يكتب باللغة اليونانية ، مع كونـــه قبطيـــا . والدليل على قبطيته أنه بعث برسالة – وهو فى رومـــا – إلى رهبان مصر بلغته ولغتهم القبطية التى لـــم يعرفـــوا غيرها[1] " .

" وعلى هذا لا أجد حرجا من القول بأن ديوســقورس قد وُلِد من عائلة قبطية كانت إقامتها فى حـــى يونـــانى . وألحقه والده بمدرسة اللغة اليونانية ، وهى لغتها الغاليـــة . وبعدها أدخله المدرسة اللاهوتيـــة المســـيحية . فـــدرس

---

(١) راجع " مختصر تاريخ الأمة القبطية " ج١ ص ٣٧٢ و ٤٤٢.

الفلسفة باللغة اليونانية . وتفقه فى العلوم اللاهوتية حتى استحق أن يختاره البابا كيرلس تلميذاً له .

+ + +

الفصل الثالث

مدرسة الإسكندرية

الحديث عن هذه المدرسة واسع الأطراف متعدد النواحى . ولا يتسع هذا المجال لاستيعاب التفصيل عنها بإسهاب . ولذلك سأوجز فى القول ما استطعت ، كى أضع أمام القارئ معلومة بسيطة . ولاستكمال البحث أريد أن أرجع بالقارئ إلى الخلف حتى نصل إلى مدينة عين شمس ، حيث نشاهد مدرستها ذات الشهرة الواسعة ، فنعرف منها أن العالم فى إبان ازدهار هذه المدرسة كان يتخبط فى ظلام الجهالات .

وتدلنا التواريخ الصادقة على أن علماء اليونان لم يُظهِروا بنات أفكارهم إلا من خِدر تلك المدرسة . ولم

يشرقوا على العالم بأنوار علومهم إلا بعد أن اقتبسوها من أشعتها الساطعة . وكان الكهنة هم القابضون على دفة العلم ، ولهم القول الفصل . والشعب طوع أمرهم ، مكان لهم المركز الرفيع فى جميع العلوم ، حتى قال عنهم هيرودتس المؤرخ : " إن مدارس الكهنة كانت منتشرة فى جميع أمهات المدن بمصر، وكان لهؤلاء مكانة سامية عند الرعية والملك " . وقال أفلاطون : " إن الجنس البشرى بأجمعه أسير إحسان القبط لأنهم علموه الكتابة والصناعة وفن الموسيقى " .

وقال شمبليون فيجاك : " كان كهنة القبط مصابيح يهتدى الناس بنورها ، حتى أن أوروبا التى بلغت شأوا بعيدا فى الحضارة ، لم تزل متطفلة على فتات موائد اليونان الذين هم أيضا تطفلوا فى أيامهم على بقايا موائد كهنة القبط " .

وقال بروكش باشا : " إن القبط تبحروا فى جميع العلوم ، وعلموا ما لم يعلمه الراسخون من علماء أوروبا

الآن . وكانت علومهم مدونة فى صحفهم ، محفوظة فـــى صدورهم ، منقوشة على هياكلهم ، فكانت واسطة لتـهذيب الأمة ، وبث روح الفضيلة فيها " . وجاء فى كتاب " العقد الثمين" (ص ٤) قول قبطى لصولون حكيم اليونان : " أنتم ياعلماء اليونان جميعكم تعدون عندنا من الفتيان ، ليـــس فيكم كهول فى الفضل ولا شيوخ فى الخبرة ، ولا من لــه فى المعارف قدم ثابته ولا رسوخ [١] " .

أما عن مدرسة عين شمس فلها كل الفضل فى تثقيف موسى النبى . حيث جاء عنه فـــى (أع ٧ : ٢) أنـــه قــد " تفقه بحكمة المصريين " . وقد بلغ عـــدد طلبتــها فـــى عصر " رمسيس الثالث " إثنى عشر ألف طالب[٢] .

أما العلوم التى كانت تُدرّس بها.وكانت كلها باللغـــــة القبطية فـــهى : (١) اللاهـــوت بفروعـــه . (٢) الفلســفة

---

(١) مختصر تاريخ الأمة القبطية ج١ ص ١٤١ و ١٤٢ .

(٢)مختصر تاريخ الأمة القبطية ج١ ص ١٧ .

وأقسامها . (٣) الطب . (٤) الصيدلة أو تحضير الأدوية. (٥) الفلك ورصده وفروعه ، كعلم الهيئة الذى يبحث فيه عن تركيب الأفلاك ، وكمية الكواكب ، وأقسام السبروج الخ . (٦) الرياضيات وفروعها كالهندسة والمبانى . (٧) الزيج وهو معرفة سعد ونحس الإنسان . (٨) التركيبات الكيماوية للمعادن . (٩) الحقوق وترتيب المحاكم والقضاة (١٠) الألحان والموسيقى والآت العزف الدينية والحماسية [1].

وظلت هذه المدرسة عامرة زاهرة بعلمائها الأفاضل حتى خرب قمبيز ملك الفرس مدينة عين شمس فى إغارته على مصر سنة ٥٢٧ ق.م .

ولما فتح الاسكندر البلاد المصرية وبنى مدينة الإسكندرية (٣٣٢ ق.م) واختص بطليموس أحد قواده بمصر فجعل الإسكندرية عاصمة ملكه . وكان شغوفا

---

(١) مجلة عين شمس سنة ١ عدد ١ .

بالعلم . فشيد بها مدرسة ومتحفا . وسلمها إلى ديمـتريوس الخطيب اليوناني ، بعدما جمع حوله عـــددا وافــرا مــن العلماء البارزين في سائر العلوم من أدب وفلسفة وفنون . وكان الأساتذة والطلبة يعيشون من أوقاف حبســت علــى هذه المدرسة . وكان يدَرّس بها الطب والجراحة والفلَــك والهندسة والفلسفة والقضاء (القانون) .

ثم خلفه ابنه بطليموس الثــاني فيلادلفــوس (٢٨٥-٢٤٧ ق.م) وسار على خطة أبيه في تقريب العلماء إليـــه وبذل الهمة في جمع الكتب . وأمر بترجمة التــوراة مــن العبرانية إلى اليونانية . وكلف مانيتون عظيم كهنة عيــن شمس بوضع تاريخ لمصـــر ، يعتــبر الآن مــن أوثــق المصادر . ومما يدعو إلى الأسف أن هذا السفر قد فُقِـــد ولم يبق منه إلا ما اقتطفه ، بعض العلماء الأقدمين .

وكان بهذه المدرسة ٧٠٠ ألف مجلد . وقيـــل ٤٠٠ ألف . حُرِقت كلها من شرر تطاير مـــن النـيران التــى أشعلها يوليوس قيصر في أسطوله خوفاً من وقوعه فـــى

أيدى أعدائه . وكان ذلك نحو سنة ٤٨ قبل الميلاد . غير أن هذه المدرسة قد عوضت عن الذى حرق منها بالكتب التى وهبها مرقس انطونيوس لكليوباترا ، بعد استيلائه على آسيا وبلاد اليونان سنة ٤٢ ق.م وعددها مائتى ألف مجلد، كان قد جمعها ملوك برغامس[١] (فى آسيا الصغرى) حيث أرادوا منافسة مدرسة الإسكندرية .

وقد بدأ نجم هذه المدرسة يختفى من أيام استيلاء الرومان على مصر سنة ٣٠ ق.م.

ولما أتى القديس مرقس الرسول إلى الديار المصرية نادى بالمسيحية . وكان من أمره مع أنيانوس الإسكافى الذى آمن على يديه أنه سامه أسقفا وأقام معه اثنى عشر قسا . ثم أسس لهم مدرسة لاهوتية . واستشهد القديس مرقس فى ٣٠ برمودة سنة ٦٨م . تاركا إدارة هذه المدرسة للقديس يسطس . ولم يمض زمن طويل حتى

---

(١) حاول علماء برغامس صنع ورق يضارع ورق البردى المصرى ولم يفلحوا فاستنبطوا عمل الرق من جلد الحيوان وسمى بالورق البرغامي ومنه أخذ اسم الرق Parchemin فى اللغات الأجنبية .

أزهرت هذه المدرسة بالعلماء الأعلام . وكـــانت تـــدور بينهم وبين علماء المدرسة الوثنية مجادلات كثيرة انتـــهت باقتناع العلماء الوثنيين بالمبادئ المســـيحية فاعتنقوهـــا ، وانضموا إلى حظيرة المدرسة اللاهوتيـــة ، واســـتخدموا علومهم الفلسفية وقياستهم المنطقية في إثبات صحة قضايا الدين المسيحي.

واتسع نطاق هذه المدرسة ، وذاعت شهرتها وســطع نور تعاليمها حتى بلغ العالم ، وقصدها العلمـــاء الأعـــلام من مختلف الجهات . وكـــان مـــن رؤســـائها بـــانتينوس الصقلي ثم اقليمنضس الإسكندرى تلميذه فأوريجـــانوس . وفى أيام اقلمينضس وأوريجانوس اقتصر فى الكتابة علـــى الأبجدية اليونانية المأخوذة من المصرية أصلاً مع إضافـــة سبعة حروف ليست موجـــودة فـــى اليونانيـــة . وبذلـــك استطاعوا أن يترجموا الكتب المقدسة إلى اللغة القبطية .

ومن خريجى هذه المدرسة القديسون العظام والقطاحل الأعلام أليكسندروس وأثناسيوس الرسولى وكيرلس عمود الدين وديوسقورس بطل الأرثوذكسية ، وغيرهم ممن دافعوا عن الإيمان القويم دفاع الأبطال .

وبعد زمن خشى الوثنيون على دينهم من التلاشى فقام عالم منهم يسمى أمونيوس الصقاس ، وأنشأ مدرسة يعارض بها تعاليم المدرسة المسيحية . ولكنه لم يلبث قليلاً حتى اقتنع بصحة العقيدة المسيحية ، وأصبح من أعظم أنصارها ، وإليه يرجع الفضل فى وضع جداول اتفاق البشيرين[1] .

+ + +

الفصل الرابع

المجامع

كان بمدينة الإسكندرية قس يسمى أريوس ليبى الجنس . فصيح العبارة . وكان بليغاً فى الخطابة . وحدث أن أنحرف فى أحد الأيام عن جادة الإيمان القويم وأنكر

---

(١) Ammonius Saccas لقّب بالصقاس لأنه كان يشتغل في بادئ أمره حمالاً يحمل الزكائب فُدعَى بالصقاس Saccas (فلاماريون ١: ١٨٧ وقاموس الجغرافيا والتاريخ جزء أول) .

لاهوت الابن فقال : " كان الآب حيث لم يكن الابـــن " . وما بلغ قوله هذا مسامع القديس بطرس بابا الإســـكندرية الرابع عشر حتى انبرى لتفنيد تجديفه هذا . ولكن أريـوس لم ينصع للحق ، وتمادى في عناده . فحرمه البابا بطـوس (خاتم الشهداء) وفرزه من شركة الكنيسة .

ولما قبض والى الإسكندرية الوثنى على البابا بطرس وزجه فى السجن خشى أريوس أن يستشهد الأب بطـرس ويبقى هو فى حرمـــه . فوســط القســين اليكســندروس وأرشلاوس أن يسعيا لدى البابا فى حلّـــه مـــن حرمـــه . ولكنه أعاد حرمه . وتسلط الشيطان على عقـــل أريـــوس فأمعن فى كفره وهرطقته . وحظى الأب بطرس بـــإكليل الشهادة . ولبث أريوس يبث دعوته الكُفرية حتـــى تولـــى القديس اليكسندروس الكرسى المرقسى ، فطرد أريـــوس من الإسكندرية . فذهب إلى الملك قسطنطين الكبير وتظلم إليه من هذا الأب . فأمر الملك بعقد مجمـــع فـــى نيقيـــة برئاسة البابا اليكسندروس . فاجتمع هذا المجمع فى ســـنة ٣٢٥ م (٤١ش) وحكم بحرم وفرز أريوس .

ووضع هذا المجمع قانون الإيمان إلى قوله : " نؤمن بالروح القدس . " كما حدد أن يكون عيد القيامة بعد الفصح مباشرة ، وكلفوا بابا الإسكندرية بإذاعة منشور بطريركى بتحديد هذا اليوم فى كل عام . ووضع هذا المجمع عشرين قانونا حدد فى القانون السادس مركز الكراسى البطريركية بقوله حسب الترجمة القبطية : " يتم التمسك بالعادات الأولى حتى يكون أسقف الإسكندرية له الرئاسة على كل أساقفة مصر لأن هذه هى عادة أسقف رومية وأسقف إنطاكية وبقية الأبروشيات الخ " .

وعاد أعضاؤه إلى كراسيهم ، واطمأنت الكنيسة ، وسارت على حسن النظام ، حتى ظهرت بدعة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية ، حيث قال : " إن الروح القدس مخلوق " وشاعت هذه البدعة فى القسطنطينية ووصل خبرها إلى الآباء البطاركة فى ذاك الوقت ، فكتبوا له مبينين له فساد رأيه ، وطلبوا منه أن يرجع عن كفره فلم يذعن لهم . فاجتمع بالقسطنطينية مائة وخمسون أسقفا فى

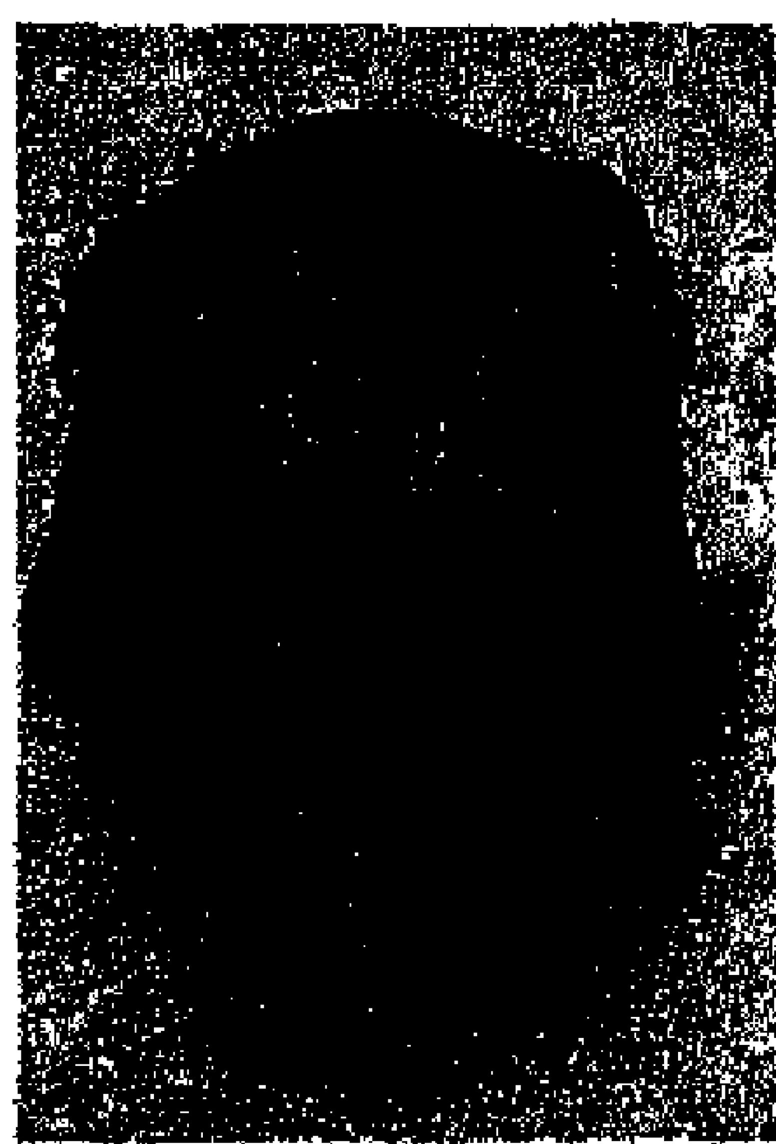
عهد الملك ثاؤدوسيوس الكبير ، وحرموا مقدونيوس وكل من يقول بقوله . وعينوا بدله القديس " غريغوريوس الثاؤلوغوس " (الناطق بالإلهيات) وأضاف هؤلاء الآباء على قانون الإيمان : من أول " ونؤمن بالروح القدس ، إلى آخر: وحياة الدهر الآتى ، آمين " . ثم حرموا كل من يُزيد على هذه الأمانة ، أو يُنقِص منها ، أو يضع مايضادها .

كما حرموا أبوليناريوس ، الذى قال إن جسد السيد المسيح بغير نفس ، وأن فى طبع اللاهوت ثلاث مراتب : عظيم وأعظم والأعظم !! .

وظهرت بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية الذى أنكر أن تدعى العذراء مريم " أم الله " . وبالأحرى قد فصل طبيعتى السيد المسيح الإلهية والإنسانية . معتقدا أنها قد ولدت إنسانا مجردا . وفيما بعد اتحد كلمة الله به . وصار يخطب فى أحد الأعياد بهذا التجديف من على المنبر . فافتتن بأقواله بعض الشعب . ووصل خبر هذه

البدعة إلى الآباء الإجلاء كيرلس بطريـــرك الإســـكندرية وكلستينوس بطريرك رومية ويوحنا بطريـــرك إنطاكيـــة ويوبيناليوس أسقف أورشليم . فكتبوا إلى بعضــــهم عمــا سمعوه عن نسطور . ثم كتبوا له ، فلم يلتفت إلى أقوالــهم. فاضطروا إلى إحاطة الملك ثاؤدوسيوس الصغــير علمــا بذلك ، فأمر بعقد مجمع . فاجتمع بمدينـــة أفســس مائتــا أسقف (٤٣١) . وأوضحوا لنسطور ضلاله وفساد معتقــده فلم يذعن للحق . وإذ لم يقبل الرجوع عن رأيه قطعوه من الكهنوت . وأسقطوه من الرئاسة ، ونفاه الملك إلى مدينـــة أخميم ، بصعيد مصر . وعينوا بدله القديس مكسيموس .

+ + +



القسم الثانى

أوطيخا وفلابيانوس ومجمع أفسس الثانى

الفصل الأول

أوطيخا ومجمع فلابيانوس المحلى

أما أوطيخا هذا فقد كان رئيسا على ديـــر للرهبـــان بجوار القسطنطينية يحتوى على ثلثمائة راهب . وكـــانت له آراء مقدسة على الإيمان المستقيم . ولذا فإنه فى أيـــام المجمع الأفسسى كان ذا صوت عال فى المدافعـــة عــن الإيمان . وقد دفعه الكبرياء إلـــى الشــطط فــى الــرأى والضلال في المعتقد ، لأنه إذ أراد تسفيه بدعة نســـطور القائلة بأن فى السيد المسيح طبيعتين منفصلتين . قد ســقط هو في هوة عميقة من الضلال ، إذ قال بان جسد الســـيد المسيح خيال . فلم تقع عليه آلام .

ونظرا للصداقة القوية التى كانت بيـــن أوســابيوس أسقف دوريلاوس وبين أوطيخا. فـــإن الأول لمـــا ســمع

بهرطقة أوطيخا نصحه بالإقلاع عن هــذه البدعــة فلــم ينصلح . وأراد أن يوضح له خطأه فسقط هو أيضا فـــى الهرطقة إذ اعتقد بالطبيعتين فى السيد المسيح بعد الاتحاد. وهنا نلاحظ كم تقود الغيرة العمياء إلى التهور والاندفـــاع بلا ترو فى إفحام الخصم . فتنزلق قدم المناضل ويســقط فى هوة الضلال ، ويكون سقوطه عظيما .

فقد رأينا أن أوطيخا أراد أن يُفحِــم نسـطور الــذى فصل بين اللاهوت والناسوت . فأنكر الناســوت ، وأراد أوسابيوس أن يرجع صديقه أوطيخا إلى الصواب ، فضــل إذ فصل بين الطبيعتين . وكانت هــذه أول بــذرة ألقاهــا الشيطان في عقل أوسابيوس ومن شايعه فيما بعـــد . وإذ تأصلت ونمت فقد أثمرت هذا الانشقاق المحـــزن الــذى نعانيه بوجه عام حتى الآن (١٩٣٨م) .

وأســرع أوسـابيوس إلــى فلابيــانوس بطريـــرك القسطنطينية وأعلمه ببدعة أوطيخا ، ولأن هذا البطريـرك كان يجل أوطيخا لكثرة علمه وشده نسكه . وأنه لم يخــرج

من ديره المترأس عليه، إلا حين انعقاد المجمع الأفسسى، للدفاع عن معتقد الكنيسة ومقاومة بدعة نسطور . وأنه حائز على احترام وفير من الرهبان مرؤوسيه ومن الملك وعظماء المملكة . فقد نصح أوسابيوس أن يرجع إلى أوطيخا ليترك معتقده الفاسد فلم يقبل . وعندئذ عقد فلابيانوس مجمعا مكانيا بدار البطريركية بالقسطنطينية .

وعقد أول جلسة لهذا المجمع فى اليوم الثامن من تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ٤٤٨م فى عهد الملك ثاؤدوسيوس الصغير وبرئاسة فلابيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية . وفيها قدم أوسابيوس أسقف دوريلاوس (فى فريجيا) رسالة بأقواله : " أن أوطيخا قد جدّف على مخلصنا ، ويجب إحضاره ليجاوب على ما سيُوَجّه إليه من اعتراضات . وبعد أن سجلت هذه الرسالة فى المجمع طلبوا أوطيخا، فلم يحضر .

وعقدت الجلسة الثانية فى ١٢ منه . فطلب أوسابيوس قراءة رسالتين من رسائل الأب العظيم كيرلس

الكبير الإسكندرى الواحدة إلى نسطور ، عن تجسد الكلمة والأخرى إلى الأب يوحنا بطريرك إنطاكية ، جوابا لاعترافه الذى أرسله إليه بحرم نسطور ، ومصادقته على صحة مجمع أفسس الأول ، مقرا بسر الاتحاد وبأن العذراء القديسة هى والدة الإله [1] (Theotokos) .

وبعد قراءة الرسالتين المذكورتين وتأمين المجمع عليهما. قرر فلابيانوس اعترافه فى التجسد الشريف قائلا: " لأننا نعترف أن المسيح بعد التجسد هو قائم من طبيعتين فى أقنوم واحد وشخص واحد ، مسيح واحد ورب واحد وابن واحد. أما الذين يقصدون اعتقادا منحرفا عما ذكرنا،

---

(١) لما عقد مجمع أفسس الأول برئاسة البابا كيرلس وحكم بحرم نسطور ولأن الآب يوحنا الإنطاكى كان قد تأخر فى طريقه وإذ حضر بعد انفضاض المجمع عز عليه أن لا يكون ممثلا فى ذلك المجمع . فأنكر هذا المجمع وماعمله . وأخيرا رجع عن رأيه وتصالح مع البابا كيرلس . وأرسل له اعترافه بصحة ما قرره المجمع . فرد عليه كيرلس بهذه الرسالة .

فقد عزلناهم من مجمع الكهنة المقدس ومن الشركة الكنسية " . ثم طلب من الأساقفة أن يعلن كل واحد منهم أمانته ورأيه . فقال باسيليوس أسقف سالوقية : " إنه يؤمن بالأقوال الكيرلسية . ثم أعلن اعترافه قائلا : " ونسجد لواحد هو ربنا يسوع المسيح المفهوم فى طبيعتين . فإن الطبيعة الواحدة كانت له فى ذاته قبل كل الدهور حيث هو مجد الآب . والطبيعة الأخرى حصلت له من الأم " ووافقه على ذلك أساقفة أماسيا ومرقيان وأزمير .

وقال الأسقف بالريان : " إنى أعترف أن فى المسيح طبيعتين أى لاهوتا وناسوتا. أما طبيعة اللاهوت فمن الآب . والناسوت من الأم . ولكن أعتقد بواحد وحيد هو ابن الله – كما شرح جميع الآباء – من طبيعتين فى أقنوم واحد – هكذا أنا أعترف الخ " . وتبعه أسقف شرسونة . ومما قاله فى اعترافه : " ولأجل ذلك أنا قد أذعنت لقول الأسقف فلابيانوس الطوباني ، وكافة الأساقفة المتوطين، حيث أعلم بالسجود للاهوت ابن الله الوحيد سيدنا يسوع

المسيح فى طبيعتين بعد التجسد . وقد حكمنا على المضادين لهذا الاعتقاد بأنهم منفيون الخ " .

أما باقى الأساقفة فإن البعض قال فى اعترافه بطبيعتين قائمتين فى أقنوم واحد ، والآخر يوافق إجمالا على تعاليم مجمعي نيقية وأفسس ، وأقوال كيرلس ، ورذل (رفض) ما يخالف ذلك .

وفى الجلسة الثالثة فى ١٥ تشرين الثانى ، تكرر الطلب لأوطيخا . ولم يحضر .

وفى الجلسة الرابعة فى ١٦ منه حضر بعض الرهبان مع الارشيمندريت (رئيس دير) إبراهيم ، مندوبون عن أوطيخا . فلم يقبلهم فلابيانوس ، وأصّر على حضور أوطيخا بنفسه .

وفى الجلسة الخامسة في ١٧ منه حضر المندوبون قائلين : " إن أوطيخا سيحضر فى اليوم الثامن والعشرين من هذا الشهر " .

وفى الجلسة السادسة تكرر طلب أوطيخا . وفى الجلسة السابعة فى ٢٢ من الشهر المذكور حضر أوطيخا

مع بعض الرهبان مصحوباً بكبير الحرس الملكى وبيده أمر ملكى هذه صورته : " إن كل مقصودنا أن يُحفَظ الصلح والسلام فى الكنائس فيما يخص الأمانة الجامعة . وأن يُصان الاعتقاد المستقيم . الذى (بإلهام الله) نادى به آباؤنا القديسون الثلثمائة وثمانية عشر المجتمعون فى نيقية. والآباء الذين حضروا فى مدينة أفسس ، فى القضية الموجبة على نسطور. وقد رسمنا الآن حتى لا يدخل فى الأمانة الجامعة المذكورة شك . ووجهنا إلى مجمعكم فلورنسيوس القائد المعظم ليحضر فيه ، لأنه رجل مؤمن ومعروف . ولأن هذه القضية تخص الأمانة " (الإيمان) .

وبعد تلاوة هذا الخطاب فى المجمع ودخول فلونسيوس . جعلوا أوطيخا فى مكان مقابل لخصمه أوسابيوس . ثم تُليت أعمال المجمع من البداية على مسمع منهما . وتليت أقوال الأب كيرلس (الإسكندرى) . ثم وجهوا إلى أوطيخا ما قاله عنه أوسابيوس. وهنا سأل فلابيانوس أوطيخا إن كان يقر باتحاد الطبيعتين فى أقنوم

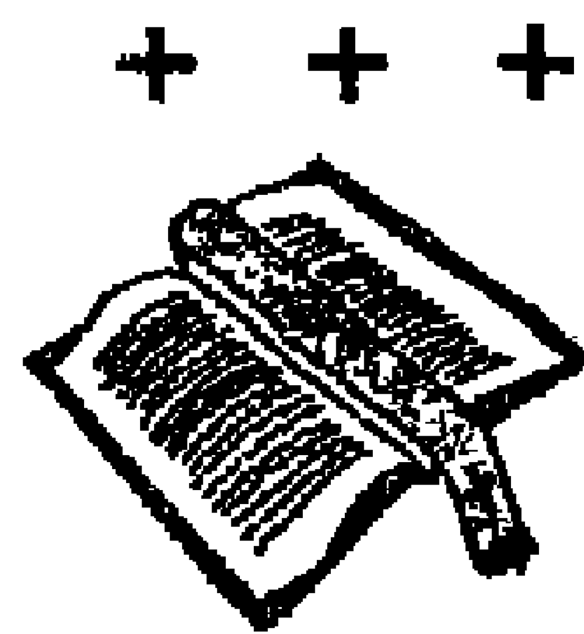
واحد فأجاب قائلاً : " نعم صار اتحاد الطبيعتين" . فسأل أوسابيوس خصمه : " أتعتقد بطبيعتين أيها الارشيمندريت بعد التجسُّد ؟ وأن المسيح مساوٍ لنا في الجسد أم لا ؟ فأجاب أوطيخا : " لم أحضر لأجادلكم ، بل لأعرض على قدسكم اعتقادى وأمانتي .. وهذه صورة اعتقادى : " أسجد للآب مع الأبن وللابن مع الآب ، وللروح القدس مع الآب والابن . وصار (= الكلمة) إنساناً كاملاً لأجل خلاصنا . كذلك أعترف الآن أمام الآب والابن والروح القدس " .

فسأله فلابيانوس عما إذا كان يعتقد بمساواة المسيح للآب في اللاهوت ، ولنا في الناسوت ؟ وعما إذا كان يعتقد أن في المسيح طبيعتين. فأخذ أوطيخا يداور في كلامه. فسأله فلونسيوس قائلاً : " أتعترف أن في المسيح طبيعتين من بعد الاتحاد ؟ فقل لنا وأن كنت لا تقول صرتُ مداناً ساقطاً من درجتك " . فأجاب : " اقرأوا كتب القديس أثناسيوس ، لتعلموا أنه لم يذكر قط مثل هذا التعليم " .

فقال له باسيليوس الأسقف : " إن لم تقـل بطبيعتيـن في المسيح بعد الاتحاد أدخلت بينهما امتزاجاً واختلاطـاً ". وتبعه فلورنسيوس بقوله : " من لم يقل إن المسيح هو مـن طبيعتيْن ، وأن له طبيعتيـن فـهو حـائد عـن الأمانـة المستقيمة" . وعندئذ هتف المجمع : " إن الإيمان لا ينبغـي أن يكون جبراً . فما بالكم تحرضونه على ذلك ؟ " فنطـق فلابيانوس بأن أوطيخا ساقط في هرطقتـيّ ابوليناريوس وفالنتيان الاثيمين . وقد صار ساقطاً ومفروزاً من خدمـة الكهنوت " .

هذا ما حدث في المجمع ، ومنـه يعلـم القـارئ أن فلابيانوس – ومن معه – إذ أرادوا تفنيد بدعـة أوطيخـا القائلة بأن جسد سيدنا المسيح هو خيال قد سقطوا هم فـي بدعة فظيعة ، إذ قرروا **بأن في المسيح طبيعتيـن بعـد الاتحاد** .

+ + +



الفصل الثانى

فحص أعمال هذا المجمع

حالما سمع أوطيخا هذا الحكم هرع إلى الملك ثاؤدوسيوس، يستغيث به من فلابيانوس الذى حرَمه - كما يزعم - لأنه يدافع عن الأمانة التى قررها الآباء أثناسيوس وكيرلس وغيرهما . وأن فلابيانوس قد قال بالطبيعتين فى السيد المسيح بعد التجسد . أما هؤلاء الآباء فقد قالوا **بطبيعة بعد الاتحاد** . فى حين أن أوطيخا لم يقل بقولهم بل ادعى أن جسد السيد المسيح هو خيال . بينما أن الآباء القديسون الذين قالوا بالطبيعة الواحدة بعد الاتحاد لم ينفوا التجّسد ولا قالوا بالاستحالة ولا بالامتزاج أو الاختلاط . ولأن أمانة هؤلاء كانت هى المعتمد عليها، ولتظاهُر أوطيخا بالدفاع عن هذه الأمانة ، وادعائه بتحريف أعمال هذا المجمع ، فقد أمر الملك باجتماع هيئة من الأساقفة للنظر فيما اتخذ من قرارات فى هذا المجمع.

واجتمع المجمع ثانياً في عاصمة المملكة (القسطنطينية) بحضور فلابيانوس وفلورنسيوس معتمد الملك ، ومقدونيوس القائد ، في ٨ نيسان (إبريل) سنة ٤٤٩ . وتُليت أعمال المجمع الذى حكم على أوطيخا . ومن أنه لما تلى قول فلورنسيوس القائد لأوطيخا : " أتعترف أن في المسيح طبيعتين من بعد الاتحاد الخ " فأجاب القائد على ذلك بقوله : " إنما قلت ذلك ليس بوجه المداينة، كأني قصدت بذلك أن أوجب عليه النفى والحرم. ولكن لأنى رأيت الحاضرين متهجمين عليه نصحته بأن يجنح لقولهم " .

ولما قرئ ما نسب لباسيليوس أسقف سالوقية ، أنه قال لأوطيخا : " إن لم تقل طبيعتين في المسيح من بعد الاتحاد الخ ". وقول القائد أيضاً : " فمن لم يقل إن المسيح هو من طبيعتين وأن له طبيعتين فهو حائد عن الإيمان المستقيم " والقائد عارض فيما نسب إليه قائلاً : " أنا لم أتكلم هكذا ولا كنت أقدر أحكم بذلك " وباسيليوس الأسقف

عارض أيضاً فى ما نُسِب إليه قائلاً: " الحق أقــول لكــم أننى لا أنكر الذى قلته فى ذلك الحين لأنه قد مضى زمان طويل . ولكن لما الأسقف (فلابيانوس) والمجمــــع ســأل أوطيخا : أتعتقد فى المسيح طبيعتين لاهوت وناســـوت ؟ قال أوطيخا : أنا أعتقد أن من قبل الاتحاد كـــان للمســيح طبيعتان ، أما من بعد الاتحاد أقول أن له طبيعة واحــدة ، والذى أنكره هو أننى قلت لأوطيخا هكـــذا : " إن كنــت تقول فى المسيح من قبل الاتحاد طبيعتان ومن بعده طبيعة واحدة على قولك ، يظنون أنك أدخلت بينـــهما اختلاطــاً وامتزاجاً الخ " .

وهكذا صار كل واحد يتنصل من قولـــه . فــالبعض ينتحل الأعذار لأقواله، والآخر يدّعى أنه لا يذكر ما قــال. مما يدل على تزعزعهم فى العقيدة ، وعدم إدراكهم معنــى الاتحاد الشريف على وجهه الصحيح .

فأوطيخا يقول إن جسد السيد المسيح لطيف ، ولذا لــم تقع عليه آلام . ولكنه كان يداورهم فى أقوالــــه مُظــهراً

غيرته على أمانة أثناسيوس وكيرلس وغيرهمـــا . وهـــم يريدون أن يقولوا أن جسد السيد المسيح حقيقى . **فســـقط المجتمعون هم فى الضلال ، إذ فصلوا بين الطبيعتيـــن ، وقالوا بالاثنينية بعد الاتحاد .**

ولما أُعيد هذا الاجتماع بأمر الملك وتُليـــت أقوالـــهم على مسامعهم صاروا يتخبطـــون فـــى أقوالـــهم . وأراد فلابيانوس أن يكون فارس الميدان . فنادى بأمانة جديـــدة ظنها القول الفصل في هذا الاجتماع . وقـــد دونّـــها فـــى خطابه الذى أرسله إلى الملك ثاؤدوسيوس وقـــال فيـــها : " نكرز ونعتقد بربٍ واحد هو يسوع المسيح المولود قبـــل الدهور ، من الله الآب، بغير ابتداء فى اللاهوت . أما فـــى الأزمنة الأخيرة هو بعينه لأجلنا ، ولأجل خلاصنا وُلِد من مريم العذراء فى الناسوت . إلهاً تاماً ، وإنساناً تامـــاً فـــى نفسٍ ناطقة وجسد . مساوياً للآب فى اللاهـــوت ، وهـــو بعينه مساوٍ للأم فى الناسوت . ثم اعـــترف أن المســـيح طبيعتين من بعد تجسده من مريم العذراء الطاهرة وأقنوماً

واحداً وشخصاً واحداً ، هو مسيح واحد ، ابـــن واحـــد ، ورب واحد . ولا ننفى قول القائل أن فى كلمة الله طبيعـــة واحدة ، إذ أضاف إلى قوله إن الطبيعة المذكـــورة هـــى متجسدة ومتأنسة بسبب أن من الطبيعتين حصل لنا يســوع المسيح رب واحد . أما الذين يبشرون ويعتقـــدون بـــابنين وشخصين وأقنومين ولم يكرزوا بواحد هو الرب يســـوع المسيح ابن الله الحى ، نحرمهم ونحكم أنهم خارجون عـــن الكنيسة . وقبل الجميع نحرم نسطور المنافق والذين علـــى رأيه الخ [١] " .

وانفض الاجتماع على غير نتيجة إلا ما أذاعه هـــذا الأسقف من أمانة جديدة لا تتفق والإيمان العام الذى قـــال به الآباء القديســـون . وقـــال العلاّمـــة الجليـــل المتنيـــح الايغومانوس فليوثاؤس الطنطاوى . " ومن هذا الاعتراف

---

(١) راجع كتاب المجمع الخلقدونى بـــاب ١٤ : ٣٣ و ٣٤ وبـــاب ٢٤ص ١٣١-١٤٥ وكتاب " الهرطقات " رأس ٥ جزء ٤ فصـــل ١ صحيفة ٢٤٧ عدد ٥٠ .

الذى قاله فلابيانوس أنه لا ينبغى قول القائلين بطبيعة واحدة متجسدة متأنسة للكلمة وقول باسيليوس فى الجمعية الأخيرة أن كلامه لأوطيخا كان على هذه الصفة : أى إن قلت طبيعة واحدة متجسدة ومتأنسة في الله الكلمة ، فقد وافقت لقولنا وأقوال الآباء . ومعارضة القائد لما نُسب إليه من الجزم على أوطيخا بالإقرار بطبيعتين لم يكن والحالة هذه موافقاً لرأى الجمهور الشرقي ، الذى تسلّم عن الآباء دائماً القول " **بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد المتأنس**[1] " .

+ + +

الفصل الثالث

المراسيم الملكية بعقد مجمع أفسس الثانى

ولأن النزاع لم ينحسم فى هذا الاجتماع . ولاحظ أوطيخا أن أقوال فلابيانوس قد قوبلت بالامتعاض بل

---

(١) كتابه المخطوط "خلاصة تاريخية عن الكنيسة المرقسية ص٩".

بالرفض ، لمخالفتها لأقوال الآباء القديسين. انتــــهز هــذه الفرصة . وتظاهر مُتباكياً أنه حُرِم لأنه يحامى عن أمانـــة القديسين ، وما هو إلا فى ضلال مبيـــن. وشـــاع إقــرار فلابيانوس بالطبيعتين بعد الاتحاد بين الجمهور فأنكروه .

واستغل أوطيخا هذا الإنكار فقدم شكواه إلى الملــك ، ثــم إلى لاون أسقف رومية . فأرسل إليه لاون هذه الرســالة :

" إلى الولد العزيز أوطيخا القس . من لاون الأســـقف " ، " لقد بلغنا من رسالتك أن بعض أناسٍ بأغراضهم القبيحــة قد أنشأوا ثانيةً هرطقة نسطور . فنعرفك بأننـــــا ســررنا باهتمامك وعنايتك بهذه القضية ، كوْن من رسالتك تحقــق عندنا ما فى نيتك . ولذلك لم نشك فى أن الرب الذى كون الأمانة الجامعة سيُسعفك فى كل شئ . فأما نحـــن متـــى بلغنا بالكمال أمر أولئك الذين بنفاقهم يفعلون ذلك . فيلــزم إننا بتوفيق الله نعتنى بقطع هذا الرأى القبيح الذى لمضـــى زمانٍ يسير قد نُفى ، فليصنك الله عزت قدرته أيها الابـــن

العزيز . محرر في أول يوم من حزيران (يونيــــة) ســنة ٤٤٩ " [١].

أما الملك فإنه لما رأى أن الرأى العام قد تألب ضـــد فلابيانوس ، مُنكِراً عليه القول بالطبيعتين بعد الاتحـــاد ، فقد أصدر أوامره باجتماع مجمع لحسم هذا الخلاف علـــى أن يكون هذا الاجتماع في مدينة أفسس . وكتـــب بذلـــك خطاباً إلى الأب ديوسقورس بتـــاريخ ٣٠ آذار (مـــارس) سنة ٤٤٩م . بما يأتى :

" من الملوك ثاؤدوســـيوس وفالنتنيـــانوس الملكيـــن المنصورين الكريمين الأغسطيين دائماً ، إلى ديوســـقورس أسقف الإسكندرية . وبعد فقد تحقق عند الجميع أن حــــال الرعية وسائر أمور البشر إنما يُستَّمد من الحلـــم الإلـــهى والنظام والثبات ، لكن إذا كان الله جـــل جلالـــه راضيـــاً علينا، فالأمور التى تتدبر وتتجح علـــى قـــدر المُـــراد . وبحيث قَسَم لنا توفيق الله يعنى الحكم . فكذلك من بـــاب

---

(١) تاريخ مجمع خلقدونية باب ٤١ : ٣٤ .

التقوى والشفقة أن نهتم اهتماماً جزيلاً ولازماً فيما يخص الرعية والعبادة لسير الأمانة المستقيمة ، وملكنا بـأمره . إذ تكون هي متأيدة بخدمة الله الغير متدنسة ، تضيء ضيئاً متوفراً (أى الأمانة) لأجل أنه قد انتاب الآن احتفاظ مذهبنا والتعليم الرسولى الجامع شك بغتة . وأن ذلك في ما أن ناصبه وأنكره الناس بآراء مختلفة . كما أحدث اضطراباً ، وأضلّ أنفس وعقول الناس. وحسبناه غير مُحتَمل مثل هذا النفاق ،ولئلا يُظَن أن إهمالنا هذا هو احتقار لله تعالى " .

" لأجل ذلك رسمنا أن يجتمع أناس أبرار ، مرضيون لله ، متكلمون فى مايخص التقوى والدين المستقيم ، فى مكان واحد ، لكيما ينحل ذلك الشك بوساطة الفحص الحاذق والأمانة الجامعة الصادقة – معزةً للحق سبحانه – تتثبّت وتتأيد . فلأجل ذلك، قُدسك تجمع من رعيتك عشرة مطارنة ومن دونهم عشرة أساقفة ممتازين بالحكمة والسيرة الحميدة . متفضلين عند الجميع بالعلم وفهم

الأمانة المستقيمة ، البريئة من كل دنس وعيب . وتبــادر مُسرِعاً من غير إعاقة إلى أن تجتمعوا بأول يوم من شهر. آب (أغسطس) الآتي ، في أفسس - أم مدن وكور آسـيا- ومن دون الناس المذكورين لا أحد يستطيع على الحضور للمجمع المقدس حتى أنه بوساطة سائر الأساقفة الأطــهار المغبوطين الذين وجهنا إليهم رسائل بالســير إلــى تلــك المدينة وبفهمهم الحكيم يُنَزع من الوسط كل خلل مُضــاد . ويتأيد تعليم الأمانـــة الجامعــة المســتقيمة المســيحية . وكجارى عاداتها تضئ ضياءً زاهراً .

وأن ذلك بتوفيق من الله - عزّت قدرتـــه - يحفــظ الجميع بغير اغتيال فى ما سيأتى من الزمـــان . بـل وإن ترك أحد مجمعاً بهذا المقدار ضرورياً ولله مرضياً . ولــم ينتقل إلى المكان المذكور بالحين المحدود لا يُقبَل له عــذر عند الله وعندنا " .

إلى آخر ما جاء فى هذا الكتاب الملوكى مـــن منــع قبول ثاودوريطس أسقف قورش فى المجمع، إلا إذا رســم

المجمع بحضوره . وإذا وقع خلاف بخصوصه ، فالمجمع يلتئم ويرتب ما يرسمه بدونه[1]."

وأصدر الملك إلى الأب ديوسقوس خطاباً آخر في ١٥ أيار (مايو) يأمره بقبول القس العابد الإرشمندريت برسوم ضمن آباء المجمع كنائب عن جميع الارشمندريت (رؤساء الأديرة) الشرقيين ، لما هو عليه من طهارة السيرة وحُسن الأمانة [2].

وأصدر إليه خطاباً ملوكياً ثالثاً خاصاً بتاودوريطس النسطوري بالنص الآتي :

" اعلم أننا أمرنا سابقاً أن تاؤدوريطس أسقف قورش لا يحضر في المجمع المقدس إلى أن يظهر ما ينبغي من خصوص خصومه ، لكونه تجاسر وتكلم في الأمانة (الإيمان) بخلاف ما كتب كيرلس (البابا الإسكندرى) الصالح ذكره " .

---

(١) تاريخ مجمع خلقدونية باب ١٨: ٨٤ و ٨٥ .

(٢) مجمع خلقدونية باب ١٨: ٨٥ .

" وأننا نظن بأن بعضاً من أتباع نسطور مجتهدون . وقصدهم أن المذكور يحضر بالضرورة فى المجمع المقدس . فلأجل ذلك قد رأينا أن نرسل لحضرتكم هذه الرسالة وبها نعرّف قُدسك وقُدس المجمع أننا مقتديون بقوانين الآباء الأطهار . **ونوهب لقدسك سلطاناً ونجعلك متقدماً ليس فقط فى ما يخص تاودوريطس بل وما يخص كل المجمع المقدس** . ثم وقد حسن لدينا بأن يوليانوس أسقف أورشليم المكرم وتلاسيوس المغبوط الأسقف ، ومن يشاكلهما بالغيرة المقدسة (الحماس) والاضطرام فى ما يخص الأمانة المستقيمة يكونوا **مطاوعين لقُدسك ، المشهور بنعمة الله فى السيرة الحميدة والأمانة الجامعة** . أما الذين قصدوا أن ينطقوا فى قواعد أمانتنا بأنقص أم بأزيد مما فسَّر الآباء القديسون فى مجمع نيقية ، ومن بعدهم فى أفسس ، فنحن لا نؤذن بأن تكون لهم ثقة فى المجمع المقدس ، بل نرسم بأن

يكونوا فى حكمكم .. وعلى هذا الوجه كتبنا إلى يوليانوس أسقف أورشليم " [1] .

وأرسل القيصر إلى أسقف رومة يدعوه إلى المجمع. فردّ عليه الأسقف برسالة فى ١٩ نيسان يُثني على غيرته على الإيمان . ويقول فيها إنه إلى الآن لا يُعرَف ما هو كُنْه الخلاف الذى وقع بين أوطيخا وفلابيانوس . فقد أرسل له أوطيخا يتشكىً من فلابيانوس .

أما فلابيانوس فأرسل له كلمة مُجملة ، لم يفهم منها شيئاً. ولذا فإنه أرسل له يستفهم عن تفاصيل هذا الخلاف.

وأرسل فلابيانوس إلى لاون أسقف روما يقول إن أوطيخا قد ضل إذ قال :" إن جسد ربنا لم يكن مساوٍ لنا . وأن جسده ليس جسداً بشرياً . ولذا فقد عزلناه من رياسة الدير ومن شركة المؤمنين " .

ثم كتب فلابيانوس رسالة ثانية إلى لاون أسقف روما يقول فيها أن أوطيخا قد ضل إذ قال : " إن جسد ربنا

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٨ : ٨٩ .

الذى أخذه من البتول لم يكن من جوهرنا ولم يكن تركيب بشرى . لذا لما حكمنا عليه بالعزل والفرز ، هرَع إلى الملك يتشكى منا . كل هذا حصل قبل ورود رسائلكم بأن أوطيخا قد كتب إليكم رسائل كلها غش وزور . وراح فلابيانوس يستعدي لاون على الملك ، ويطلب منه أن يبذل جهده في إبطال هذا المجمع الذى دَعى إلى اجتماعه الملك .

ولما عرف لاون اعتقاد أوطيخا فى جسد السيد المسيح أنه غير بشرى ، فقد **تهوّر هو أيضاً فى كيفية تفنيد هذه البدعة . فقال بالطبيعتين من بعد الاتحاد .** وأرسل بذلك رسالة إلى فلابيانوس بهذا الاعتقاد الفاسد وهى المعرفة (بطومس لاون) وسيأتى ذكرها فيما بعد .

ثم أرسل لاون أيضاً رسالة فى ١٣ حزيران إلى يوليانوس أسقف قوه[١] يرد بها على أوطيخا . وفى الوقت

---

(١) بجوار القسطنطينية .

نفسه يقرر القول بالاثنينية[1] . ولما رأى لاون إصـــرار الملك على عقد المجمع أجابه بكتـــاب محـــرر فـــى ١٣ حزيران (يونيه) سنة ٤٤٩م. وأرسله مع نواب عنه . وقد جاء فيه ما يأتى :

" فبقدر ما تعتنى العناية الإلهية فى أمور البشر ، قـد أعلن من همة حلمكم المستمدة حركاتـــها مـــن روح الله . حيث لم ترد شيئاً فى الكنيسة الجامعـــة تحـــت الســـجس والاختلاف كون الأمانة التى ما هى إلا واحدة ليس يمكـــن أن تكون مختلفة عن ذاتها . فلأجل ذلك ولو أن فـــى مـــا ظهر لنا من نظام أعمال رؤساء الأحبـــار (أعنـــى نظـــام مجمع فلابيانوس - المكانى - السابق ذكره على ما قدمـــه إليه فلابيانوس المذكور) قد وُجِد أوطيخا ضالاً عن الحـــق من جهله وعدم التمييز . وقد استوجب عليه الانصـــراف عن رأيه القبيح ، الذى استحق النفى والنقض . لكن لسبب

---

(١) تاريخ مجمع خلقدونية باب ١٤: ٣٥-٤٢ .

أنكم تحبون الأمانة الكاثوليكية (الجامعة) فى غاية التقـوى كرماً لله جل ذكره ، قد رسمتم بأن يجتمـع مجمـع فـى أفسس ليظهر للشيخ الجاهل الحق المحجوب عنـه . قـد وجَّهتُ إلى ذلك الجانب أخوتى يوليانوس الأسقف والقـس راناد وابنى ايلاروس الشماس ، لينوبوا عنـى فـى مـا اقتضاه هذا الأمر ، ويتصرَّفُوا فى كل شئ بالعدل والشفقة، لكيما يظهر الاعتقاد المستقيم الذى هو واضح ومشهور .. الخ.[1] " .

وبهذا المعنى حرر لاون كتاباً للمجمع ذاته وبه يذكـر تعيين النواب المذكورين وبصحبتهم دولشيسيوس الكـاتب (السكرتير) ومحرر فى ١٤ مـن حزيـران (يونيـه)[2] وأصدر الملك مرسوماً ملوكياً إلى ألبيديوس معتمده بـهذه الصورة :

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٤ : ٤٢ و ٤٣ .

(٢) مجمع خلقدونية باب ١٤ : ٤٣ و ٤٤ .

" ...... وبعد فإن سبب عقد المجمع الــــذى لمضــى زمان يسير التأم في أفسس كان قد قبل من الآباء الأطـهار الذين اجتمعوا هناك دينونة واجبة لأوطاخى لقبيح أفعالـه . فإذن والسبب أن هذا الحين قد وقع اختــلاف شانٍ غــير ذلك- ضد الأمانة الإلهية . فقد أمرنا بالتئام هذا المجمــع الثانى فى أفسس . مبادرين لقطع أصول الشر بســرعة - حتى إذا نفينا من كل جهة اضطراب الإيمان ، نصون فـى قلوبنا صلاة نقية مستقيمة ، وننصب بذلك للرعية حصنــاً حصيناً . ونجلب للبَشَر نفعاً متوفراً " .

" ولأجل ذلك قد اختبرناك واولاج المعــروف بقــائد وكاتب الديوان فى خدمة الإيمان. فإنكما ظهرتما لنا - فى أمور مختلفة - أُناساً أحراراً جداً ، وذوى رغبة زائدة فـى مايخص خدمة الله جل جلاله . وكُلِّفوا بعمل ما أَمرناكمــا به من الأمور التى يرسم بها المجمع المقدس الأفسســى . ومنع كل خطأ لاهوتى . بل وإن رأيتمــا أحــداً طــالب الخصومة والانشقاق ومبادراً لمــسّ الأمانــة المقدســة ،

فألقياه فى السجن، وادفعا أمره إلينا . وتصرفا بالأمر كله. وأولئك الذين كانوا سابقا قضاة فـــى محاكمـــة أوطيخـا رئيس الدير يكونوا حـــاضرين صـــامتين . ولا يجالســوا القضاة بل ينتظروا ما يُشرِّع به جمهور الآباء الأطـــهار ، لأن الآن ستُنقَض الأمور التى هم أوجبوها سابقاً.. وممـــا حدث بهذه القضية أعلمانا به " .

وبمعنى هذا صدر مرسوم ملوكى لأولاج المذكـــور فى المرسوم السابق . وأصدر الملك مرسوما ملوكيا إلـــى بروكلوس حاكم آسيا ، بمضمون ما صدر إلى ألبيديـــوس المعتمد ، وأولاج القائد . ثم يأمره الملك للمساعده . بمـــا تدعو إليه الحاجة ، لرفع كل اضطراب ، وعدم إمكان .

والمستفاد من هذه المراسيم الملكيـــة أن مـــا قـــرره فلابيانوس في اعترافه بالطبيعتين بعد الاتحاد ، قد رفـــض من الجمهور . واعتبر كحادث جديد فى الإيمان المستقيم.

ولذا دعت الضرورة إلى عقد مجمع ينظر فـــى مـــا قرره فلابيانوس . وعلى هذا أصـــدر الملـــك مراســيمه

الملوكية السالفة ، لتثبيت ماقرره مجمعا نيقية وأفسس ، ونقض ماعدا ذلك من الزيادة أو النقص ، مما سبق وتقرر فى هذين المجمعين من جهة القوانين المعتمدة .

+ + +

الفصل الرابع

مجمع أفسس الثانى

وبناء على هذه المراسيم حضر الآباء المدعوون لهذا المجمع بما فيهم مندوبو أسقف رومية . **وعقدت أول جلسة** فى اليوم الثامن من شهر آب (أغسطس) الموافق ١٥ بؤنة سنة ٤٤٩م . فى مدينة أفسس بكنيسة العذراء . وكان جلوس الآباء على الترتيب : ديوسقورس الإسكندرى ويوليانوس النائب الرومانى ويوبينااليوس الأورشليمى ودومنوس الإنطاكى وفربيانوس القسطنطينى واستفانوس الأفسسى وتلاسيوس القيسرانى ، وباقى الأساقفة المدعوين للمجمع ، وبقية مندوبى رومية .

ووقف القس يوحنا كبير الكتبة وأعلن رغبة الملكين المسيحيين القسطنطيني والروماني ، في عقد هذا المجمع، للفحص عما حدث ، والمحافظة على القواعد الدينية المفسرة من الآباء المغبوطين بنيقية ، ومثبتة من عهد قريب بأفسس . ثم قدم المراسيم الملوكية الصادرة بذلك . فتلى المرسوم الملكي للأب ديوسقورس وقد مر ذكره . وهنا أعلن نواب أسقف رومه أنهم موفدون من قبله إجابة لمرسوم الملك . وأن معهم رسائل عن ذلك للمجمع . فقال الأب ديوسقورس : " **يقبل ما كتبه قدس أخينا لاون ورفيقنا في درجة الأسقفية إلى هذا المجمع المقدس العام**[1] " .

---

(١) هذا ما قاله البابا ديوسقورس حين قال نواب رومة أن معهم رسائل من مرسلهم . وقد نقلناه هنا عن كتاب مجمع خلقدونية باب ١٥: ٤٦ وهذا يخالف قول المرحوم العلامة جراسيموس مسرة في كتابه تاريخ الانشقاق ج ١: ٢٢٣ من أن ديوسقورس رفض قراءة رسائل لاون ، كما يهدم ادعاء نواب أسقف رومة في مجمع خلقدونية أنه منع قراءة رسالة أسقفهم .

ولما قدم مندويو أسقف رومة مامعهم من الرسـائل . أعلن كبير الكتبة عن وجود المراسيم الملوكية الأخـرى . فقال الأسقف الأورشليمي : " تقرأ وتحفظ بين الأعمـال . فقرئ المرسوم الملكـى الصـادر لـلأب ديوسـقورس بخصوص الارشميندريت برسوم وقد سبق ذكره . وبعـد تلاوته قال الأسقف الأورشليمى : إن الملكين التقيين كتبـا إليه عما يخص برسوم ، وعلى ذلـك يجـب حضـوره للمجمع .

وسأل الأب ديوسقورس ألبيديوس وأولاج معتمـدى الملك ، عما إذا كان معهما مراسـيم ملوكيـة أخـرى ، فأجاب ألبيدوس أن الملك قد فوض للمجمع أمر رفع الشك الذى حدث أخيرا ، إلى الآباء المجتمعين فى هذا المجمـع، بصفتهم آباء وقضاة فى الدين، راغبا منهم القول الفصـل فى ذلك ، بما يوافق العدل الإلهي ، ويطابق مـا فسـره الآباء القديسون من قبل . ثم قرأ المرسوم الملكى الصـادر للمجمع بذلك وهو :

" وبعد . فكان كل مُرَادنا أن كنائس الله تكــون خاليــة من الاضطراب البتة .. وبسبب أن الأســقف فلابيــانوس المغبوط قصد تجديد أمر فى قواعد الدين ضـــد أوطيخــا الأرشمندريت المُكرَّم ، وعقد مجمعاً بأمره ، وطفق يضــع بعض أمور ضد المذكور ، قد أرسلنا مراراً كثــيرة إلــى الأسقف المغبوط عينه . وقصدنا أن نرفــع الاضطــراب الذى حدث . فإنه تحقق عندنا بأنه يكفى لنا إيمان الكنيســة الجامعة ، الذى تقلدناه عن الآباء القديسين فـــى نيقيــة ، والمثبوت من المجمع الأفسسى " .

" وقصدنا من الأسقف المذكور مراراً أن يعفى عـــن تلك الخصومة ، لئلا يحدث اضطراب فى البيعة كلـــها . فلم يقتنع بقولنا . وأننا زاعمون بأنه ليس بــأمر ســليم إذا عقدنا مجادلة بعرض الإيمان دون مجمعكـــم المقــدس . وحضور مديرى سائر الكنائس المقدسة . لذلك اســتصوبنا أن نأمر باجتماع قدسكم ، لكيما تنظروا فى ما قد صنـــع هنا . وتنزعوا الخصومة الواقعة ، وكل أصل شــيطانى .

وتطردوا من الكنائس المقدسة تابعى تجديف نسطور المنافق ، ثم ترفضوهم لكى يُحفظ إيمان الكنائس الجامعة بغير تغيير واختلاف . فإن كل رجائنا وثبات مُلْكنا متعلق بإيمان الكنيسة الجامعة وبدعاكم الصالح[1] ".

وبعد الانتهاء من تلاوة هذا الخطاب الملوكى نهض أسقف قيسارية الكبادوك (بآسيا الصغرى) وقال : " من حيث أن ملكنا المسيحى الصادق قصد بأن أمانتنا (إيماننا) التى هى الآن باقية تكون ثابتة بغير فساد ، أمر أن لا يُقال ولا يُعمل شئ فى الحُكم المقدس ، قبل أن يثبت ما يخص (صحة) الأمانة . ولأجل ذلك تؤخر سائر الأمور ويُقدَّم ما يخص الديانة " .

ووافق على ذلك النائب الرومانى . وعندئذ قال الأب ديوسقورس : " قد ظهر مضمون رسائل ملوكنا المسيحيين بأنهم قد أمروا باجتماع هذا المجمع بسبب الخصومة التى حدثت فى القسطنطينية . فإذن يُكشف أولاً

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٨ : ٨٨ .

على ماحدث . ثم بعد ذلك ينبغى ذكر ما صار بعدل فـــى المجامع . وهى مشورة فى حدود القوانين ، ولا يليق بنـــا أن نتجاوز عنها . وإن ملكنا المسيحى إنما أمر باجتمـــاع هذا المجمع من أجل بعض أمور حدثت سابقاً ، حتـــى لا نفسر اعتقادنا الذى فسره آباؤنا ، بل لنفحـــص إن كـــانت الأمور التي حدثت توافق آراء آبائنا القديســـين ، أم لا ؟ فإذن هو أمر واجب بأن نفحص أولاً فى الأمـــور التـــى وقعت ، ونختبر إن كانت هى موافقة لما شرّع به الآبـــاء القديسون . أم لعلكم تريدون أن تجددوا شيئاً على اعتقـــاد الآباء الأطهار ؟ " .

فقال أعضاء المجمع : " إن جدد أحد ليكن محروماً . إن فحص أحد ليكن محروماً . فلتُحتفَـــظ أمانـــة الآبـــاء الأطهار . إن الآباء فرضوا كل شئ بغاية الكمال . ومـــن تجاوز عن ذلكِ فليكن محروماً . فلا أحد يُنقِص ، ولا أحد يُزيد شيئاً على ذلك " .

وبعد أن أمّنَ الأب ديوسقورس على أقوال الآبـــاء ، ومدحه الجميع لمحافظته على الأمانة قال : " أقول فـــوق

ذلك (وهو ممتلئ حكمة ورغبة) قيل إن أخطأ رجل إلى رجل يستغفر له من الله ، فإن أخطأ إلى الرب فمن يطلب من أجله ؟ فإذن إن كان الروح القدس جالساً (موجوداً) بين الآباء ، كما هو واضح أنه جلس (كان) معهم ، وأمر بما فُرِضَ منهم ، فمن أنكر ذلك ، فقد أبطّل نعمة الروح القدس " :

" فأجاب المجمع نحن كلنا نقول ذلك . ليكن الجاحد محروماً . ليُنفَ المنازع " .

ثم طلب معتمد الملك من المجمع أن يأمر بإحضار أوطيخا . فوافق الجميع على ذلك . وقال الأسقف الأورشليمى : " بالواجب أن يحضر أوطيخا الارشيمندريت العابد . ويحتج عن نفسه " . ولما حضر أوطيخا قال الأسقف القيسرانى : " ليُقدِم أوطيخا الارشيمندريت لهذا المجمع المقدس احتجاجه " . فوقف أوطيخا وقال :" إنى استودعت نفسى للآب والابن والروح القدس، ولقول عدلكم الصادق.. فمعى كتاب اعتقادى. مُروا بقراءته وقراءة اعتراف الأمانة، المرفق به " .

عند ذلك قال استيفانا أسقف أفسس : " هو لائق أن يُقبَل كتاب واعتراف أوطيخا الارشميندريت المُكرَّم ، ويسجل فى دفاتر المجمع " . فتناوله القس يوحنا وقرأه كما يلى : " وبعد ، فإنى فى كل شئ أحمد الله القدوس فى هذا النهار الذى به بوساطتكم تقوت الأمانة . وأنهى لمجمعكم المقدس ما قد صنع ضدى ، بل وبالأزيد ضد الأمانة المستقيمة.. أما قبل ما أعرض لكم ما فعل بى ، أظن بالواجب منى لأن أُظهِر صورة اعترافى من خصوص التعليم المقدس ، احتجاجا عنى لديكم . والشاهد على هو الله وقدسكم الذين صحبتكم أنا كل حين ، وعلى قدر قوتى قاومت الهراطقة ، حبا بالأمانة الجامعة " .

- **وتُلِيت أمانة أوطيخا كما كتبها فإذا هى كما يلى:-**

" أومن بإله واحد آب ضابط الكل ، خالق كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، مولود من الآب ، أعنى من جوهر الآب ، إله من إله ، نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير

مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر . أعني ذات واحدة مع الآب الذي به صار كل شئ ما في السماء ومافي الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا ، نزل وتجسد وصار إنساناً . وتألّم وقام في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء . ومن هناك سيأتي ليدين الأحياء والأموات . وبروح القدس . أما أولئك الذين يقولون أنه كان حين لم يكن وقبل ما يولد لم يكن ، وأنه صار من العدم ، أم من أقنوم آخر ، أم ذات أخرى ، أم أنه قبل الاستحالة أم التغيير ، لهؤلاء تحرم الكنيسة الجامعة الرسولية. فهذا هو الاعتقاد الذي قبلته من البدء من آبائي، وأنا معتقد به سابقاً ، وفي هذا الحين . وفي هذا الإيمان وُلدِت . ومن الحين قدِمّتُ لله . وبرحمته قبلني . وبه التصقت ورسمت وعشت إلى هذا اليوم . وأريد أن أموت فيه . وهذا الاعتقاد كتبه المجمع المقدس العام الذي كان سابقاً والذي تولى عليه أبونا كيرلس الأسقف ذو الذكر

الصالح السعيد . وحدد أن من خالفه وزاد عليه شـــيئاً أو أنقص منه شيئاً أو علّم بخلافه ، يكـــون تحـــت (عقـــاب) القوانين ، التي تحرّرت في ذلك الحين " .

" ونسختُها قد وجهها إليّ – في مجلد – أبونا المذكـور الأسقف كيرلس ، وهي معي . فإذن وأنا خـــاضع لذلـــك المجمع المقدس حفظّتُ إلى الآن تحديده . ثم ويقيني كمـــا هو أيضاً يقين قدسكم بأن جميع الآباء الأطهار هـــم آبـــاء الكنيسة الجامعة المؤمنون . وقد جعلتهم لـــي معلميـــن . فإني أحرم ماني وفـــالنتينوس وأبوليـــاريوس ونســـطور وسائر الاراتقة حتى سمعان الســـاحر . وأولئـــك الذيـــن يقولون أن جسد ربنا وإلهنا يســـوع المســـيح نـــزل مـــن السماء" .

وبعد تلاوة الإقرار الذي قدمّه أوطيخا إلي المجمـــع . أخذ ييث شكواه للمجمع من سعي أوسابيوس ضده ، ومـــن حكم فلابيانوس عليه . ثم قال : " وأشهد ثانياً أمام يســـوع المسيح الذي شهد قدام بيلاطس البنطي باعتراف صـــالح ،

أن هكذا أعتقد وأفتكر وأفهم ، كما قدم لنا الأمانة الآباء الأطهار – المجتمعون فى نيقية – والتى أثبتها الآباء القديسون فى المجمع الأفسسى ، الذى سبق وأن اعتقد أحد بخلاف هذا الإيمان قد حرمته . هكذا أؤمن كما هو فى النص الذى قدمته ، وقد وضعت يدى (وقعت) وقدمت هذا الرأى " .

ورغب فلابيانوس إحضار أوسابيوس (خصم أوطيخا) إلى المجمع . لكن ألبيديوس معتمد الملك عارض فى ذلك قائلا : " إن الملك ، أمر بأن الذين كانوا سابقا قضاة (فى الحكم على أوطيخا) يكونون الآن فى مقام الذين يدانون . وأن لا يقبل ثانيا شخص المشتكى ، لئلا يحدث من ذلك اضطراب آخر " .

ثم طلب من المجمع أن يأمر بقراءة أعمال المجمع القسطنطيني المكانى الذى عقده فلابيانوس وحكم فيه على أوطيخا . فوافق المجتمعون على ذلك . كما وافق مندوب أسقف رومة . وزاد فطلب قراءة رسالة أسقفه . ولكن

المجتمعين رأوا أن تقرأ الأعمال أولا . ولما قرئ العمل الأول وجاء ذكر الأب كيرلس الإسكندرى . هتف المجمع قائلا : " ذكر كيرلس دائم، ومن جحده فليكن محروما ، ومن بحث فى ذلك فليكن محروما . وملعون من زاد ، وملعون من أنقص ، وملعون من أحدث . وأصواتنا لجناب الملك . وقال نائب أسقف رومة " الكرسى الرسولى هكذا يؤمن " .

ولما قرئ العمل الثانى وتُلِيَت رسالتا العظيم البابا كيرلس الإسكندرى . وقال اسطاسيوس أسقف بيروت : " هو واجب منى أن أخبر قدسكم أن الله جل جلاله وهب لأبينا كيرلس الطوبانى بابا الإسكندرية ذى الذكر الصالح، أن أولئك الذين لا يفهمون الأقوال الصحيحة فهما مستقيما، شكوا فى بعض مما كتب. ولكيما المذكور بفصاحته يظهر معانيه لأولئك الذين قصدوا إفساد الكتابات الصحيحة . ولازال يخاطبهم ، حتى مال الجميع إلى أن يتبعوا المذهب المستقيم . بل حين انتبه آخرون ليضعوا

الشك فى معنى الرسالتين المقروءتين الآن قد دعته الضرورة ليفعل كما ذكرنا ويعتنى بتفسير أقواله . إذ قضى كل زمانه فى شرح كلامه وبيان مقصوده . وقد برهن للجميع فيما كتب إلى الأساقفة : أكاكيوس أسقف بيطينى وباليان أسقف قونية وشوسيتوس أسقف الايسوريا على أى معنى يجب فهم الرسالتين المقروءتين. وبأى نوع ينبغى السجود لمجئ مخلصنا ؟ " .

" فإنه موجود أيضا فى تلك الرسائل التى أرسلها إلى أولئك الأساقفة الطوباويين هذا القول : " **ليس ينبغى لنا أن نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة متجسدة فى الله الكلمة**" (Logos) وقد ثبت هذا القول بشهادة البابا أثناسيوس الأب الطوبانى " .

فأجاب جميع الأساقفة على ذلك بقولهم : " ليس أحد يقول إن المسيح اثنان بعد الاتحاد ، ولا يفصل الغير منفصل ، لأن هذا كان اعتقاد نسطور " . وعندما قرئت بقية الأعمال . وبلغ القارئ إلى قول أوسابيوس ، لخصمه

أوطيخا : " أتعتقد بطبيعتين أيـــها الارشـــيمندريت بعــد التجسد ؟ " صاح الأعضاء بحدة موجبين الشـــجب علـــى قائله . ولما وصل القارئ إلى قـــول باســـيليوس أســـقف سيلوقية لأوطيخا : " إن لم نقل طبيعتين فى المسيح بعـــد الاتحاد الخ " . نهض هذا الأسقف وصار يتنصل من قوله هذا . ثم قال : " إنى أعتقـــد باعتقـــاد الآبـــاء القديســـين المجتمعين فى نيقية ، والمثبوت من المجمع الافسسى . ثم أضاد كل من يقسم المســـيح الواحـــد إلـــى طبيعتيـــن أم جوهرين أم أقنومين بعد الاتحاد . ثم أنـــدم علـــى قولـــى واعترافى الذى أظهرته فى القسطنطينية. وأسجد لطبيعـة واحدة ، هو لاهوت الابن الوحيد المتجسد المتأنس " .

وقال سالوقوس الأسقف : " قد تمسكت باعتقاد الآبـــاء القديسين المجتمعين فى نيقية، الذى ثبته المجمع الأفسسى، ورذلت كلامى ، وما نطقت به فى القسطنطينية. إذ قلـــت (فى ذاك الوقت) إنه يجب أننا نقول بطبيعتين بربنا يســـوع المسيح من بعد الاتحاد. وها إنى الآن أحرم كل من يقســـم

المسيح إلى طبيعتين من بعد ما اتحد اللاهوت والناسوت . أم يفصله لجوهرين أم أقنومين . قد احتسبت هؤلاء المتمسكين بهذا المذهب مفروزين من شركة القديسين " .

+ + +

الفصل الخامس

تبرئة أوطيخا بحسب تظاهره بصحيح المعتقد

ولأن أوطيخا قد طعن فى أعمال مجمع فلابيانوس . فقد طلب شهادة مندوب الملك الذى كلفه بالحضور فى الاجتماع الذى عقد كهيئة استئنافية ، للنظر فى تظلم أوطيخا من فلابيانوس . وفى هذه الهيئة أصر فلابيانوس على عقيدته بالطبيعتين فى السيد المسيح من بعد الاتحاد .

فأجاب الأب ديوسقورس قائلا : " إن كان فلابيانوس الأسقف المبارك أطلع على شئ موافق ومؤكد لقوله فينبئنا به الكتاب : " قال الأسقف : قد قطعت لنفسى السبيل لإيراد كل احتجاج ولو أنه حق " . فأجاب الأب

ديوسقورس قائلاً : " المجمع المقدس يعلم إن كنت أنا منعتك عن شئ ؟ فالآن تكلم فى أمرك ، إن كان لديك شئ تحتج به " . فقال : " ليس إذن بالحديث ". أجاب الأب ديوسقورس : " ليس أحد منعك عن ذلك . وهذا المجمع المقدس أخبر (سجّل) بما ذكرته " .

فقال فلابيانوس : " إن الأعمال صحيحة ولا زور فيها . وأن الأسقفين تلاسيوس وأوسابيوس يعلمان ذلك . فقال له تلاسيوس أسقف قيسارية الكبادوك : " ليس أحد منعك عن الكلام . فإن كنت تعلم شيئا موافقا لدعوتك فتكلم الآن . فسأل الأب ديوسقورس المجمع عموما عما إذا كان منع فلابيانوس من الكلام ؟ فأجابه المجمع بأنه لم يمنعه أحد .

فنهض فلابيانوس وقال : " من كل ما فعلته أنا فى ذلك المجمع لستُ خائفاً - بوجه من الوجوه - بعناية الله تعالى . لأنى لم أتمسّك باعتقاد غريب، أو ذهبت وقتا من الأوقات مذهبا منحرفا عما اعتقدت به فى ذلك المحفل

(يقصد المجمع الذى عقده لمحاكمة أوطيخا) وقط لا أبــدل باعتقاد آخر أبداً ".

فهنا قد رأينا فلابيانوس مصرا على مـــا قالـــه فـــى مجمعه من جهة القول بالطبيعتين من بعد الاتحـــاد. ثـــم يفتخر بأنه لازال ثابتا على قوله هذا ، بخلاف الذين كـانوا معه في مجمعه وقالوا بقوله . " والآن قد رجعوا عنـــه ، حيث عادوا إلى الصواب. فنفوا الاثنينية من بعد الاتحاد."

وعندئذ قال الأنبا ديوسقورس : "قد سمعتم ما قُرِئَ فى ذلك المجمع، وعرفتكم علانية مضمونها. **فقولوا الآن مـــا ظهر لكم فى أمانة أوطيخا، وما هو مرادكم فى دعوته"؟!**

فقال يوبيناليوس أسقف بيت المقـــدس : " لأنـــه قـــد اعترف واقتدى باعتقاد مجمع نيقية . وبما ثبته الآباء فـــى المجمع العظيم الذى اجتمع سابقا فى هذه المدينة (مجمـــع أفسس) ، **وقد ظهر لى أنه كان أرثوذكسيا من أقوالـــه** . فمن أجل ذلك حكمت بأنه يثبت فى درجته وفـــى ديـــره . فقال المجمع . " حق وعدل هذا الكلام " .

وقال دومنوس أسقف إنطاكية الشام : " وكنت سابقا أثبت القضية التى أوجبها فلابيانوس على أوطيخا ، لأجل الرسالة التى وجهت إلى فى هذا الأمر . لكن الآن قد ظهر لى أن المذكور أرثونكسيا ، من الكتاب الذى قدمه لهذا المجمع ، حيث يعترف به أنه متمسك باعتقاد الآباء الثلثمائة والثمانية عشر الذين اجتمعوا وبأمانة الآباء الذين اجتمعوا فى هذه المدينة . فلأجل ذلك قد اقتديت برأيكم وحكمت بأنه مستحق درجة الكهنوت والرئاسة على ديره".

وقال استيفانوس أسقف أفسس : " قد ظهر لى من قراءة دفاتر ذلك المجمع . ومن الكتاب الذى قدمه أوطيخا الأرشيمندريت أنه أُرثوذكسِى مُتمسِك باعتقاد الآباء الثلثمائة والثمانية عشر . ولأجل ذلك قد حكمت بأنه مستحق الكهنوت والرياسة على ديره " .

وقال تلاسيوس أسقف قيسارية الكبادوك : " لأنى نفسى أرى أنه لم يُفسِد تفسِير الآباء ، أقرر أنه مستحق درجة الكهنوت " .

وعلى هذه الصفة قال جميع الآباء الذين كانوا مجتمعين فى ذلك المجمع . وبرأوا أوطيخا من كل هرطقة ، واعتقاد فاسد . وعدتهم خلاف ما نكر مائة وسبعة أسقف من جهات وأقاليم مختلفة .

وعند ذلك قال الأنبا ديوسقورس البابا الإسكندرى : " قد ثبَّت لى أنا أيضاً حُكم هذا المجمع المقدس . وحكمت بأن أوطيخا يُحصى فى عداد الكهنة ، ويتولى (رئاسة) ديره . كما كان سابقا " .

+ + +

الفصل السادس

قبول أوطيخا ورهبانه والحُكم على فلابيانوس بالهرطقة

ثم قدم كبير الكتبة كتابا من رهبان أوطيخا . وفيه يطلبون من المجمع النظر فى الحكم الذى أصدره فلابيانوس عليهم ، تبعا لرئيسهم . فبعد تلاوته على

المجمع قال لهم الأنبا ديوسقورس : " أَظهِرُوا لنـــا نــص اعتقادكم ، لأن ذلك هو يحلكم من الحرم " .

حينئذ أجاب الشماس لوسين الراهب . وقال : " أمـــا اعتقادنا فهو بموجب ما شرح الآباء الثلثمائة وثمانية عشر المجتمعون فى نيقية ، وثبّته الآباء الذين اجتمعوا فى هــذه المدينة . ولا نفهم ولا نعرف مذهباً آخر ، دون الاعتقاد ، كما ذكره الأرشيمندريت " (أوطاخى رئيسهم) .

فسألهم الأب ديوسقورس ثانية : " قولــوا لنــا هــل تفهمون أنتم وتعترفون بذات مخلصنا وإلهنا المتجسد كمــا اعتقد أثناسيوس وكيرلس واغريغوريـــوس المغبوطــون وجميع الأساقفة الأرثوذكسيين ؟ " فأجاب لوسين المذكــور وقال : " كلنا هكذا نفهم . وكما علم الآباء فى نيقية وفـــى هذه المدينة " (أفسس) .

ومع هذا فقد كرر الأب ديوسقورس عمـــا إذا كـــانوا يقبلون ما كتبه أوطيخا فى شرح الأمانة ، غير متجـاوزين ما تقرر ، ولا حائدين عنه ؟ فأجـــاب لوســين الشــماس بالإيجاب .

حينئذ قال يوبيناليوس أسقف بيت المقدس : " قد صار أمرهم واجبا بأنهم حيث اعترفوا بالأمانة المستقيمة التى فسرها الآباء فى نيقية ، وتثبتت فى أفسس ، يحظون بشركة القديسين وبدرجاتهم " . ووافق المجمع على ذلك بقوله : " **قد ارتضينا كلنا بذلك وكلنا نحكم بذلك** " .

فسأل ديوسقورس الآباء عما إذا كان يوافقهم حل أوطيخا والرهبان المقيمين فى طاعته ؟ وعما إذا رأوا مشاركتهم فى الخدمة والأسرار الإلهية ؟ فأجاب أعضاء المجمع : " قد حللناهم من كل حرم ومنع . وأنه أيضا حكم عادل . وأمر واجب مشاركتهم " (فى القداسات) .

وبعد ذلك تداول الآباء عما إذا كان يجب قراءة أعمال المجمع الأفسسى الأول . فوافق الحاضرون على ذلك . ولما تلى العمل الأول لمجمع أفسس وفيه تلى أيمان المجمع النيقاوى وتعاليم الآباء القديسين فى سر التجسد . وهم كل من الطوباويين البابا بطرس الشهيد وأثناسيوس

الرسولى وثاؤفيلس الإسكندريين . ويوليوس وفيلكس الرومانيين . وكبريانوس والبرسيوس واغريغوريوس النازينزى وباسيليوس القيصرى وغيرهم . وما كتبه القديس كيرلس (الإسكندرى) إلى نسطور . وبعد ذلك قال الأب ديوسقورس بضرورة قبول ماشرحه هؤلاء الآباء . وأن لا يُزاد ولا يُنقّص من أقوالهم ، ولا يُفحَص فيها .

ثم سألوا فلابيانوس عن اعتقاده . فأصرَّ على قوله **بالطبيعتين من بعد الاتحاد** . وحينئذ لم يرَ المجمع مفراً من الحكم عليه بالحرم ، وستة أساقفة معه . وأرسلوا قرارات المجمع إلى الملك ثاؤنوسيوس . فأثنى عليها . وأمر بنفى فلابيانوس[1] .

+ + +



(١) مجمع خلقدونية باب ١٥: ٤٥ – باب ١٦: ٦٢ .

الفصل السابع

محاولة لاون أسقف رومة عقد مجمع فى كرسيه

وعاد نواب أسقف رومة يحملون إليه رسالة خيبة الأمل ، التى أعثرتهم ، حيث فشلوا فى استمالة المجمع إلى ما قرره أسقفهم فى رسالته إلى فلابيانوس من أن فى المسيح طبيعتين بعد الاتحاد . ولكن أسقف رومة لم يقنع بهذه الهزيمة ، وبذل قصارى جهده فى إقناع الملك ثاؤدوسيوس بأن يسمح بعقد مجمع فى مدينة رومة ، للنظر فى ما قرره مجمع أفسس الثانى ، واستخدم فى ذلك وسائل مهينة ، لا تليق بكرامة الكهنوت .

فكتب إلى الملك ثاؤدوسيوس كتابا بتاريخ ١١ تشرين الأول (أكتوبر) ضمنه ما رواه له مندوبه هيلاريوس الشماس الرومانى . وماحوته الرسالة التى بعث بها إليه فلابيانوس يستغيث به . ثم يطلب لاون - فى كتابه إلى الملك - إبطال الحُكم الأفسسى . وإبقاء كل على ما كان

عليه أولاً ، والتصريح له (للاون) بعقد مجمع فى رومة للنظر فى ذلك .

وزاد لاون فحرض فالنتيانوس القيصر الرومانى على أن يكتب فى ذلك إلى الملك ثاؤدوسيوس البيزنطى . فحرر له هذه الرسالة :

" إلى الأب المظفر الملك ثاؤدوسيوس ، من فالنتيانوس ابنكم المنتصر . لما انتهيت إلى مدينة رومية وذهبت إلى كنيسة القديس بطرس الرسول ، قابلنى الحبر الرومانى والأساقفة المجتمعون عنده ، الآتين من أقاليم مختلفة . وقصدونى بأن أكتب لجلالتكم عن الأمانة المسيحية التى تحفظ أنفس سائر المؤمنين . والتى كما بلغنى ظهر بها اختلاف ونزاع شديد . وأن من الواجب علينا أن نحرسها باجتهاد ، كما تسلمت لنا من آبائنا . ونكرم فى زماننا بطرس الرسول . حتى أن أسقف مدينة رومة الذى قد تفضل من القدماء على الجميع وتولى على كافة الكهنة يستطيع أن يشرع بينهم بما يخص الديانة المسيحية " .

" فلأجل ذلك شكا أسقف القسطنطينية من خصمه ، لدى صاحب الكرسى الرسولى (الرومانى) عن المنازعة التى صارت سابقاً . ولذلك نحن نطلب بأن تأذنوا للأسقف المذكور ، حتى يفحصوا – من البدء – عن هذه الدعوى، ويُشرِّعوا بالحق بغير منازعة واختلاف ، بما تقتضيه قواعد الأمانة الأرثوذكسية .. " .

- **فرد عليه الإمبراطور ثاؤدوسيوس بما يأتى :-**

" من ثاؤدوسيوس إلى فالنتيانوس الغالب . أيها السيد الابن السعيد الملك المكرم . اعلم أننا قد شكرنا الله على وصولكم إلى رومية بالسلامة . وقد عرفنا من الرسائل الأولى لجلالتكم أنه بعد وصولكم لرومية تضرع إلى حضرتكم البطريرك لاون المكرم . أما عن كلامه لعظمتكم ، فإنى أقول لكم أنه قد وصل إليه خبر كافٍ على التمام . ومنه صار يعلم أننا لسنا نبتعد بعد بشئ البته عن مذهب آبائنا ومبادئ رؤسائنا . ثم من جهة أسرار البيعة التى قبلناها بالتبعية من آبائنا ، فنحن لا نخالفها بل

نحفظها بلا عيب، ولأننا قد علمنا أن بعض أناس أقلقوا الكنائس المقدسة بأمر جديد ومهم للغاية " .

" فلذلك أمرنا باجتماع مجمع أفسس مرة ثانية . أما من جهة حكم ذلك المجمع. فقد فحص الأمر بخبرة كافية، وحق ثابت ، أمام الأساقفة المكرمين . أما الكهنة الغير مستحقين فقد طُردوا . والمستحقون قُبلوا . ولم يبلغ إلى معرفتنا أن في ذلك المجمع صار شئ البتة ضد اعتقاد الإيمان (السليم) وقوانين العدل . بل اختبرت كل خصومة بحكم مقدس . أما من جهة فلابيانوس نقول : لأن من محاكمته انكشف أمر جديد مهم ضد سلامة الإيمان . فهو قد قبل (نال) ما استحقه . وبعدما طرد ذاك ، بقى في البيعة صلح واتفاق ، ولا يوجد فيها إلا الحق المسيحي " .

وحرض لاون الملكة غلا بلاسيديا ، فكتبت إلى الملك رسالة بمعنى الرسالة السابقة . وبها ترجو إعادة فلابيانوس إلى مركزه الكهنوتي (كرسي القسطنطينية) .

- **فكتب لها الملك بما يأتى :-**

" من ثاؤدوسيوس إلى غلا بلاسيديا الملكة المكرمة . اعلمى أيتها الأم أننا من رسائل حضرتكم صرنا عالمين بطلب البطريرك المكرم (لاون) ونحن قد كتبنا مِراراً لأجل ذلك الأمر الذى يتكلم به عندكم الأسقف المُكتَرَم . وأظهرنا الأمر بشرح واضح . ولا نرتاب أن من تلك الرسائل يبان علانية أننا نريد أن المذهب الإلهى السليم - وهو إيمان آبائنا - أن يحفظ ثابتا كما فهمه وشرحه ، وفرضه ، وثبته الآباء الذين اجتمعوا فى نيقية فى عهد قسطنطين الطيب الذكر . والذين اجتمعوا بأمرنا المرة الأخرى فى أفسس ".

" أما من جهة الأمر الحاضر فنحن قد أمرنا فى أفسس أن كل من كان يقلق الكنائس المقدسة يسقط من درجته . ونظرا لأن فلابيانوس كان رئيس الخصومة الواقعة . فلذلك حكم عليه المجمع وطرده من تدبير الكنيسة. ومن هذا أيتها الأم المكرمة تقدرين أن تعلمى أننا لم نخالف الإيمان بشئ البتة ، كما يشك فينا بعض أناس".

• **وكتبت إليه الملكة ليسينيا بنفس معنى رسالة الملكة الأم غلا بلاسيديا . فرد عليها بما يأتى:-**

" من ثاؤدوسيوس إلى حضرة ليسينيا الملكة المكرمة . اعلمى - أيتها الابنة الملكة المُكرَّمة - أننا نفرح دائما برسائل حضرتك ونقبلها بسرور ، وطلباتك كانت دائما مقبولة عندنا . أما من جهة الأمر الحاضر لفلابيانوس الذى كان أسقفا ، فنحن نعلمك أننا قد أرسلنا خبرًا صحيحاً إلى لاون المطران المكرم . ونخبرك أيضا بهذه الرسالة أن فلابيانوس المذكور قد سقط من وظيفته بحكم مقدس ، وذلك لكى ينزع كل شك وخصومة عن البيعة المقدسة . ثم اعلمى أيضا أنه أمر صعب أن يشرحوا شيئا آخر دون ما فرضه الأساقفةِ فى المجمع (١) " .

قال المؤرخ ثاوفانيس : " وكان البابا يتوسل بدموع وعبرات إلى والنديانوس الثالث قيصر الغرب وزوجته افدوكسيا وأمه ابلاكيديا أن يكتبوا للقيصر ثاؤدوسيوس

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٧: ٦٢-٦٧ .

ويقنعوه على إجابة طلبه فكتبوا . ولكن ثاؤدوسيوس أجابهم : " إن ماجرَى يكفِي . وهو حسن ولا حاجة إلى عقد مجمع آخر[1] " .

وكتب لأسقف رومية يقول : " إن مجمع أفسس قد فحص كل شئ بمقتضى رسوم العدل والإيمان . فأقصى فيه الغير مستحقين من الكهنوت ، وأعيد المستحقون إلى درجاتهم [2] " .

فيتضح لنا من هذه الشهادات الملوكية صحة أحكام المجمع الذى اجتمع بأفسس برئاسة القديس ديوسقورس. وأن لا وجه لأسقف رومية فى شكواه من قرارات هذا المجمع . وعن طلبه عقد مجمع فى الغرب للنظر فى أحكام المجمع الأفسسى الثانى.وهو يريد بذلك أن يزعم لنفسه سلطة وهمية على الكنيسة . ولكن هذا الملك البار الأرثونكسى قد خيّب ظنه . إذ أجابه بأنه لم

---

(١) تاريخ الإنشقاق ج١ : ٢٢٥ .

(٢) تاريخ الارتقات رأس ٥ ج ٤ ف ١ ص ٢٥٦ عدد ٦١ .

تعد هناك حاجة إلى إعادة الفحص فى أمور الإيمان التــى تركزت فى هذا المجمع ، وتقررت من أساقفة .

إذاً لا سبيل إلى التعلّل بأن هذا المجمع قد عُقِد بــأمر ديوسقورس بطريرك الإسكندرية العظيم . فقد رأينا – فـى ما سبق – أن هذا المجمع قد عُقِد بأمر الملك . وترأســه الأب العظيم ديوسقورس بأمر الملك .

+ وتباكي أسقف رومية لأن مساعيه فى ســبيل حصولــه على الرئاسة المزعومة ضاعت سُــدَى . وجلـس مــع مشايعى أفكار نسطور يندب خيبة أمله ومطامعه التى بنـى منها القصور العالية فى مخيلته ، بأنه فى اســتطاعته أن يسقط من يشاء ، ويرفع من يشاء. ولم يدر فى ذلك أنــه يخالف الأوامر السيدية والقوانيــن المجمعيــة والســوابق الواقعية .

إذ أن أوامر السيد المسيح وتعاليمه ووصاياه لرســله نجدها كلها خالية مما يسلم الدعوة إلى سلطة الرئاسة على بقية التلاميذ . وحتى قوانين المجامع المسكونية ليس فيــها ما يشير إلى أن أسقف رومية قد أمتاز بأى شــئ يلاحــظ فيه أنه الرئيس الأعلى على بقية الأساقفة .

بل نقرأ فـــي تـــاريخ هـــذه المجـــامع أن بطاركـــة الإسكندرية هم الذين قد ترأسوها . وكان لهم فيها الكلمـــة السليمة . بدفاعهم عن سلامة الكنيسة ، وإيمانها القويم .

ولقد حدد مجمع نيقية سلطة كل واحد من الأســـاقفة . والذى يطالع القانون السادس من قوانين هذا المجمع (وقـد نشرناه فى فصل المجامع من هـــذا الكتـــاب) يجـــد هـــذا التحديد. هذا ولو كانت هناك فكرة عــــن هــــذه الرئاســـة المزعومة ، التى انتحلها أسقف رومية ، لما كــــان هنـــاك داع لأن يطالب المجمع النيقاوى بابا الإسكندرية بإذاعـــــة منشور عام ، لتحديد موعد عيد الفصح (القيامة) المجيـد . ولمّا تجاهل ثاؤدوسيوس هذه الرسالة العامـــة المزعومـــة ويأمر بحضور البابا ديوسقورس ويجعل له سلطة رياســـة مجمع أفسس الثانى . وكانت دعوة الملك لأسقف رومـــــة كدعوته لغيره من الأساقفة فقط. وإلا لذكر فى ثنايا دعوته إياه أنه قد أوكل إليه التصرف بما يراه، كرئيس عام !!.

ولكن شيئًا من هذا لم يحصل ، حتى أننـــا نـــرى أن الملك لم يكترث برسائل الملوك الذيـــن وســـطهم أســـقف

رومة بدموع ، لكى يسمح له بعقد مجمع فى مقر كرسـيه. فلو كانت ثمة رئاسة عامة لقـــاطن الفاتيكـــان ، لخضــع لأمرها الملك ثاؤدوسيوس ، الرجل الطاهر السيرة والسليم العقيدة .

وهذه كلمة موجزة عن مساعى أسقف رومة لبســـط سلطانه على زملائه الأساقفة فى العالم ، متعديا فى ذلـــك القواعد الرسولية المرعية .

ولما عاد القديس ديوسقورس بطريرك الإســـكندرية إلى مقر كرسيه وصل إلى سمعه ما بذله أسقف رومة مـن المحاولات الكثيرة للحصول على ترخيص له بعقد مجمــع فى رومة . وأنه قد جمع حوله من حكم مجمـــع أفســس بعزلهم . كما قرب إليـــه تــاودريطس أسـقف قــورش النسطورى ، الذى ناصب القديس كـــيرلس الإســكندرى العداء .

وهاله أن تبلغ الجرأة بهذا الأسقف (لاون) إلى هـــذا الحد ، فيخلع على نفسه حق فحص أعمـــال المجــامع .

وعدها غطرسة فاتيكانية تستحق الشجب . فجمع مجمعــــا (محليا) فى مدينة الإسكندرية من جميع أســاقفة الكــرازة المرقسية ، وحكم فيه على لاون أسقف رومة بــــالحرم ، **لأنه استحدث فى الإيمان المسيحى عقيدة منحرفة** ، حيث وافق على رأى الأسقف فلابيانوس على القول بــالطبيعتين بعد الاتحاد . ولأنه قد جمع إليه فلول النسطوريين الذيـــن حكم مجمع أفسس الأول بحرمهم ، وفرزهم مــن شــركة المؤمنين . وأذاع الأنبا ديوسقورس هـــذا الحكـــم الـــذى أصدره على أسقف رومة .

وبهذا عرف الجميع أن كرســـى الإســكندرية هـــو الحصن المنيع للعقيدة المسيحية الأرثونكســية . وهـــدأت الحال واستتب النظام الكنسى ، إلى أن عــادت العاصفــة الهوجاء ، أيام مرقيانوس وبلخارية أخـــت ثاؤدوســيوس الملك. هذا ما سنفصله فيما يلى .

+ + +

القسم الثالث

البابا ديوسقورس فى القسطنطينية

الفصل الأول

موت ثاؤدوسيوس الصغير
بلا نسل وزواج أخته الراهبة

لما تقدم الملك ثاؤدوسيوس فى الأيام ولم ينجب نسـلا. ولم يكن له وريث للملك إلا أخته بلخارية . وهذه لا يجوز لها التملك بعد أخيها ، لسببين مهمين .

الأول : أن نظام الدولة فى ذاك الوقت لـم يكـن يسـمح للنساء باعتلاء العرش الملكى .

والثانى : أنها كانت قد ترهبت . فلا يصح لها أن تحنـث فى نذرها (التكريس) وتخلـع عنـها الـزى الرهبـانى، وتتزوج برجل يجلس على كرسى المملكة بعد أخيها .

· واجتمع مجلس وزراء الملك ، وفـاتحوه فـى ذلـك الأمر . فقال لهم لتكن إرادة الرب. ثم أوفد من قبله رسـلا

إلى برية شيهيت ، ليطلبوا من الشيوخ القديسين أن يصلوا إلى الله ، ليرزقه ولدا . ولما وصلوا البريـــة المذكـــورة ، واجتمعوا بالشيوخ، أتوا بهم إلى شيخ قديس يسمى أبيروه. فقال للرسل : " إن الله تعالى لم يُرِد أن يرزق الملك نســلاً لئلا يشترك مع الهراطقة " .

وعاد الرسل وأبلغوه قول هذا القديس .

ولكن بلخارية أخته ألحّت عليه بأن يتخذ له زوجـــة غير التى معه ، حتـــى لا يضيـــع الملـــك مـــن بيتـــهم . وأوعزت إلى الوزراء أن يطلبوا منه ذلك. فلم يقبل منـــهم هذا القول، حتى يرسل إلـــى بريـــة شـــيهيت لأخـــذ رأى الشيوخ القديسين . وأوفد لذلك رسولا . وهذا أخـــذ معـــه إبنه . ولما وصل إلى البرية المقدسة ، واجتمع بالشـــيوخ ، وعرض عليهم الأمر ، قال له رئيسهم القديـــس يوحنـــا : " قل للملك ثاؤدوسيوس ألا يميل إلى الأقـــوال الفارغـــة . فلو تزوج عشر نساء أو اتخذ عشرين سرية . فلن يرزقـــه الله ولدا . وفيما هو يقول هذا رأى البربر مغيرين عليـــهم،

فصاح فى الرهبان : " هوذا البربر قد أتـوا لقتلنـا فمـن رغب فى الاستشهاد فليقف . ومن خـاف فليلتجـئ إلـى الحصن " . فاحتمى كل الرهبان بالحصن مـاعدا ثمانيـة وأربعين شيخاً ، وقفوا مع القديس يوحنا .

واقتحم البربر الدير وقتلوا التسعة والأربعين شـيخا . وكان رسول الملك وابنه واقفين في مكان آمـن . فـرأى الولد ملائكة وقد نزلت من السماء وصارت تضع أكـاليلاً على رؤوس الشهداء القديسين . فأعلم والده بما يـرى . وهم بالإسراع إلى نيل إكليـل مثلـهم . فتبعـه والـده . وأظهرا نفسيهما للبربر فقتلوهما ونالا إكليلّهما .

واستبطأ الملك رسوله ، فأرسل مـن يأتيـه بـالخبر اليقين. فعاد الرسول وقص عليه ما قاله الرهبان القديسون بخصوصه . وماحصل لهم من البربر ، فحزن كثـيرا . وبنى على أسمهم كنيسة فى مدينة القسطنطينية [١].

ومات الملك ثاؤدوسيوس ولم يرزق نسلا . فـهمس الشيطان (الحية القديمة) فى أذنى بلخارية ، حتـى أمـال

---

(١) تاريخ التسعة والأربعين قديساً شيوخ(شهداء)شيهيت .

قلبها إلى أحد قواد جيش أخيها ويدعى " مرقيان " . فنكثت نذرها ، وتزوجت من هذا القائد . ويذكر عنها التاريخ أنها كانت متغطرسة ذات دهاء وميل وافر إلى الكبرياء ، ورثت ذلك عن أمها افدوكسيا زوجة أركاديوس التى اضطهدت القديس يوحنا ذهبى الفم ، لأنه لم يسكت عن مظالمها وتكبرها . فنفته حيث تنيح فى نفيه[١] .

ولقد قال ابن العبرى فى كتابه " تاريخ مختصر الدول " ، المطبوع بمطبعة اليسوعيين بمعرفة أحدهم وهو الأب أنطون صالحانى اليسوعى (سنة ١٨٩٠ ص ١٤٥) ما ياتى : " مرقيانوس قيصر . ملك سبع سنين وتزوج بوليخريا أخت ثاؤدوسيوس الصغير ، التى كانت راهبة ، لأن جماعة من الأساقفة المرائين أفتوها فى أمر الزواج . وقد كانت قبل ذلك متهمة بالزنا معه " .

فهذه لما تزوجت بهذا القائد نادت به ملكا فى الحال . وأسلمت إليه تدبير شئون الدولة البيزنطية .

+ + +

---

(١) تاريخ المجامع لأبن المقفع ، وتاريخ المجامع للمنبجى .

الفصل الثانى

عناصر المؤامرة على البابا ديوسقورس

وسمع بذلك لاون وأشياعه من أتباع نسطور وأتباع فلابيانوس ففرحوا ، لعلمهم بأن بلخارية كانت تميل نحوهم ، لا لشئ إلا لأنها رأت من الأب العظيم ديوسقورس عدم الاكتراث بكبريائها وغطرستها . فأسرع لاون أسقف رومة ، وأرسل نوابه إلى القسطنطينية .

وهناك سجدوا عند قدمى بلخارية قائلين : " إن ديوسقورس أسقف الإسكندرية قد أرجع أوطيخا إلى درجته ، وحرم فلابيانوس وأوسابيوس ومن معهما بغير وجه حق . والأسقف لاون يأمل فيك إنصافهم من بطاركة الإسكندرية الذين لا هم لهم إلا الحضور إلى حيث تعقد المجامع ، والترأس عليها ، **كأنه لم يكن فى المسكونة إلا هم ، يفصلون فى قضايا الإيمان ويقررون العقائد المسيحية** . وها إن ديوسقورس قد ذهب إلى أفسس بغير أمر المرحوم أخيك وأصدر حُكمَه فى هذا المجمع

مُتجاهِلاً رسالة لاون الحبر العظيم . وسيدنا لاون يـــأمل فيـكِ أن تُريحِـى المسـكونة مــن كبريـاء بطاركـــة الإسكندرية[1] .

وطاب قلبها لهذا الإغراء . وقالت السيدة بوتشـــر : " وكانت هذه الإمبراطورة ميالّة إلى فلابيانوس ومبدئـه . ولكن ميلها هذا لم يكن شيئا يذكر بالنسبة إلــى الأحـوال السياسية التى تجلت أمام عينيها وكانت خافية عن أخيـها ثاؤدوسيوس . ذلك أنها رأت الحد الذى وصل إليـه بابـا الإسكندرية من القوة ومنعة الجانب . وان اتساع ســلطته هذه قد تضر بمملكتها ضررا لا يجب السكوت عليـه إذ لا يبعد أن تضيع مصر من يدها وهــى أخصــب أراضــى سلطتها وأوفرها ثروة وأعظمها غنى ، وأكثرها رضوخا.

فلذلك سلكت بولكريا مع زوجها مسلك دُهَاة السياسـة ، فلم تسمح لإمبراطور رومية بالتداخل فى أمر بطاركتــها ومجامعها . كما أنها اتخذت مسألة الاختلافات المذهبيـــة

---

(١) تاريخ المجامع للمنبجى .

والانشقاقات الكنائسية سلاحا حادا تقاتل به خصومـــها . ورأت بدهائها أن أقوى سلاح يقطع أوصال ديوســقورس ويقوض أركان سلطته هو اتهامه بالهرطقة [1]".

هذا ولما تعرفه عن زوجها مـــن ضعـف الإرادة ، ولأنه يدين لها بتاج المملكة ، فقد أوعزت إليه أن يكتـــب لأسقف رومة بأنه لا حاجة بأن يعقد المجمع فى روميـــة وأنه مستعد لعمل المجمع في القســطنطينية . وإذا كــانت مشقة السفر تحول دون حضوره ، فإنه يـــرأس المجمـــع كنائب عنه [2].

ولم يرتح لاون أسقف رومة لهذا الحل الذى لم ينلـــه مبتغاه في شفاء غله من الأنبا ديوسقورس . ولكنـــه قبلـــه على مضض ، واستسلم مُرّغَماً لإرادة مرقيانوس . وأوفـد من قِبلِهِ نوابـــاً مـــع أوســابيوس – خصــم أوطيخـــا – وتاودوريطس النسطورى ، عدو القديس كيرلس الكبـــير !

---

(١) تاريخ الأمة القبطية وكنيستها لبوتشر ج٢: ٥١ .

(٢) تاريخ المجامع للمنبجى .

وأرسل مرقيانوس إلى الإسكندرية يستدعى الأب ديوسقورس إلى عاصمة ملكه (القسطنطينية) . ودهش الأنبا ديوسقورس لهذا الأمر المفاجئ، حيث لم يجد في الإيمان ما يستدّعِى ذلك .

ومع هذا ، فقد لبّى الأمر الملكى . وأعّد عُدّته للسفر. فدعي بعضا من الأساقفة العلماء ، كما دعا القديس العظيم الأنبا شنودة رئيس المتوحدين . ولكنه اعتذر لشيخوخته والمرض الذى أقعده عن السير . وكتب إليه متمنيا له التوفيق فى رحلته . وأن يصان الإيمان على يديه ، وتتلاشى البدع والهرطقات .

+ + +

الفصل الثالث

فى الطريق إلى القسطنطينية

ولما وصل الأب ديوسقورس ومن معه إلى السفينة التي ستقلهم إلى القسطنطينية، تطّلع ربانها فرأى على البر شيخا متقدما فى الأيام هو القديس " **مقاريوس** " أسقف

ادكو . فاقترب منه ، ودعاه إلى الركوب معهم . فأجابه أنه على استعداد أن يذهب ماشيا إلى حيث هذا المجمع ، الذى يجدف فيه على اسم يسوع المسيح . ولما ألح عليه ربان السفينة ليركب معه ، قال له الأسقف : " لا تلح على فإنى لا أملك ما أدفعه لك أجرة سفرى . فأجابه الربان : " إن هذا لا يعوقك ، فأنك ستركب مع الأب البطريرك ".

" ففرح بذلك ، لأنه قد حسب أهلا أن يرافق خادم الله الأنبا ديوسقورس . فدخل السفينة وجلس مع تلميذه بينوتن فى مؤخرتها. ورآه الأنبا ديوسقورس فناداه ليجلس معه ، فلم يفهم قوله ، لأنه كان يجهل اللغة اليونانية . كما كان الأب البطريرك يجهل اللغة القبطية ، وخصوصا لغة الأرياف . فأشار البطريرك إليه بالحضور . فذهب وجلس معه . ولم يتمكن الإثنان من التفاهم إلا بواسطة بطرس سكرتير البطريرك الذى كان يترجم لكل منهما كلام الآخر" .

وكان مع الآب البطريرك شماس آخر غير بطرس يدعى تاؤيسطس . فهذا تقدم من معلمه وسأله قائلاً :

" ماذا تعمل بهذا الشيخ الذى يجهل اللغة اليونانية ؟ . هــل الهراطقة مصريون حتى يكلمهم بلغتــه التــى لا يعــرف غيرها ؟ " .

فأجابه الأب البطريرك : " ثق يـــابنى أنـــه لـــو أن الأرض امتلأت من الهراطقة ، لتبـــددوا بصلـــوات هـــذا القديس " . ثم أمره أن يستغفر الله على مافرط منه ، فـــى حقه .

وحدث مرة والقديس مقاريوس واقف يصلى أن عـــبر بجانبه ابن رئيس المركب ، وكان فاقد بصر إحدى عينيـــه والأخرى مصابة برمد . فاصطدم بالشيخ . فأراد هـــذا أن يهديه إلى الطريق . فطلب منه الصبى أن يصلـــى علـــى عينه المريضة . فوضع يده فجاءت على الفاقدة البصـــــر فقال له : " إنها التى لا أنظر بها " ، ثم أخذ يده ووضعـــها على المريضة . فصلب عليـــها القديـــس . فـــزال منـــها المرض ، ثم وضع يده علــــى العيـــن الفـــاقدة البصــــر ، ورسمها بعلامة الصليب ، فأبصر بها فى الحال . فصـــرَخ الجميع مسبحين الله ، الذى يتمجد إسمه فى قديسيه .

وحدث أيضاً أن خادم تاجر كان معهم بالسفينة قد سرق ثوب " بينوتن " تلميذ القديس مقاريوس . ولما بحث عنه ولم يجده ، أعلم القديس بذلك . فقال له : " لا تخف عليه لأنه فى المركب ، وستجده " . أما الولد الذى سرقه فإذ سمع هذا القول اعتراه خوف عظيم لعلمه بأن هذا القديس ملآن نعمةً . وأمسك بالثوب وطرحه فى البحر . وفى المساء لما ذهب تلميذ الأب مقاريوس إلى مرقده وجد ثوبه بين ملابسه. فهرَع إلى القديس، وأعلمه بذلك!!.

وسمع بذلك البحارة فثاروا على الشماس ، وصاروا يضربونه ويبصقون عليه قائلين : " إن المصريين كلهم كذابون " فاحتدم القديس غضباً وأمسك بيد السارق وقال له : " إن لم تعترف الآن بذنبك ، وإلا طلبت فتنزل نار من السماء فتحرقك ؟ " فارتعد الخادم وتوسل إلى القديس أن لا يهلكه وهو يقول الحقيقة . فقال : إننى لما سمعتك تقول إن الثوب فى المركب وستجده ، تصورت أنك تعرف أنه عندى وخفت أن تكشف أمرى ، فطرحته فى

البحر فى صباح هذا اليوم " . ولما أحضروا الثوب أمامه أقسم أنه هو الذى طرحه فى البحر .

وفى إحدى الأيام طلب الأب ديوسقورس من بينوتن أن يقص عليه من فضائل أسقفه مايعرفه . فخضع لأمره وقال له : " إنه كثيراً ماكان يبكى وقت الوعظ والصلاة . وسأله الشعب عن ذلك فأجاب ، بأن كثرة خطاياه هى التى تبكيه . ولما ألحوا عليه لكى يصارحهم بالحقيقة أجابهم : " أنه حينما يقف للوعظ يرى الخُطاة فى الكنيسة وملائكتهم معبسى الوجوه ، والأبرار وملائكتهم متهللين."

وفى إحدى الأيام – وهو يصلى القداس – رأى ملائكة وبيدهم أوراقاً مكتوبة فيها خطايا الشعب . وهم يُصلُّون إلى الرب ، لكي يتراءف على شعبه ويغفر لهم خطاياهم . وسمع صوتاً من فوق المذبح يصيح به قائلاً : " لماذا لم تعظ شعبك ليكُفُّوا عن خطاياهم ، قبل أن يدركهم الموت ؟ " .

فأجاب قائلاً : " إنهم لم يصغوا إلىَّ " . فقال له الصوت : " لقد أقمتُك رقيباً على الشعب . فالذى يسمع

منك ويتوب ينال المغفرة . والذى يسد أذنيه عن سماع أقوالك وإنذاراتك ، فدمُه على رأسه . وتكون أنت قد خلُصتَ من ذنبه " .

ثم روى التلميذ هذا الخبر الآتى : " أن قرية كانت قريبة من أدكو تعبد الأوثان . وكان أهلها يخطفون أولاد المسيحيين ، ويقدمونهم ذبيحةً لآلهتم " .

" وحضر إلى أبينا الأسقف كهنة تلك الجهة . وأعلموه بما يأتيه عبدة الأوثان . فأسرع إلى هناك وهمَّ بالدخول إلى هيكل هؤلاء القوم . فمنعناه لأننا فزعنا من مناظرهم المرعبة والسيوف التى تلمع فى أيديهم ، ولكنه أصرَّ على اقتحام الهيكل . وفيما هو داخل كانوا يصرخون في وجهه قائلين : ما شأنك بنا ؟ إن آلهتنا تخبرنا إنك تُبغضنا . فارحل عنا ". فقال لهم : " لا أرحل حتى تقولوا لى : لماذا تخطفون أولاد المسيحيين وتقدمونهم ذبيحة لألهتكم ؟ " .

فقالوا : " إن الذى وصل إلى سمعك هو كذب . فقال لهم " إذا كان كما تقولون . فدعونى أدخل لأرى المذبح ".

وفتحوا لنا ودخلنا . ويا لهول ما رأينا ! فقد رأينا عشـــرين رجلاً يتقدمون لإعدامنا . فصرخت فى أبى أن يصلى إلى الله لكى يُنقذنا . فطمأننى قـــائلاً : " إن الله لا يتركنـــا ولا يتخلىّ عنا " .

" وقبل أن يضعوا أيديهم علينا ، شعرنا بحركة مـــن جهة الباب . فالتفتنا وإذا بويصا تلميذ القديس الأنبا شنودة (رئيس المتوحدين) يدخل علينا ومعه أربعة عشر راهبـاً . وقد قبضوا على كاهن هذا الوثن ومن معه . وصلُّوا إلـى الرب . فنزلت نار من السماء ، وأحرقت هـــذه الأصنـام وعابديها. وعلى أثر خروجنا اشتعلت النار بمعبدهم هـذا ، فأتت عليه " . وكان الوقت قد أمسّى حين انتهى بينوتـــن من التحدث عن أبيه . فذهبوا إلى حيث ينامون[١] .

+ + +

---

(١) تاريخ القديس مقاريوس أسقف ادكو ، بقلم البابا ديوسقورس .

الفصل الرابع

فى القسطنطينية

وأشرقت الشمس فوجـــدوا أنفســـهم بجـوار ميـنـــاء القسطنطينية . فخرجوا قاصدين قصر الملك . وفيما هـــم فى الطريق تقدم بطرس شـــماس الأب البطريـــرك مـــن القديس مقاريوس وقال له : " إن ثيابك رثّة ونحن ذاهبـون إلى الملك " . فأجابه : " صدقنى يا أبى إن قلـــب الملـــك بخصوص الإيمان أقذر من ثوبه . واللباس الحقيقى هـــو لباس المجد الذى يُلبسنا إياه السيد المسيح له المجد " .

ولما دخل الأب ديوسقورس ومن معه القصر الملكـــى، تطلع وراءه فلم يجد القديس مقاريوس . وعلم أن الحـاجب منعه لرثاثة ملبسه . فهرع إلى الباب وقـــال للحـــاجب : " دعه يدخل لأن كتبى معه . ودخل الأب ديوسقورس إلى محل الاجتماع . فوجد أن عدد الأساقفة كبير جداً . وكـان من بينهم أناطوليوس بطريرك القسطنطينية ومكســـيموس

بطريرك إنطاكية ويوبيناليوس أسقف أورشليم ومرقس أسقف أفسس " .

ولما بدأ الاجتماع فى حضرة الملك مرقيانوس ، افتتح الأب ديوسقورس الكلام قائلا : " ماهو الداعى لعقد هذا المجمع الهائل ؟ وما الذى ينقصه الإيمان حتى يجتمع هذا العدد العظيم الذى لم يجتمع مثله قط " . فقال الملك : " لقد جمعت هذا المجمع لتوضيح الأمانة " .

فأجاب ديوسقورس : " إن الأمانة واضحة كاملة ، لا يعوزها شئ من الإيضاح . وهى مقررة ومثبتة من الآباء ألكسندروس وأثناسيوس وثاؤفيلس وكيرلس الإسكندريين ، ويوليوس وكالستينوس أسقفى رومة " .

فقال ابلانيوس : " لقد مضى الأولون وأصبح كل شئ جديدا " . فقال الأب ديوسقورس : " وأنا لا أغير ماوضعه الأولون " .

وأراد الملك مرقيانوس أن يختصر الطريق ، فأشار على أحد نواب أسقف رومة أن يقرأ رسالة لاون . فوقف فى مواجهة المجتمعين وتلاها وقد جاء فيها ما يلى : –

" ... ثم ولكيما الطبيعة الغير قابلة التألم (اللاهـــوت) توفى دين جنسنا ، اتحدت مع الطبيعة القابلة الآلام ، حتى كحسب ما كان يطابق ، لمعالجة أسقامنا يسوع المســيح ، الإنسان الوسيط بين الله والناس ، يجعل له ســـبيلا إلــى الموت فى الطبيعة الواحدة ، حيث كان منزها عن المـوت فى الطبيعة الأخرى .. ليس يوجد البتة فى هـــذا الحــق كذب ، إذ هما موجودان بعضهما مع بعـــض : اتضـــاع الإنسان (المسيح الكلمة) وعلو الألوهية .. كل واحدة مــن الصورتين تفعل ما يختص بها ، بالإشتراك مع الأخرى . أعنى الكلمة يفعل ما يختص به الكلمة (Logos) واللحــم يكمل مايختص به اللحم . فالواحد من المذكورين يبـــهر بالمعجزات والآخر مُلَّقٍ للشتائم " .

وبعد الفراغ من قراءتها قال الملك مرقيـــانوس : " هــذا كتاب لاون وأمانته (معتقده) وهو كبيركم " .

فللحال نهض الأب ديوسقورس وقال : " لقـــد كــان سطانائيل كبير الملائكة . ولما تكبر سقط وصار شيطانا .

وهكذا لاون . إذا كان ذا إيمان مستقيم فـــهو أب كبــير ، ومفضل ومبجل . أما إذا حاد عن هذا الإيمـــان المســـتقيم فإنه يسقط كسطانائيل " .

وغار الأب ديوسقورس غيرة إيليـــا وصـــرخ فـــى المجتمعين قائلا : " ابعدوا هذه الرسالة من وســطنا ، وإلا حرمت هذه المدينة وانصرفت " . ونـــزل صــوت الأب ديوسقورس عليهم كرعد قاصف . ذلك لأنه صوت الحــق يناديهم على فمه ، فاستولى عليهم ذهول . ولـــم يســتطع واحد منهم أن يفتح فاه أمام الأب ديوسقورس .

ولكن ثاودوريطس النســطورى أســقف قــورش – وعدو القديس كيرلس الألد – انتهز هــذه الفرصـــة وأراد إظهار وجوده كأنه غير محروم ، معَ مَــنْ حُرِمُــوا مـــع نسطور . وصاح فى الأب ديوسقورس قـــائلاً : " نحـــن مسيحيون وأمانتنا هى أمانة لاون الذى قال : " إن المســيح من بعد الاتحاد طبيعتان ، الواحدة تعمـــــل المعجـــزات ، والأخرى تقبل الآلام " .

فقال الأب ديوسقورس : " إن فى هذا لعجَباً . كيف يُسمَح لهذا النسطورى المحروم -ومع أمثاله المقطوعين - بالحضور فى هذا المجمع ؟ لقد ظهر لنا أنكم الآن تدبرون مؤامرة ضد الإيمان المستقيم . ولكن تعاليم الآباء القديسين ستحبط عملكم وماتنوونه . اسمعوا يا هؤلاء ماذا قال أبى كيرلس ؟ : " إن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو كاتحاد النار بالحديد . فإذا ضرب الحديد بالمطرقة ، فإن الحديد هو الذى يتأثر ولكن النار لا يلحقها شئ (ألم) من ذلك " .

فصاح جماعة من الأساقفة : " أمانتنا هى أمانة ديوسقورس ". فأشار إليهم أن يسكتوا . ثم قال :" أتعرفون ما فى الأناجيل ؟ أجابوا : " نعم " . فقال : " لما دعى السيد المسيح إلى عرس قانا الجليل ؟ دُعِيَ على أنه إنسان أم إله ؟ " . أجابوا " دُعِيَ على أنه إنسان " . فقال : فلما حول الماء خمرا ، فعل ذلك على أنه إنسان أم إله ؟ " أجابوا : " الأمر ظاهر على أنه إله " . فقال : " أفعلمتم إذن أنه واحد بلاهوته وناسوته. وأن لاهوته لم يفارق

ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . وأنه صانع العجائب . وقابل الآلام بإرادته . وأنه ليس باثنين بعد الاتحاد " ؟.

فصاح الجماعة ثانيا قائلين : " يحيا الملك " . أمانة ديوسقورس هي المستقيمة . وليس غيرها أمانة ، فأبعدوا عنا المارقين " . وغضب الملك من ذلك . وصاح في وجه الأب ديوسقورس قائلا : " لم أجد في هذا المجمع من يتجاسر على الكلام من غير أن يطلب منه إلا أنت . ألعلك أنت وحدك المدافع عن الإيمان ؟ " .

فصاحت جماعة من الأساقفة : " ما يقوله البطريرك ديوسقورس هو قولنا ، فقد جعلناه لساننا " . وعجز مقاوموا الحق من النسطوريين واللاونيين (المؤيدين لروما) عن الثبات أمام الأب ديوسقورس . ومقارعة حجته بمثلها . وأرادوا أن يداروا فشلهم . فطلبوا من الملك أن يؤجل الاجتماع إلى موعد يحدد في مابعد .

+ + +

الفصل الخامس

ديوسقورس فى ضيافة قائد الملك والقس لوقا

ولما انصرف المجتمعون تقدم رجل محب للإله يسمى نيكيتا (Necetas) القائد . وكاهن مبارك يدعى القس لوقا ، من الأب ديوسقورس ، وطلبا منه أن يشرفهما بنزوله عندهما . فذهب أولا ومعه القديس مقاريوس أسقف ادكو - السابق ذكره - إلى بيت هذا القائد التقى .

وكان لهذا القائد ابن يدعى ميصائيل موظف بالقصر الملكي . وكان متقدما على جميع من بالقصر ، لثقة الملك والملكة به . فهذا حضر إلى بيت أبيه أعلم الأب ديوسقورس بما حدث فى القصر بعد انصراف المجتمعين فقال : " بعد انصرافكم اجتمع الأساقفة المقطوعون ونواب أسقف روما بالملك . وقالوا له : " إن ديوسقورس عنيد الرأس ، لا ترهبه شدة ولا يخيفه وعيد ، ونحن نرى أن تأخذه جلالتكم بالهوادة واللين ، وتظهر له من التبجيل

مايجعله يخضع لمشيئتكم . ولعل هذه الطريقة هى المثلى لأجتذابه إلى جانبنا " .

" وسمعتهم أيضا يشيرون عليه بقتل ذلك الشيخ الأسقف القبطى " . فقال له الأب البطريرك : " إن الله الذى يحفظ عبيده المخلصين ويُنجّينا من شرهم " .

وكان بالقصر الملكي قائد عظيم ، وهذا كانت له زوجة برصاء . فدعاها أن تذهب معه إلى حيث القديس مقاريوس ، ليضع يده عليها فتبرأ . لأنه سمع أنه وضع يده على عينى الغلام نكيتا فأبصرتا . فقالت له : " أَلَمْ تمس شيئاً من أعضائه " ؟ فأجابها : " لقد أخذت يده ووضعتها على رأسى " .

فأمسكت بيد زوجها ووضعتها على رأسها . وقالت وهى ممتلئة إيمانا حارًا :" باسم إله هذا القديس الذى لمس يد زوجى ، الإله الذى جعل العمى يبصرون والبرص يطهرون . يشفى هذا البرص من وجهى " . وللحال شفيت . ففرِحا كثيراً . ومجّدا الله .

وأسرعا إليه فى بيت القس لوقا وسجدا أمامه وصارا يُطوِّبانِه . ولكنه قال لهما بحدة : " ما الذى لكم معى أو لى حتى أدخل بيتكما وأنا لا أعرف مَنْ أنتما ؟ " . فقال له القائد : " نعم إنك لم تدخل بيتنا ، غير أن نعمة الله فيك قد أبرأت زوجتى". فقال القديس :" اشكر الله الذى شفاها".

ودعا بطريرك القسطنطينية الأب ديوسقورس لحضور الصلاة فى الكنيسة. فذهب مع القديس مقاريوس. وعند عودتهما إلى بيت نكيتا القائد تقدم ميصائيل ولده من الأب البطريرك ديوسقورس . وأعلمه أنه من أربعة أيام أوعز المقطوعون إلى الملك أن يستحضر نسطور من منفاه . فقال القديس مقاريوس : " لن يحضر لأنه مات من أربعة أيام " . فسأله الأب البطريرك ديوسقورس : " من أين علمت بذلك ؟ " فأجابه القديس مقاريوس : " منذ أربع ليال رأيت فيما يرى النائم ، أننى جالس في قصر دلجة مع القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ، الذى دعوناه للحضور معنا ، واعتذر لشيخوخته . ورأيت

نسطور يقدم له مبلغا من المال ، ليوزعه على الفقــراء .
فلم يقبله منه ، إلا إذا اعترف بأن العذراء أم الله " .

فقال نسطور : " إن مائتى أسقف لــم يســتطيعوا أن يميلوا قلبى إلى هذا القول ، وأنت تريد منى أن أقــول إن إمرأة ولدت الله ؟ " . فقال له القديس الأنبا شنودة : " أنـت محروم وفضتك معك للهلاك " .

وللوقت ضربه ملاك الرب . فلبث ثلاثة أيام يعــانى آلام المرض المبرحة ، من قُرَحة فــى لســانه ومــات . فودعنى الأنبا شنودة وقال لى : " قل للأب ديوســقورس : " إننى سوف لا أراه إلا عند الرب يسوع " . ثم صحــوت من نومى .

وقد تم هذا القول لأن الرسل عادوا بغير نســطور ، وهم يقولون بما أصابه من المرض الصعب .

وسمع الأب ديوسقورس بوجود سفينة تقل تجاراً مــن أهل دوناسة . ففرح واستدعى أحدهم وكان يسمى بنوتـان. وكلفه بأن يأخذ معه القديس مقاريوس حين عودتــه إلــى

مصر . ولما حان وقت السفر تعانق الأب البطريرك والأسقف الشيخ القديس ، وبكيا بكاء مرا لافتراقهما .

وودع الأب ديوسقورس الأسقف قائلا : " أرجو أن تذكرني في صلواتك المقبولة ، لأني في حاجة إليها في هذه الأيام المظلمة ، وخصوصا أنني قد صرت كحمل بين ذئاب مفترسة . وأنا أعلم أنك ستنطلق إلى السيد المسيح قبلي . فقل لأبي كيرلس : " إن ديوسقورس موجود بين جمع من الأسود الضارية " . وقل له أيضا : " إن هذا هو الوقت الذى أحتاج فيه إلى صلاتك . وقل لأبى أثناسيوس أن يضاعف روحه على . وقل لأبى بطرس (خاتم الشهداء) الإسكندرى إننى محتاج للسانك ، أدافع به عن الأمانة المستقيمة . وقل لآبائى القديسين إن ديوسقورس لم يعبث بشئ من الإيمان . وأنه يبنى على الأساس الذى بنيتم عليه . وقل لأبى كيرلس (الكبير) شبل الليث الذى دحر نسطور الكافر ، عن الظلم الذى نقاسيه ،

والضغط الذى نحن فيه . وهـــوذا أنـــا أرســلك كهديــة تتقدمني. أذكرني أمام القديسين . وأنـــــا علـــى يقيـــن أن ملائكة السماء ستتلقاك بالفرح والتهليل ، لأنك شــــاطرتهم عفافهم . وسيرحب بك الأنبياء لأن روح النبوة قد اســــتقر عليك . فغرت غيرة إيليا ، وحطمت الوثن الذى كان فـــى مقاطعتك . وقد ماثلت أليشع حيث طهرت البرص مثلـــه . ومثل الرسل لأنك قاسيت الألـــم مثلــهم فـــى جـــهادهم . وكالشهداء لأن دمك سوف يسفك مــــن أجـــل الإيمـــان ، والبتوليين لبتوليتك " .

وكانت هذه الكلمات تخرج من فم الأب ديوســــقورس وهو يذرف الدمع الكثير . فطلب إليه القديس مقاريوس أن يكف عن هذه الأقوال . وباتضاع قال إنه : " لا يســـتحق شيئا منها ".

وأوصى الأب ديوسقورس بينوتـــن تلميـــذ القديـــس مقاريوس أن يعتنى به كثيرا . ثم التفـــت إلـــى أصحـــاب

المركب وأوصاهم أن يعتنوا به قائلاً : " إنهم قد حصلوا على كنزٍ ثمين " . وطلب القديس من الأب ديوسقورس أن لا ينساه فى صلواته . وكان يودعه بصوت عالٍ ، حتى غابت السفينة فى البحر .

وصل القديس مقاريوس إلى الإسكندرية . ونال إكليل الشهادة بيد أعداء الإيمان المستقيم ، كما سيجئ بعد قليل .

+ + +

الفصل السادس

ديوسقورس يُصفَع لأجل الإيمان

علمنا فى أول الفصل السابق أن الأساقفة المقطوعين أوعزوا إلى الملك مرقيانوس بأن يأخذ الأب ديوسقورس باللين. وأن يُظهر له من التعظيم مايجعله يخضع لمشيئته، ويقبل رسالة لاون ، ويعفو عن الأساقفة المقطوعين . وارتاح الملك لهذه المشورة . ودعا الأب ديوسقورس

بطريرك الإسكندرية. وأناطوليوس بطريرك القسطنطينية. ومكسيموس بطريرك إنطاكيـــة . ويوبينـــاليوس أســـقف أورشليم . ومرقس أسقف أفسس . وثلاثة مـــن الأســـاقفة المقطوعين .

وأعد لهم ثمانية كراسٍ فى البلاط الملكى أمام عـرش الملك . وأعد كرسياً للملكة بلخارية ويفصله عـــن بـــاقى الكراسى ستارة . ولما جاء هؤلاء الآبـــاء لـــدى الملـــك وجلسوا على هذا الوضع ، وقف أحد الأساقفة المقطوعيـن وقال : " إن الملك مُحِب لكم ، وراغب فى صلواتكم ، فلا تخالفوه ولا تُبغضوه " .

وعرف الأب ديوسقورس النيَّة المُبيَّتـــة مـــن هـــذه المظاهر الخلاَّبة . والغرض الخفى مـــن هـــذا التكريـــم المُصطَنع . فلم تؤثر فيه هذه الحفاوة . ولكنه فـــى ســـبيل المحافظة على الإيمان القويم تناسى كل هذا ، ووجه فِكـره نحو غرض واحد ، هو الثبات علـــى مبـــدأ الـــذود عـــن حظيرة الإيمانِ ، حتى لا يسطو عليها هؤلاء المقطوعين.

فوقف وقال بصوت عالٍ ولم ترُهِبه سطوة الملوك ولا أخافه بطشهم : " ونحن أيضاً أكثر محبة للملك ونتمنى له الخير والصلاح دائماً ، مع طول الحياة . راجين أن لا يكون عليه خطية ولا ذنب ، من جهة الدين. وألا يكون عليه دينونة فى يوم الحساب. ولقد أعطاه الله من الكرامة والاهتمام بتدبير المملكة ما يغنيه عن البحث فى الأمور الدينية التى نرغب ألا يشغل قلبه بها " .

وخاب ظن المقطوعين ، لأن الأب ديوسقورس لم يتأثر بهذا التبجيل . فقد كان صاحياً واعياً لما ينوونه ، ولذا فقد قطع عليهم الطريق بهذا القول المُفحِم ، حيث قد أعطى للملك درساً نافعاً له فى ماهو مطلوب منه ، ومفروض عليه . وأرادوا أن يداروا فشلهم . فتداولوا مع الأب ديوسقورس بخصوص قبول رسالة لاون . ولكنه لم يلتفت إلى كلامهم ووجه الكلام إلى الملك قائلاً : " لا يصغِ الملك إلى قول لاون ، لأنه بأمانة غير مستقيمة . ولا يقبل زيادة أو نقصاً على الأمانة المستقيمة وضعها الآباء القديسون " .

وأغاظ الملكة بلخارية تشبُّث الأب ديوسقورس بالأمانة الصحيحة . ولاحظت العجز البادئ من الملك والأساقفة المقطوعين ، في إقناعه بالعدول عن مقاومة الملك . وعدَّت هذا تعالياً على ملكٍ ، مفروض فى هؤلاء الأساقفةِ الخضوع له ، بما فيهم ديوسقورس . ولكن قوة حُجة ديوسقورس قد أثارت حفيظتها . فجعلتها تخرج عن احتشام الملكات وترفع صوتها ، موبخة للأب ديوسقورس وقائلة : " لقد كان فى أيام والدتى إفدوكسيا إنسان متكبّر مثلك (تقصد القديس يوحنا ذهبى الفم) وأنت تعرف أنه لم يرَ من جرّاء مخالفتها خيراً. وأرى أن حالك سيكون مثله". فلم يُروِّع الأب ديوسقورس هذا التهديد .

فرد عليها بشجاعة قائلاً : " وأنتِ أيضاً تعرفين ماذا أصاب والدتكِ ، لاضطهاد هذا القديس ، وكيف ابتلاها الله بالمرض الشديد ، في الموضع الذى تعرفينه . ولم تجد لمرضها هذا دواءً ولا علاجاً ، إلى أن مضت إلى قبره وبكت عليه ، وحملت جسده إلى هذا المدينة

(القسطنطينية) بكرامة عظيمة ودموع كثيرة. فتحنن الرب عليها بالشفاء. وها أنا بين يديكِ فافعلي بي ما تريدين ، وستربحين ما ربحته أُمكِ " !! .

فأهاجها كلامه هذا وما قاله عن والدتها . ورفعت الستر ، ومدت يدها ولطمته بغيظ شديد على فكه ، لطمةً قوية ، حتى أنها قلعت من فيه ضرسين . وللحال تألب عليه بعض من الحرس والأساقفة المقطوعين ، وأوسعوه ضرباً موجعاً . وأمعنوا في السُخريَّة منه والهُزء به . حتى أنهم نتفوا شعر لحيته . وقد لحق به من الهوان والتحقير – في ذلك اليوم – الشئ الكثير . وكان يقول في أثناء ذلك مع الرسول : " من أجلك نُمات كل النهار[1] ".

وغضب الملك لِمَا سمعه مُوبخاً زوجته بلخارية. وترك الاجتماع وتفرق كل واحد من الحاضرين إلى مقر إقامته . أما الأب ديوسقورس فقد وضع الضرسين

---

(١) رو ٨: ٣٦ .

والشعر، الذى قُلِعَ من لحيته فى لفافة ، وأرسلها إلى شعبه بالإسكندرية مع رسالة يقول فيها : " هذه ثمرة جهادى لأجل الإيمان . واعلموا أنه قد نالتنى آلام كثيرة فى سبيل المحافظة على أمانة آبائى القديسين . أما أنتم الذين بنيتم إيمانكم على صخرة الإيمان القويم . فلا تخالفوا السيول الهرطقية ولا الزوابع الكُفريَّة[1] " .

+ + +

الفصل السابع

مؤامرة الأشرار

أغاظ الملك مرقيانوس أن يتجاسر الأب ديوسقورس على مُجاوبة الملكة بهذا الكلامَ ، الذى اعتبره مهيناً لها .

وحزنت بلخارية لأن البطل الإسكندرى قد كسر كبرياءها . وبلغ منها الحزن مبلغاً جعلها تفكر فى طريقة تُذلّه بها ، لأنها تصورت كما خيّل لها الوهم أن سمو

(١) تاريخ المجامع لابن المقفع ، وتاريخ المجامع للمنبجى .

مركز ديوسقورس وقوة سلطانه على قلوب شعبه سيقضيان على مالها من هيبة الملك . فأرادت أن تعرفه قوة شأنها وشدة بطشها . فعزمت على استدعائه وإملاء إرادتها عليه . فإن أطاعها فقد نالت بغيتها ، وإن خالفها فلن يجد إلا الذل والهوان ، لأنه عصى ملكه . وأسعفتها الفرصة بما حصل من الخلافات الدينية .

فاستدعته وطلبت منه حل الأساقفة المقطوعين ، وقبول رسالة لاون . ولكن ظنها قد خاب . لأن بطل الأرثونكسية العظيم لم يغتر بوعدها . كما لم يرهبه وعيدها . ولذا كان فشلها عظيما ، وحزنها أعظم .

وكان من نتيجة ذلك أن ثارت ثائرتها ، وأقسمت أن تنتقم من هذا العنيد ، مهما خالفت في ذلك كل الشرائع والقوانين السمائية والأرضية !! .

وذلك أنها استدعت – مع مرقيانوس زوجها – الأساقفة المحرومين . وتآمروا على الأب ديوسقورس . وتداولوا في الطريقة التي بها ينتقمون منه . فعرضت

فكرة قتله وإراحة بالهم منه . ولكن عقبة قامت فى سبيل هذه المشورة الشريرة . حيث لم تجرِ العادة بقتل البطاركة المخالفين . بل كانوا ينفون بواسطة الملوك . إذن ماهى الحُجّة التى تُقام على ديوسقورس ، لتُتخذ ذريعة لنفيه ؟!.

وفكر الأشرار فى ذلك كثيرا . وتداولوا طويلا ، حتى اهتدوا إلى هذا القرار : وهو أن يعقد الملك مجمعا يكون أعضاؤه ضعف أعضاء مجمع نيقية . وأن يختار الملك من جيشه القواد الجبابرة والجنود الأقوياء . وأن يتقلدوا أسلحتهم ، كمن يذهبون إلى ميدان القتال ، حتى يدخلون الرهبة فى قلب هذا العنيد ، فيرجع عن التشبث برأيه . ولأن الأساقفة المحرومين يعرفون من أنفسهم الضعف والوهن أمام حجة الأب ديوسقورس. فقد أثاروا على الملك أن يصدر أمره لمندوبيه ألا يسمحوا بمناقشته فى أمر الإيمان . وأن يقتصر البحث فى إعادة المقطوعين ، وقبول رسالة لاون !!.

وصدر المرسوم الملكى بذلك فقصد الأســـاقفة إلـــى مدينة خلقدونية ومعهم مرقيان الملك وزوجته بلخاريـــة ، مصحوبين بالقوات المسلحة ، كمن يذهبـــون حقـــا إلـــى محاربة الأعداء.وتجرِى الدماء أنهاراً . كل ذلك لإيقـــاع الرهبة فى قلب البطل الإسكندرى ، حينما يرى نفسه فـــى جانب ، والكل فى جانب آخر . وقد أحيط بـــهذا الجيـــش المدجج بالسيوف . وعندئذ يرفع فى وجههم راية السلام . وإلا فالويل له .

ولم يدْرِ هؤلاء المساكين أن القاعدة الحربية التى تقول: " الويل للمغلوب " قد طُبِّقت عليهم . حيث قد صمد بطلنـــا أمام أعداء الحق . وكان يتقبل الطعنات من كل الجـهات ، فيردها إلى صدر مُصوِّبيها ، حتى غلبهم . فسقطوا فـــى دماء فشلهم . وخرج بطلنا الإسكندرى من هذه المعمعـــة حاملا لواء النصر ، ومتوجا بإكليل الظفر. كما سترى فـى الفصل التالي.

+ + +

القسم الرابع

مجمع خلقدونية (٤٥١م)

الفصل الأول

أرادوا ولكن غير ما يريد الله

لكنيسة رومية أسلوب خاص فى التبجح والمغالطة فى كل عقيدة تريد فرضها على سواها . ولا تشعر من ذلك بظلم ، إذ عادت عليها مكابرتها بالفشل فى تحقيق أغراضها . ولا يتسع المجال لسرد مغالطاتها .

ولكنا نُجزِّئ بواحدة منها وهى : أنه ظهر فى عالم المطبوعات كتاب باسم : " تاريخ المجمع الخلقدونى " ترجمه من اللغة اللاتينية إلى العربية الراهب فرنسيس اللاتينى وطبع بمدينة رومية سنة ١٦٩٤م . وتأمل أيها القارئ العزيز ماكتبوا على غلافه . لقد كتبوا:" أنه طُبِعَ لكى طائفة القبط المكرمين وطوائف الحبش الموقرين وغيرهم من طوائف الشرقيين المغرورين بحيلة حزب

أوطاخي وديوسقورس السالفين ، يبلغوا معرفة أصول اجتماع هذا المجمع .. ويتفقوا بودة (لعله يقصد بوحدة) مع الكنيسة الرسولية الرومانية الخ " .

يريدون بذلك من القبط أنهم عندما يقرأونه سيعرفون أن أبينا ديوسقورس كان على ضلال ، وأن الحق في جانبهم ، حتى إذا عرفنا ذلك نهتدى إلى حقهم المزعوم وننبذ البابا ديوسقورس .

وعلى هذا القصد ، ترجم الكتاب إلى العربية ووُزِع . ولكن سرعان ما خاب ظنهم وانقلب عليهم قصدهم ، لأن القبط لما قرأوا هذا الكتاب ، وجدوا أن الحق في جانب الأب ديوسقورس . كما وجدوا أن براءة ديوسقورس سلاحا حادا ، وصاروا يوجهونه إلى صدر اللاتين . وشعروا هم بفشلهم في هذه المحاولة . فرجعوا على أعقابهم نادمين على إذاعتهم هذا الكتاب . وبذلوا أموالا طائلة لجمع النسخ التي وزعت (١) .

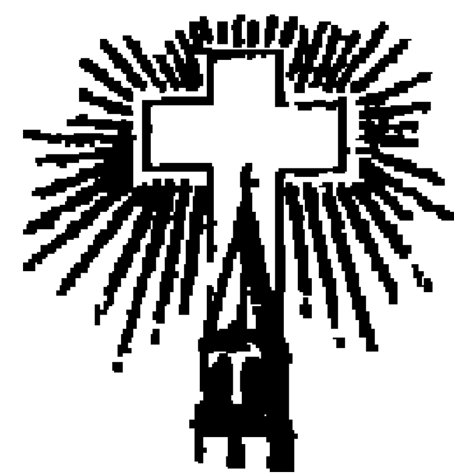
---

(١) اسيذيروس ، الخريدة النفيسة ، طبعة ثالثة ، ج١: ص ٤٩٧ .

ولكن الحق دائماً يكون ساطعاً كالشمس فـــى رابعــة النهار . لا تستطيع كف الإنسان حجبها مهما حاولت . فلــم يتمكنوا من تلافى هذه الغلطة الفظيعـــة التـــى اقترفوهـــا بإذاعة هذا الكتاب على الشـــرقيين ، لأن الكثـــيرين قــد احتفظوا به ، كما يحتفظ المجاهد بسيفه لساعة الحرب .

وعلى هذا ، فأننا لا نريد مُنازلتهم بما بين أيدينا مـــن حقائق تاريخية ، لا يعرف الشك إليـــها ســبيلاً . ولكننــا نجعل من كتابهم هذا سلاحاً نقارعـــهم بـــه . ولا تتســع صفحات هذا الكتاب ، لسرد ما سُطّر فيـــه عـــن أعمـــال مجمع خلقدونية ، ولكننا نقوم بتلخيص ماحصل فى هـــذا المجمع ، مما يخص البابا ديوســـقورس ، والتُـــهَم التـــى وَجِهت إليه ، وما يبطلها من الكتاب نفسه .

+ + +



الفصل الثانى

مجمع خلقدونية

- **خلقدونية :** Chalcedon كانت مدينة قديمة فى آسيا الصُغرى فى مدخل بوغاز البوسفور . بُنيت حوالى سنة ٦٨٥ ق. م تجاه المكان الذى بنوا فيه بيزنطية ، بعد ذلك بسبع وعشرين سنة . وفى القرن الثانى قبل الميلاد نقلوا سكانها إلى نيقوميدية . ثم أعيدت عمارتها أيام يوستينيانوس . وكانت أكبر مدن مقاطعة بيثنية فى آسيا الصُغرى . وقد خربها العثمانيون . ولم يبّق منها إلا قرية صغيرة حالياً باسم قاضى قُرة .

هذه خلقدونية التى اجتمع فيها مجمع مرقيان وبلخارية ورجال لاون . وسأحاول هنا أن أُلخِص ما حصل فى هذا المجمع ، مما يتعلق بمحاكمة البابا ديوسقورس . وسيجد القارئ العزيز ، كيف لُفِقّت التُهم ضده ؟ وكيف وقف هذا البطل يناضل بسيف البرهان

الكتابى ، حتى هزمهم جميعا ؟! . ولكى يــواروا خزيــهم حكموا عليه بالعزل ، لأنه لم يحضر إلى المجمــع . مــع أنهم كانوا حاجرين عليه بواسطة الحُرّاس ، الذين أوقفوهم على باب المكان الذى كان به .

- **أما كيف اجتمع هذا المجمع فكان هكذا : -**

في اليوم الثامن من تشــرين الأول (أكتوبــر) ســنة ٤٥١م[١] في عهد فالنتيانوس (الرومـــانى) ومرقيــانوس (البيزنطى) اجتمع هذا المجمع فى كنيسة القديسة أوفيميــة بحضور الملك مرقيانوس والملكة بلخارية ، وتسعة عشــو رجلا مـــن القنــاصل والرؤســاء والضبــاط والقضــاة والسكرتيريين .

---

(١) اجمع كل من : لومند اليسوعى ج١: ٢٥٨ وتاريخ ســوريا ج ٤: ٤٠٤ وبوتشر ج١: ٥٢ وتاريخ الانشقاق ج١: ٢٢٦ علـــى أن يوم افتتاح هذا المجمع كان فى الثامن من تشرين الأول ، بخـــلاف كتاب مجمع خلقدونية الذى يقول إنه كان فى اليوم السادس . ولقــد أخذنا التاريخ الخاص بالمجمع عن الإجماع .

ومن الآباء المشهورين الذين حضروه باسكاسينوس ولوشنسيوس الأسقفين ، والقس بونيفاسيوس ، نواب أسقف رومة ، وأناطوليوس أسقف القسطنطينية ، وديوسقورس المُكرّم [(١)] أسقف الإسكندرية ومكسيموس أسقف إنطاكية ، ويوبيناليوس أسقف أورشليم. وقد بلغ عددهم ستمائة وثلاثين أسقفاً .

ولما وقف مرقيانوس الملك ، وتلا عليهم خطاب العرش . مقلداً فى ذلك الملك البار قسطنطين الكبير ، حينما افتتح مجمع نيقية . فقال : إن غايته من الحضور فيه بالذات هى لحفظ النظام[(٢)] .

وبعد الانتهاء من تلاوته جلس المجتمعون على هذا الوضع : القضاة فى الوسط . وفى الشمال جلس نواب أسقف رومة وأسقف القسطنطينية وأسقف إنطاكية وأسقف قيسارية الكبادوك وأسقف أفسس وجميع أساقفة المشرق وآسيا الصُغرى وتراكية .

---

(١) لاحظ نعت مجمع خلقدونية لديوسقورس "بالمُكرّم"، واحتفظ به كما سيأتى .

(٢) خلاصة تاريخ الكنيسة ، تأليف لومند اليسوعى ج١: ٢٥٨ .

وجلس على اليمين : **التقى ديوسقورس**[1] أسقف الإسكندرية ، وأسقف أورشليم وأسقف هيراكليا وأسقف كورنثوس وجميع أساقفة مصر وبلاد الصقالبة وفلسطين.

ووقف في الوسط باسكاسينتوس نائب لاون وقال : " عندنا في أيدينا أوامر الحبر الطوباوي والرسولي ، أي بابا مدينة رومية ، التي هي رأس جميع كنائس المسكونة. وهو يأمر بها أن ديوسقورس مطران الإسكندرية لا يكون له جلوس في هذا المجمع . فليكن عبوره إلى هنا كي يجيب عن فعله ، ونحن ملزمون بحفظ ذلك . فالآن ينبغي لعظمتكم أن تأمروا أن يخرج ، وإلا نخرج نحن " .

فأجابه القضاة : " ماهو الأمر الخصوصي الذي يعرض على ديوسقورس الأسقف المكرم ؟ .. فليكشف عن الشكاوى الموجهة ضده " .

فقال النائب اللاتيني لوشنسيوس : " ينبغي له أن يحضر ويرد الجواب عما حكم به ، لكونه لم يكن معه

---

(١) لاحظ أيضا نعتهم لديوسقورس "**بالتقي**" ، واحتفظ به لِمَا سيأتي.

سلطان بهذه القضية وعقد بافترائه مجمعا بغير أمر الكرسي الرسولي!! ".

ولاحظ القضاة أن هذه أقوال فارغة . ومبعثها الغطرسة الفاتيكانية . فقالوا له : " عليكم أن تنبئونا عن ذنب المذكور " .

فأراد هذا النائب أن يوغر صدر القضاة أولا من جهة الأب ديوسقورس ، حتى يستدرجهم إلى العمل برغبته، فقال :" لا نطيق أن يصير لنا ولكم هذا الاحتقار، أن يجلس هذا الذى جاء ليدان " !! .

ولكن القضاة لم تدخل عليهم الغفلة فيقعون فى هذه الخدعة التى حاكها لهم هذا النائب بادعائه أن جلوس ديوسقورس مع الآباء ه تحقير للقضاة . فزجروه قائلين : " إن كنت بمقام قاض لا يصح لك أن تدعى كالمشتكى " .

ولم يجد نواب رومة ما يقولونه إزاء هذا الزجر المفحم ، فلزموا الصمت[1] ونهض أوسابيوس أسقف

---

(١) تاريخ مجمع خلقدونية باب ١٨: ٨٠-٨٣ وتاريخ الهرطقات رأس ٥ ج٤ عدد ٦٣ ص ٢٥٩.

دوريلاوس المعزول مع فلابيانوس لتشبثهما بالقول بالاثنينية بعد الاتحاد ، وقدم للمجمع شكواه من ديوسقورس بأنه حكم عليه وعلى فلابيانوس ظلما . وختمها بطلب النظر فى أعمال المجمع الذى حكم عليهما.

ولما وافق القضاة على ذلك . قال البابا ديوسقورس: " قد أمر الملك التقى باجتماع مجمع . وقد انعقد ذلك المجمع برسمه (بأمره) بل وكل ما حكم به على فلابيانوس ، الذى كان أسقف القسطنطينية ، فهو مذكور في قضية أعمال المجمع ، وأنا أسألكم أن تأمروا بقراءة تلك (نصوص) الأعمال " .

وأمر القضاة بقراءة رسائل الملك ثاؤدوسيوس الداعية إلى هذا المجمع (الإفسسى الثانى) .

- **فقرأ قسطنطين الكاتب :**

أولا : رسالة الملكين ثاؤدوسيوس وفالنتنيانوس إلى البابا ديوسقورس يدعوانه إلى أفسس .

ثانيا : رسالة الملك ثاودوسيوس إلى الباب ديوسقورس بخصوص حضور الأنبا برسوم الارشمندريت (وسبق ذكرها) .

وقال قسطنطين كاتب الديوان الملكى : " إنه توجد رسائل أخرى، لأساقفة آخرين تدعوهم إلى الحضور". ولم يتريث القضاة حتى تقرأ هذه الرسائل ، ولكنهم صرحوا بدخول ثاؤدريطس النسطورى أسقف قورش إلى المجمع " لكون قدس لاون الأسقف رده إلى كرسيه ، والملك (مرقيان) الحليم أمر أن يحضر فى المجمع " .

وهنا قد تجلت عدم العصمة الرومانية . فقد رأينا من هذا أن أسقف رومة لم يتورّع من قبول الهراطقة وأعداء الإيمان ليشدوا أزره . وهكذا يهون الإيمان إلى هذا الحد فى نظر أساقفة رومة ، إذا كان فى ذلك إشباعا لرغبتهم وحطا من شأن غيرهم !!. وزاد الطين بلة أن مرقيانوس قد شايع لاون ، وأمر بدخول هذا الهرطوقى إلى المجمع والجلوس مع الآباء !! .

وأحدث دخوله ضجة هائلة من أساقفة مصر واليونان وفلسطين ، حيث هتفوا قائلين : " ارحمونا ياقوم الآن . الإيمان قد باد . اعلموا أن القوانين تطرد هذا خارجاً. فاطردوه أنتم عنا " .

ورأى المقطوعون أن صوتاً قد ارتفع ، فــأرادوا أن يشوشوا عليه فهاجوا وماجوا وصخبوا وأرعدوا وصــاحوا قائلين : " اطردوا غُرماء فلابيانوس ، اطردوا مضـــادى الإيمان . اطردوا خارجاً ديوسقورس القاتل ، ومن يجــهل أعمال ديوسقورس " !!

وحدث هرج وصياح وعلت الأصوات. فــالمقطعون يقولون . " اطردوا ديوسقورس " . والمصريون يقولـــون عن ثاؤدوريطوس النسطورى : " لا تقولوا إنه أســقف . اطردوا عنا من قــاوم الله . اطــردوا عنــا اليــهودى .. اطردوا إلى خارج من قاوم الله. اطردوا من شتم المسـيح. هذا الإنسان أوجّب اللعن على كيرلس ، وقذف فى حقــه. فإن قبلّناه طرّدنا ورفضّنا كيرلس " .

ورأى القضاة أن هذه الضجة قد زادت فقالوا : هــذه الأصوات نظير صراخ الشــعب ، لا تفيــد نفعــاً لأحــد الجانبين ، فاصبروا إلى قراءة الأعمال " .

فقال المصريون ومن معهم : "يُطـــرد عنـــا واحـــد ونحن من السامعين ، نحن نصرخ لأجل التقوى والإيمـــان الأرثونكسى " .

+ + +

الفصل الثالث

سقوط الدعوى بانفراد ديوسقورس بعقد المجمع ورئاسته

وطلب القضاة قراءة بقية الأعمال . فقرأ قســـــطنطين الكاتب ما يلى : -

١- رسالة الملك ثاؤدوسيوس إلى البيديوس، لحفظ النظام. ورسالة بهذه المعنى إلى أولاج القائد .

٢- رسالة الملك إلى بروكلس حاكم آسيا الصُغرى .

٣- رسالة الملك إلى مجمع أفسس .

٤- رسالة الملك إلى الأب ديوسقورس بمنع ثـــاؤدريطس من الحضور فى هذا المجمع " لكونه تكلـــم فـــى الأمانـــة بخلاف ما كتب كيرلس الصالح نكره " .

ثم أمر أن يُشرِك مع الأب ديوسقورس يوبينـــــاليوس أسقف أورشليم وتلاسيوس الأسقف فى تدبير هذا المجمـــع وأنه كتب ليوبيناليوس أسقف أورشليم بهذا الخصوص .

وعندئذ قال الأب ديوسقورس : " قد علمتم أن الملــك الجليل ليس جعل الأمر لى وحدى ، بل ولىّ على المجمــع يوبيناليوس الأب المبارك وتلاسيوس الأسقف المغبــوط . ومنح لهم التدبير . فنحن بما حكمنا بـــه ، فـــإن المجمــع بأسره أذعن لنا . فلماذا ينسبون إلىَّ وحدى هذه الأمــور ، بينما كان سلطان الثلاثة متساوياً . واستصوَّب المجمع مـــا قد حكمنا به . فأقروا بأصواتـــــهم ووضعـــوا خطوطـــهم بأيديهم (وقعوا) . وأخبَّرنا بذلك الملـــــك تاودوســـيوس ذا الذكر الصالح . وقد ثبت بأمرٍ عام (مرسوم ملكى) كل مـــا حُكِم به في المجمع المقدس [١] " .

وبقراءة مراسيم الملك ثاؤدوســـيوس الداعيـــة لـــهذا المجمع ، قد كان يجب أن توقف افتراءات الحــــاضرين .

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٨: ٨٩ .

ولكن أنى لنا بمن يقنع قاطنى الفاتيكان بأن هذه المراسيم ما كانت تُعرَف لو لم ينشروها هم أنفسهم في كتابهم : " تاريخ مجمع خلقدونية " !! .

والقارئ يأخذه العجب إذ يجد أن البابا ديوسقورس لم يحضر إلى أفسس إلا بناء على أمر الملك ولم يترأس على المجمع إلا بناء على أمر الملك . وقد كان في هذا المجمع مندوبون من قِبَل الملك، ومندوبون من قبل لاون.

ومع هذا ، فإن لاون وأعوانه لم يتورعوا من أن يسموا هذا المجمع " مجمع اللصوص" . وإذا سألتهم : هذا كتابكم يقول إن الملك هو الذى دعا إليه . أجابوا : " ولكن البابا لاون لم يأذن به " . وإذا سألتهم : وإذا لم يكن قد أذن به. فلماذا أرسل نوابا عنه إلى هذا المجمع ؟ وإلى هنا لا تستطيع أن تظفر منهم بجواب ! وإذا ألححت عليهم وإلا اعتبروا كاذبون في دعواهم . أجابوا : " لقد حرقنا هذا الكتاب الذى فيه هذه المراسيم وندمنا على ما فرط منا فى نشره " . شأنهم فى ذلك شأن من أنكروا في مجمع

خلقدونية توقيعاتهم ، مدعين أنهم أرغموا علـــى ذلـك . وسترى دعواهم هذه وتفنيدها فيما يلى .

+ + +

الفصل الرابع

إدعاء الخلقدونيين بوقوع الضغط عليهم ومنع قراءة رسالة لاون

قال العلاّمة المطران يوسف الدبس المارونى : " إنـه لما أجاب الاب ديوسقورس أنه عقد المجمـع الأفسسى وترأس عليه بأمر الملك ثاؤدوسيوس . وأنـه لـم ينفـرد بالحكم فيه ، بل شاركه فيه يوفينال بطريـرك أورشـليم وتلاسيوس أسقف قيصرية . فإن الملك كتب إليـهما مـا كتبه إليه . فلم يلتفت الشرقيون لكلامه بل شكوه بما أجراه عليهم من العنف والضغط فقالوا " هددنا بالنفى وضغـط علينا الجنود بعصيهم وسيوفهم حتى وقعنا علـى ورقـة

بيضاء " . فأجابهم ديوسقورس ساخرا منهم كيف تسنى لكم أن توقعوا على مالم تستوضحوه ؟ [1] " .

هذا ما أورده العلاَّمة الدبس، عما دار في مستهل الجلسة الأولى من مجمع خلقدونية[2] . وتأمل رعاك الله قول الدبس ، عن الأب ديوسقورس عند تنصل الشرقيين من توقيعاتهم بحجة النفى والضغط " فنجد أن الكاثوليك أنفسهم يعرفون عن يقين ضعف هذه الحُجة ، التى تنزع بها أولئك الجُبنَاء الذين يتقلّبُون مع كل ريح "!! .

وستجد فيما يلى كيف صرعهم أساقفة مصر والذين معهم بتلك العبارة التى سجلت عليهم الخزى الأبدى . إذ قالوا لهم : " المسيحى لا يخاف أحدا . الأرثوذكسى لا يرتعب من أحد . فأتوا بالنار ونعلم . ولو أن الشهداء كانوا يخافون من الناس ، لما فازوا بالشهادة " .

---

(١) تاريخ سوريا ج ٤: ٤٠٥ .

(٢) مجمع خلقدونية باب ١٨: ٨٩ .

وحينئذ قال الأب ديوسقورس : " لأنهم قالوا : " إنهم لم يسمعوا بما حكمنا في المجمع". كما أنهم كتبوا أسماءهم على قرطاس أبيض . فقد كان الأحرى بهم أن يمتنعوا عن التوقيع على حكم لم يسمعوه " **لأن الكلام كان لأجل جلالة الإيمان** . وإذا كانوا يحتجون بأنهم كتبوا أسماءهم (وقعوا) على ورق أبيض ، فمن الذى رتب أقوالهم بالموافقة ؟ " .

وانتقل القضاة إلى قراءة بقية الأعمال . وعندما جاء القارئ إلى ذِكْر رسالة لاون التى أرسلها لفلابيانوس ، لتقرأ في المجمع الأفسسى . قال رئيس شمامسة القسطنطينية وأوسابيوس أسقف دوريلاوس وتادرس أسقف كلاوديا : " لم تُقرَأ رسالة لاون " . فسأل القضاة الأب ديوسقورس عن سبب عدم قراءتها ؟ فأجاب : " يظهر من أعمال المجمع إني قلت مرتين : تُقرَأ رسالة أسقف رومية المكرم " .

قال القضاة : ولماذا لم تُقرَأ بعد قولك هذا ؟

أجاب : أسالوا بقية الأساقفة الذين دعوا مثلى .

قال القضاة : قل لنا أنت .

أجاب : اسألوا يوبيناليوس وتلاسيوس الأسقفين .

قالوا : قل أنت أولا ثم نسألهما .

أجاب : أمرت بقراءتها مرتين .

وسأل القضاة يوبيناليوس أسقف أورشليم . لماذا لم تقرأ رسالة أسقف رومية، حيث أن ديوسقورس أمر بقراءتها ؟

فأجاب : " فى ذلك الحين قال القس يوحنا كبير الكتبة إن معه أوامر الملوك الحاكمين . فأمروا بقراءتها " .

قال القضاة : " وهل بعد قراءة رسائل الملوك قُرِئَت رسالة قدس لاون أسقف رومة ؟ ".

فأجاب : " بعد ذلك ، لا كبير الكتبة ولا غيره قال إن معه من أسقف رومية رسالة " .

وسأل القضاة تلاسيوس الأسقف : " لماذا لم تقرأ رسالة لاون ؟ " وهذا قد أستولى عليه الجبن ، فصار يداور فى كلامه حتى أنه شرع يقلل من قدره بأنه لا سلطة له أن يأمر بقراءة أى شئ .

وهكذا تنصّل هذا المسكين من قول الحق ، لأنـه رأى (العين الحمراء) مُحدِقَة بمن يقول به !! .

هذا ماحصل بخصوص رسالة لاون ، التـــى هولّــوا وولولوا على عدم قراءتها بدعوى أن البابا ديوسقورس قد تعمَّد عدم قراءتها . مع إننا نقرأ فى أعمال مجمع أفســس أنه حينما أعلن نواب أسقف رومة أنهم موفدون من قِبلَـــه إجابةً لمرسوم الملك . وأن معهم رسائل عن ذلك للمجمع. قال الأب ديوسقورس : " **يُقَبل ما كتبه قُدس أخينـــا لاون ورفيقنا فى درجة الأسقفية إلى هذا المجمـــع المقـدس العام** " .

ولما قدم مندوبو أسقف رومة مامعهم من الرســـائل ، أعلن كبير الكتبة عن وجود المراسيم الملوكية الأخــرى . فقال الأسقف الأورشليمى . " تُقرأ وتُحفظ الأعمال " .

- **ومن هذا يتضح :**

١- أن الأب ديوسقورس لم يمنع قراءة هذه الرســـالة ، بل أنه قال " يُقبل ما كتبه قدس أخينا لاون ورفيقنــــا فــى درجة الأسقفية " .

٢- وأن الذى أمر أن تسبقها قراءة مراسيم الملك هـــو الأسقف الأورشليمى . وقد قرر هذه الحقيقة عندما سُــئِل فى المجمع الخلقدونى . ولما سأله القضاة . ولماذا لم تُقـرأ بعد رسائل الملك ؟. أجاب : " وبعد ذلك ، لا كبير الكتبـة، ولا غيره قال إن معه من أسقف رومية رسالة " .

ولا تعجب بعد ذلك إذا رأيت اللاونييــن (أتبــاع أســقف روما) يكابرون فــى الواقــع ويبكــون وينوحــون ، لأن ديوسقورس منع رسالة أسقفهم ولا يخجلون أنهم فى ذلـــك كاذبون .

+ + +

الفصل الخامس

عودة إلى توقيعات الأساقفة وإنكارهم إياها

سبق القول عن ادعاء أولئك الأساقفة المساكين أنــهم وقعوا مُرْغمين - تحت الضغط والإرهاب - علــى ورق أبيض، وكيف أن أساقفة مصر ، ومن معهم قد أفحموهــم بقولهم لهم : " المسيحى لا يخاف أحداً ... الخ " .

وعندئذ سكتوا إذ لم يجدوا ما يقولونه ، ولكنهم قد رجعوا إلى التبجح بإنكار توقيعاتهم . فإنه لما قرأ كاتب مجمع خلقدونية أقوال ألبيديوس مندوب الملك ثاؤدوسيوس. وطلب ديوسقورس فحص الأمور التى حدثت (بين أوطيخا وفلابيانوس) وطلب أيضا أن لا يتعدى الفحص هذه المسألة ووافقه المجتمعون على ذلك قائلين : " إن جدد أحد يكون محروما . إن فحص أحد (فى إيمان القديسين السالفين) يكون محروما . تحفظ أمانة (إيمان) الآباء الأطهار " .

وهنا قال أساقفة الشرق : " لم نقل هذا واتهموا كتبة ديوسقورس : " بأنهم وحدهم الذين كتبوا الأعمال . فقال القضاة:"فلمن إذن الخط الذى كتبت به ؟ ومن الذى كتبها؟.

فأجاب ديوسقورس وقال : " كل واحد من الأساقفة كان له كتبة . فكتبتى كتبوا نسختى وكتبة يوبينااليوس الأسقف كتبوا نسخته. وكتبة تلاسيوس الأسقف كتبوا نسخته . وكان كتبة كثيرون للأساقفة الآخرين ، وكلهم

كتبوا (محاضر) الأعمال ، وليس كتبتي وحدهم هم الذين كتبوها ، لأن كل واحد كان له كاتب (سكرتير) خصوصي " .

وأجاب يوبيناليوس : كان لي كاتب فقط . وقد كتب مع الآخرين .

وأجاب تلاسيوس الأسقف : " وأنا أيضاً كان لي كاتب واحد . وقد كان يكتب مع الآخرين " .

وعندئذ قال الأب ديوسقورس : " ها إن كاتب يوبيناليوس الأسقف كتب مع الآخرين . وكاتب تلاسيوس الأسقف أيضاً كتب مع الآخرين . وأيضاً كاتب أسقف كورنثوس . فلماذا ينسبون إلى كتبتي وحدهم كتابة الأعمال ؟ " (نصوص الحوارات).

ورأى أوسابيوس أن الحق قد ظهر لدى القضاة فخاف على باطله أن يطمس ، فلجأ إلى استفانوس أسقف أفسس ، ليسعفه بما يبرر أكاذيبه ومفترياته . فكان هذا عند حسن المستجير به إذ قال : " إنه كتب خطه (وقّع) في ورقة بيضاء " .

وعندما شرع باسيليوس أسقف سلوكيا يتنصَّل من أقواله السابقة بالأمانة المستقيمة ، ويجاهر بما يوافق عقيدة لاون القائلة بالطبيعتين بعد الاتحاد. قال له القضاة: " إذا كنت تُعلّم بهذا التعليم الكاثوليكى ، فلأى سبب وضعت خط يدك (وقَّعت) بعزل فلابيانوس ؟ " .

فأجاب باسيليوس المذكور : " إنى كنت موقوفاً (متابعاً المناقشات) على القضية ، وحُكم مائة وعشرين أو ثلاثين أسقفاً ، فالتزّمت أن أطاوعهم ، فى الأمور التى فرضوها " .

فقال له الأب ديوسقورس : " الآن كذّبت الكتاب القائل : " من فمك تتبّرر ومن فمك تُدان"(١). استحّيت من الناس ، وتجاوزت عن الصلاح ، وأهنت الأمانة . ألعلك لم تسمع ما كُتِب : لا تخجل من شئ يُهلكك ؟ !! " .

حينئذ قال أساقفة الشرق والذين معهم ، أولئك الذين من وقت قليل مضى - بل فى نفس الجلسة - كانوا

---

(١) مت ١١: ٣٧ .

هائجين ومائجين وثائرين وفائرين كبركـــان فـيزوف ، أو أكثر التهاباً فى صياحهم وعويلهم ، أن ديوســـقورس قـد أرغمهم على أن يمضوا على ورقة بيضاء. هـــل تـدرى – أيها القارئ – العزيز ماذا قالوا ؟ لقد قالوا :

" أخطأنا جميعاً وكلنا نسأل الغفران !! "

ماذا تقولون يا أئمة المســيحية ؟ .. مـــاذا تقولـــون يامعلمى الشعب ومرشديه ؟ ماذا تقولون ياأمثلة الرعيـــة ؟ ماذا تقولون يارُعاتها ؟ ماذا تقولون ياحُرّاسها ؟ نقول :

" كلنا أخطأنا جميعاً ونسأل الغفران " !!

وذُهِل القضاة من هذا التغيُّر المفاجئ الذى بـــدا مـــن هؤلاء الأساقفة المساكين فى عقيدتهم . وقالوا لهم : " لقـــد قلتم سابقاً إنكم أُرْغمتم وقُهرتم ، واضطررتـــم أن تكتبـــوا أسماءكم (توقعوا) على قرطاس أبيـــض (ورقـــة) لعـــزل فلابيانوس " .

فلم يجدوا ما يقولونه من كلمات سوى الاعتذار عـــن سقطتهم فى تلك الهوّة التى تردوا فيها ، بكذبهم بـــأن الأب

ديوسقورس أرغمهم على التوقيع على قرطاس أبيض ، إلا قولهم :

" **كلنا أخطأنا وكلنا نطلب الغفران** " !!

ثم قال تلاسيوس وأوسابيوس (حتى أوسابيوس الذى لم يفتح فمه فى مجمع خلقدونية إلا باتهام ديوسقورس بالكذب) واستطاثيوس الأساقفة :

" **كلنا أخطأنا وكلنا نطلب الغفران** " !!

والأغرب من ذلك أن إتريف أسقف أزمير قد حاول جهده إنكار أقواله ، التى قالها فى مجمع أفسس ، بالموافقة على قرار عزل فلابيانوس وأسابيوس . فقال له الأب ديوسقورس .

" وهل الذى قُرِئ الآن من أقوالك هو كذب ؟ " .

فأجابه : " أنا لم أدرِ " !! .

فقال الأب ديوسقورس : ألم تقُل أكثر من ذلك ؟! .

فأجاب : لا .

قال الأب ديوسقورس : " هل سمعت فى ذاك الوقت ماقُلته ؟" .

فأجاب : " نعم قد سمعته " .

فقال الأب ديوسقورس :" ألم يكن هو ما قلته أنت ؟".

فأجاب : لا .

قال الأب ديوسقورس : هكذا تتضح الأمـــور التـــى شهد بها هذا الرجل . والآن نقرأ (نصـــــوص) الأعمـــال (مناقشات مجمع أفسس الثانى) .

وعند قراءة الأعمال صار هذا الأسقف يتنصل من أقواله.

فقال له أسيوس أسقف قيسارية الكبادوك : " ما كتــب أنت قلته من غير ضرورة البتة ، لماذا تنقضه الآن [1] ؟".

وهكذا تزول سحابة الصيف سريعاً ولا يبقى لها أثــر، وتبقى الشمس ساطعة بنورها الوهاج ، ذلك النور الـذى لا تحتمله العيون المُرمِدَة فتتوَارَى . أو تلجأ إلـــى الظـــلام تحتمى فيه . حتى إذا شفيت من مرضـــــها ترجـــع إلـــى الظهور غير خاشية أى ألم . وهؤلاء القوم قـــد حـــاولوا

---

(١) مجمع خلقدونية باب ٢١: ١١٩ .

جهدهم فى تبرير كتابة خطوطهم (توقيعاتـــهم) بـــالضغط والإرهاب . ولكن الضمائر لها أوقات قد تنام فيـــها ، ثـــم تستيقظ !! .

وهذا هو الحال مـــع هـــؤلاء الأســـاقفة . فإنـــهم إذ استيقظت ضمائرهم صرخوا بملء فيهم " **كلنـــــا أخطأنـــا وكلنا نطلب الغفران** " . وكذلك أسقف أزمـــــير ، أراد أن يكون أكثر شجاعة منهم فحاول إنكار أقواله ، ولكـن الأب ديوسقورس لبث يحاوره ، حتى أنطقه بالحق . ومع هـــذا كابر فى الإنكار، واغتاظ أسقف قيسارية من ذلك فقال له: " ما كُتِبَ أنت قلته من غير ضرورة البتة ، لماذا تُنقِضَـــه الآن " ؟ .

وهكذا سقطت دعواهم بأنهم أُرْغمـــوا علـــى وضـــع خطوطهم (التوقيع) على ورق أبيض .

وظهرت براءة الأب ديوسقورس من هـــذه التهمـــة الباطلة .

+ + +

الفصل السادس

دعوى منع أوسابيوس الأسقف
من حضور مجمع أفسس

وفى هذه الدعوى كان الخلقدونيون أكثر جرأة علـــى الحقيقة ، وأوفر تجاهلا لأبسط قواعد العــدل والصـــدق . ولكن أنَّى لهم أن يأخذوا بطلنا الإسكندرى بتهمة يعرفــون عن يقين مقدار تلفيقها. ولكن ما الحيلة وهم لهذا اجتمعوا، وليس لهم من غرض يهدفون إليه إلا أن يبذلوا قصـــارى جهدهم فى إسقاط بطل عظيم يرون فى وجوده فى ميـــدان الإيمان إخفاءً لهم ، ولزعيمهم لاون . أولئك الذين عرفـــوا كما رأيت فيما سبق بالذهاب مع كل ريح . فقد اشـــتركوا مع فلابيانوس فى حرم أوطيخا ، كما اشتركوا مع البابـــا ديوسقورس فى تبرئته ، ثم نراهـــم هنـــا (فـــى مجمـــع خلقدونية) قد رجعوا فأنكروا توقيعاتهم بتبرئة أوطيخـــا . ولما ضيق عليهم البابا ديوسقورس الخناق لم يســـتطيعوا

الثبات أمام استجوابه لهم ، وإحراجهم بالأسئلة المفحمة فاعترفوا بأنهم كانوا كاذبين فى افترائهم عليه ، بأنه أرغمهم على التوقيع على قرطاس أبيض . واستيقظت ضمائرهم وصاحوا بملء فيهم قائلين : " **أخطأنا كلنا وكلنا نطلب الغفران**".

وحار القضاة إذ لم يجدوا على البابا ديوسقورس علة. وإذا قالوا هذا خالفوا ما كلِّفوا به ، وهو إدانة البطل ديوسقورس . ولذلك نراهم يتحيَّنون الفُرص للايقاع به ، ويتلمسون أضعف الأسباب التى توجب عليه الحُجّة . ومن ذلك أنه لما قُرِئ إقرار أوطيخا بالإيمان الصحيح الذى بموجبه حكم الأب ديوسقورس والمجمع بتبرئته ، ورأى أوسابيوس أسقف دوريلاوس - خصم أوطيخا - أن القضاة ربما يقتنعون بصوابية تبرئة الأب ديوسقورس لأوطيخا بموجب هذا الإقرار . فنهض وتضرع إلى القضاة أن يسألوا الأب ديوسقورس : " لأى سبب منعه من دخول المجمع ، بينما فلابيانوس قد طلب دخوله ؟ ".

وفرح القضاة إذ وجدوا منفذاً لإدانة ديوسقورس ، فسألوه قائلين : " لأى سبب منعت أوسابيوس من دخول المجمع ، بينما فلابيانوس قد طلب دخوله ؟ " .

فأجاب الأب ديوسقورس : " أسألكم أن تقرأ شهادة ألبيديوس (القائد) فإنى ما كُنت أمنعه ، لو لم يأتِ ألبيديوس بأمر الملك القاضى بمنعه " .

وأيد هذه الحقيقة يوبيناليوس أسقف أورشليم بقوله : " ألبيديوس المُكّرم لم يأذن له بالدخول " .

أما تلاسيوس أسقف قيسارية ، فقد خاف من إقرار الواقع قائلاً : " أنا لم أكن السبب " .

ولكن القضاة قد تجاهلوا هذه الحجة المسكته ، وهى أن ألبيديوس هو الذى منعه بأمر ملكى . وقالوا للأب ديوسقورس : " فى أمر الأمانة لا يُقبل هذا العُذر " .

نعم هكذا قال القضاة . وكان الأحرَّى أن لا يقولوا هذا ، لأنهم يرون أمام أعينهم فى الوقت نفسه ثاؤدوريطس النسطورى جالساً بين الآباء . فهل لم يدروا أنهم قد ثلبوا الأب ديوسقورس بما هم مثلوبين به ؟ .

وهذا ماحدا بالبطل ديوسقورس أن يصيح فيهم قائلاً : " أنتم تثلبوني كأني تعديت القوانين ، فهل أنتم تحفظون القوانين في دخول ثاؤدوريطس " (النسطوري) ؟! .

وصعق القضاة بهذه الإجابة المُفحِمة . ولم يجدوا ما يقولونه ، فتذرعوا بحجة واهية إذ قالوا له : " إنه دخل كمُشتكٍ . ويعجب معنا القارئ قائلاً : ما لهذا الهراطيقي وللمؤمنين حتى يدخل حظيرتهم . أنه يعتقد غير مايعتقدون ، وينكر لاهوت المسيح كمعلمه نسطور ، المحكوم عليه بالقطع والفرز . فهو إذن كمعلمه ، مقطوع من جسم الكنيسة، فكيف يجوز له الاشتراك مع المؤمنين؟ لا جواب على ذلك إلا قول القضاة: " لكون قدس لاون الأسقف ردّه إلى كرسيه والملك (مرقيان) الحليم أمر أن يحضر في المجمع " .

وهكذا تنقلب الأوضاع ، مادام في ذلك إشباعا لشهوة لاون وأتباعه . فالهراطقة يقبلونهم بلا فحص . بينما يبذلون جهد الجبابرة في غربلة الأبرياء ، عساهم يظفرون بما يتخذونه ذريعة لثلبهم ، ومع أنه لم يكن هناك موجب

لوجود هذا النسطورى كمُشتكٍ ، لأنه قد خرج من حظيرة المؤمنين .

وقد أراد الأب ديوسقورس أن يسير معهم فى سبيلهم حتى يهديهم إلى الصواب . فسألهم : " ولأى سبب يجلس فى درجة الأساقفة ؟ " ولم يجد القضاة ما يبرر عملهم إلا تكرار قولهم السابق بأنه " حضر مع أوسابيوس كمُشتكٍ ، كما حضرت أنت كمتهم " . وهكذا قرأنا وسيقرأ الذين يأتون بعدنا أنه كان وقت وقف البطل العظيم ديوسقورس المدافع عن الإيمان القويم كمُتهم . وممن ؟ من نسطورى مفروز ومقطوع ، ومن لاوونى منحرف !! .

وخاف القضاة أن يزعجهم البابا ديوسقورس ببراهينه القاطعة ، ويكشف عن نياتهم المُبيَّتة ، فيعجزون عن الثبات أمامه إلى النهاية ، التى ستؤدى بهم إلى الخذلان الفاضح . فطلبوا الانتقال إلى قراءة الأعمال . ومع هذا فقد شاء ربك أن يرفع من شأن خادمه الأمين الأب ديوسقورس وحل الخجل السرمدى لأعدائه .

وذلك أنه لما طلب القضاة قـراءة الأعمـال ، قـرأ الكاتب ما يلى : " حينئذ أجاب أليديوس المقدم : أن الملك الجليل متمماً بنفسه قبل المجمع نظام الشرائع التـى هـو يبدعها ويحرسها ، **أمر أن الذين كـانوا سـابقاً قضـاة يكونون الآن بمقام الذين يُدَانون، ولا تُعطى لهم فرصـة ليتكلموا**(١) . ونحن نرى أنه لم يعد هناك مـايدعو إلـى التوسُّع فى الدفاع عن بطلنا ديوسقورس . حيث قد اتضـح لكل راغب فى الحق أنه بموجب هذه الشهادات ، قد ظـهر أن الأب ديوسقورس لم يكن السبب فى منـع أوسـابيوس خصم أوطيخا . وإنما ذلك كان بأمر الملك ثاؤدوسـيوس . ونفَّذ أمرَه قائده أليديوس . وللخلقدونيين أن يعتمدوا فـى مكابرتهم على الهراطقة والمنحرفين أمثال ثـاودوريطس النسطورى وأوسابيوس المفروز .

+ + +

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٨: ١٠٢ و ١٠٣ .

الفصل السابع

دعوى تبرئة أوطيخا

يجدر بى قبل أن أورد ما يدفع هذه التهمة عن قديسنا وبطلنا العظيم الأب ديوسقورس بأنه حكم ببراءة أوطيخا بينما هو ساقط فى الهرطقة مما يدل على أنه يعتقد اعتقاده. أن أنكر هنا ما جاء عن معتقد أوطيخا . مبتدئاً بعلماء كنيستنا أولاً . ثم أؤيده بأقوال علماء السريان والروم والكاثوليك أنفسهم . ثم ألحق ذلك باعتقاد الأب ديوسقورس الذى تقول به الكنيسة القبطية .

أولاً : قال ابن الراهب عند تكلمه عن المجمع الرابع (الخلقدونى) مايأتى : " كان أوطاخى قساً من القسطنطينية وقال إن جسد المسيح لطيف ، وليس مساوياً لأجسادنا ولم تحل به الآلام " .

وقال العلاَّمة أبو اسحق ابن العسال (فى كتاب أصول الدين فى الباب التاسع) ما نصه : " إن أوطاخى المذكور قال : " إن الابن الأزلى لم يأخذ من مريم شيئاً

لكنه استحال وتغير وصار لحماً ودماً ، وجاز فى مريم من غير أن يأخذ منها شيئاً " .

وقال العلاّمة ابن العسال أيضاً فى الباب المذكور : " أوطاخى القسطنطينى هذا كان قساً وقال إن جسد السيد المسيح لطيف ، وليس هو كالأجسام (البشرية) ولم تحِلّ به الآلام " .

ثانياً : ومن علماء السريان :

قال العلاّمة غريغوريوس الشهير بابن العبرى (فى الركن الرابع من كتابه منارة الأقداس) : " أوطاخى هذا كان يقول إن الله الكلمة لم يأخذ من العذراء شيئاً ، لكنه من ذاته قد تغيّر وصار لحماً " .

وقال ابن العميد (ابن المكين) السريانى القبطى فى عرض كلامه عن الملك ثاؤدوسيوس الصغير : " وفى أيام الملك ظهرت مقالة أوطاخى وكان قساً من القسطنطينية وقال : " إن جسد المسيح لطيف ، وليس مثل أجسادنا ، وأن الابن لم يأخذ من مريم شيئاً " .

ثالثاً : ومن الروم الأصليين :

قال سعيد بن بطريق ضمن كلامه عن أوطيخا : " أنه كان يقول أن جسد المسيح ليس مع أجسادنا فى الطبيعة " .

وقال صاحب كتاب " الدرة النفيسة فى تاريخ الكنيسة " (فى الرأس الخامس من القرن الخامس) : " إن أوطاخى أنكر وجود طبيعتين مقترنتين فى المسيح زاعماً بأن الإله الكلمة انحدر من السماء بجسد سماوى . واجتاز فى البتول مُخيّلاً أنه وُلِد منها ، ولم يُولد على الحقيقة " .

رابعاً : ومن الغربيين جاء فى كتاب " تاريخ المجمع الخلقدونى" (بالباب الحادى والثلاثين) : أن أوطاخى كان يقول " إن اللاهوت هو متغير ومتألم وكان ينكر اتحاد الكلمة مع الجسد والنفس الناطقة [1].

وقال الأسقف الرومانى مؤلف كتاب " الإيمان الصحيح " : " إن لاون بابا رومية قال : " إن أوطاخى

---

(١) صفحة ٢٠٦ .

موافق لرأى أبوليناريوس ويجب أن يُحرم بما أنـــه جحـــد حقيقة الجسد والنفس فى المسيح ، وأضاف إلى اللاهـــوت الولادة ثم النمو والصلب والموت[1] ".

من هذا قد تبين لنا رداءة اعتقاد أوطيخا القـــائل : " إن السيد المسيح لم يأخذ من العذراء شيئاً ، وأن تجسده كـــان خيالياً ، بمعنى أن اللاهوت قد تغير وصار جسداً لطيفـــاً ، وجاز به من العذراء مريم .

والآن يتحتم علينا أن نلقى هذا السؤال : وهل كـــان ديوسقورس يعتقد هذا الاعتقاد حتى يبرئ أوطيخا مـــن الهرطقة ؟! . أننا كى نبرهن على أن ديوسقورس لم يكـــن يعتقد باعتقاد أوطيخا هذا ، يتعيَّن علينا الآن أن نتقدم إلـــى نقل ما يبرئ بطلنا البابا ديوسقورس من تُهمَـــــة هرطقـــة أوطيخا من كتاب " تاريخ المجمع الخلقدونى " .

وإلى القارئ ما جاء فى الباب الثامن عشر من هـــذا الكتاب إن الأب ديوسقورس قال فى المجمع : " إن كـــان

(١) صفحة ١٤ عدد ١٠ من طبعة بيروت سنة ١٨٦٤م .

أوطاخى يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو ليس يستحق العقاب فقط بل النار أيضاً . أما أنا فإنى مهتم بالأمانة الكاثوليكية (الجامعة) الرسولية ولا أراعى أحداً من الناس بل فكرى شاخص إلى اللاهوت . فما أبالىِ بأحدٍ ، ولا أهتم بشئ إلا بنفسى وبالأمانة المستقيمة الصحيحة [1] " .

ويهمنا بالأكثر أن نورد هنا قول أحد الأساقفة الرومان . مما يثبت إننا لا نقول بقول أوطيخا . فقد قال هذا الأسقف فى كتابه " الإيمان الصحيح " موجهاً القول إلينا : " ثم إن كنائسكم لا تقبل اختلاط الطبيعتين ولا استحالتهما وامتزاجها كما زعم أوطاخى . ولكن بموجب رُتبة القداس والقرار المدون فى الكتب المقبولة الكنائسية، وتبعاً لتعليم البطريركيين المجيدين أثاسيوس وكيرلس وكافة الآباء الذين قبلهما ترذل وترفض هذا الامتزاج والاستحالة والاختلاط .. كما يتضح من كتاب القداس المقبول من الطائفة القبطية والحبشية ومن الكتب المقبولة

---

(١) صفحة ٩٩ .

من سائر الطوائف المقدم ذكرها الموافقة لذلك الكتاب المذكور . فإن الكاهن قبل تناول الأسرار المقدسة يتلو هذا الاعتقاد بسر التجسد الإلهى الموجود قبطياً وعربياً والمنقول إلى اللغة اللاتينية في كتب العلماء الغربيين على هذه الصفة : " آمين آمين آمين أؤمن أؤمن أؤمن . وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المُحيِّي الذى لأبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا الذى أخِذَ من سيدتنا نحن كلنا والدة الإله الطاهرة القديسة مريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير... الخ " .

ثم نقل هذا الأسقف من كتاب " الدُر الثمين " [1] ما يتفق وهذا الاعتقاد . كما نقل من كتاب " اعترافات الأباء بالأمانة " قول الأنبا ساويرس الإنطاكى إلى الملك أنسطاسيوس ما يتفق وهذا الاعتقاد أيضاً . ونقل أيضاً من هذا الكتاب قول البابا ميخائيل البطريرك الإسكندرى إلى

---

(١) تأليف الأنبا بولس البوشى مطران مصر .

الأب يوحنا بطريرك إنطاكية . بعدم الاختلاط والامتزاج[1] .

ونكتفى بهذا مما يبرهن بأوضح دلالة على أن البابا ديوسقورس لم يكن يعتقد بالامتزاج ولا الاختلاط .

ويثبت قولنا هذا أيضاً ما جاء فى كتابهم : " تاريخ المجمع الخلقدونى " (فى الباب الحادى والعشرين) . وذلك أنه لما قُرئ قول أنسطاسيوس أسقف بيروت وهو : " أن كيرلس العظيم برهن فى رسائله إلى الأساقفة أكاكيوس وباليريانوس وسوسيقى : أنه لا ينبغى أن نفهم طبيعتين للمسيح بل طبيعة واحدة متجسدة . فصاح المعارضون قائلين : هذا هو قول أوطيخا هكذا يقول ديوسقورس . فأجاب الأب ديوسقورس وقال: " لا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة [2] " .

---

(١) كتاب الإيمان الصحيح ٨-١١ .

(٢) صفحة ١١٤ و ١١٥ .

من هذا قد تبين أن البابا ديوسقورس لم يكـــن علـــى رأى أوطيخا القائل بأن جسد المسيح هو خيـــال ، وإنمـــا كان قول البابا ديوسقورس **هو الاعتراف باتحاد الطبيعتين بلا امتزاج ولا استحالة .**

إذن فلماذا حكَم البابا ببراءة أوطيخا ؟ الجواب علـــى ذلك من أيسر الأمور وأسهلها. وذلك أن أوطيخا لما دُعـــى إلى مجمع أفسس الثانى ، أنكر عقيدتـــه هـــذه المرذولـــة وأعلن اعترافه بما قال به الآباء فى مجمع نيقية ومجمـــع أفسس الأول (ولقد قرأت اعترافه فى كتابنا هذا) وعندئـــذ لم يسع البابا ديوسقورس ومعه الآباء المجتمعـــون إلا أن يحلوه من حرمه ، لأنه لم يخرج فى اعترافه عن تحديـــد الآباء القديسين بمجمع نيقية ، ولأنه لعن كل مـــن يُضـــاد ذلك أو يُحرّفه . كما أنه حرم ولعـــن مـــانى وفـــالنتينوس وأبوليناريوس ونسطور ، وسائر الهراطقة ، حتى ســـمعان الساحر . وقد مر ذكر ذلك فى الفصل الرابع من القســـم الثانى من كتابنا هذا .

ولهذا لم يكن البابا ديوسقورس ملوماً فى حكمه مع الأباء المجتمعين ببراءة أوطيخا ، لأنهم لم يلهموا معرفة الغيب حتى يطلعوا على ما كان يبطنه هذا المرذول. ولم يكن أوطيخا أول من حاول تبرئة نفسه بإظهار غير ما يُبطن . بل لقد سبقه إلى ذلك أريوس الشقى . فإنه بناء على سوء اعتقاده فى السيد المسيح قد حرمه وفرزه البابا بطرس البطريرك الإسكندرى الرابع عشر . ولما استشهد هذا الحبر العظيم وجلس بعده القديس أرشلاؤس . تقدم إليه أريوس مظهراً حُسن الاعتقاد . وعلى هذا قبله الأب البطريرك وحلّه من حرمه ، بل ورقاه من الشماسية إلى درجة القسيسية ، وعينه راعياً لإحدى الكنائس . ولكن لم يلبث هذا الشقى أن جاهر بضلاله ، مما دعا إلى اجتماع مجمع نيقية (٣٢٥) وبحث هرطقته ، وحرمه . ولا يسع المنصف إلا القول بعدم لوم البابا ارشلاوس لحله أريوس لأنه لم يُعطَ علم معرفة الغيب ، حتى يعرف ما يبطنه .

ومما هو جدير بالذكر مسألة سيمون الساحر الذى من السامرة . وذلك أن القديس فيلبس المبشر لما أتى إلى السامرة ونادى على أهلها بالإيمان وآمن الجميع ببشراه ونالوا المعمودية من يده .

فقد آمن سيمون الساحر ، وتعمد أيضاً من يد هذا المُبشر . ولما أتى الرسولان العظيمان بطرس ويوحنا ليصليا على الذين اعتمدوا ، كى ينالوا الروح القدس ، وضعا أيديهما عليهم . وكان من ضمنهم سيمون هذا ، مع أنه سَّئ الباطن (النية) . ولكن لما انكشف أمره لدى الرسولين انتهره بطرس وشجبه[1] فيما بعد .

ومالى اذهب بعيداً فهذا ، لاون أسقف رومة نفسه الذى سعى لعقد مجمع خلقدونية يريد بذلك شجب البابا ديوسقورس ، لأنه حكم بتبرئة أوطيخا ، قد سقط هو نفسه فى هذه الخدعة . لأنه لما حكم فلابيانوس بحرم أوطيخا ، كتب هذا الأب إلى لاون يتظلم إليه من ظلم فلابيانوس له.

---

(١) أع ٨: ٥-٢٢ .

فانخدع لاون بأقوال أوطيخا وكتب له رسالة يثنى على عنايته بأمر الإيمان . ويدعوه فيها " بالابن القس العزيز " مُظهراً له سروره باهتمامه وعنايته بامر الأمانة . ومعتبراً حُسن نيته من رسالته مبشراً له بالنجاح وداعياً له بالصيانة . ولا لوم فى هذا على لاون لأنه لم يطلّع على باطن هذا المرذول . وعلى ذلك لا ذنب على الآباء فى حكمهم ببراءة أوطيخا ، على ضوء ما أظهره أمامهم من حُسن الاعتقاد .

ولكن بما أن أوطيخا بعد أن حصل على تبرئته قد رجع إلى سوء اعتقاده ، فقد رفضه البابا ديوسقورس ، كما يتضح مما جاء فى كتاب " تاريخ المجمع الخلقدونى". فقد جاء فى الباب الثامن عشر أنه بينما أسقف سيلوقية يتكلم فى مجمع خلقدونية عن أوطيخا قال البابا ديوسقورس " إن كان أوطيخا يذهب بخلاف مذهب البيعة (الأرثونكسية) فهو ليس يستحق العقاب فقط بل النار أيضاً . أما أنا فأنى مُهتم بالأمانة الجامعة الرسولية ، ولا

أراعِى أحـــداً بشــئ إلا بنفســى (خلاصــى) وبالأمانــة المستقيمة الصحيحة ".

ومما يدل بالأكثر على براءة البابا ديوسقورس مـــن بدعة أوطيخا ماكتبه هذا الأب العظيم ، وهو فـــى منفـاه بجزيرة غاغرا بفلاغونيا إلى شخص يُدعى بريطـــن فــى رسالة لازالت موجودة في كتـــاب " اعترافـــات الآبـــاء " وفيها يفند البدعة الأوطيخية القائلة أن جسد المسيح خيال. وإليك ما قاله فى شأن ذلك :

" إنى قرأت كلاماً لك فى كتبك التى أنفذتها مع أُنـاسٍ جوّالين ليسوا كاملين فى القامة (الروحية) ولا لهم معرفـة صحيحة . بل هم يفكرون فى رأى أبوليناريوس ويقولــون إن الكلمة مات . ولسنا نعجب مـــن هــؤلاء هكــذا ، لأن خزيهم قد تم . فيجب علينا أن نحرم ونُخرِج عنا كل مـــن يقول إن الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات (لاهوته) لأنهم قد صاروا غُرَباء عن أمانتنا المستقيمة . ونخرجهم من دارنـا (نحرمهم) لأنهم ليسوا من حظيرتنا ، ولكنهم يظنون هـــذا

الظن الواحد مع الذين بدأنا أسماءهم وهم أريوس وأبوليناريوس . " والخياليون هؤلاء مرتبطون بعضهم ببعض ، لأن الخياليين أيضاً يقولون أن اللاهوت تألم والناسوت معاً . فأما نحن فما نؤمن هكذا . بل نؤمن أن الله الكلمة صار جسداً بحق ، **وبقى بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته** . لكن قوماً يظنون ويقولون : " إننا إذا قلنا إن المسيح تألّم بالجسد لا باللاهوت ، نوجد فى هذا القول موافقين لأهل مجمع خلقدونية . ونحن نجيبهم ونقول : **إذا كان أهل مجمع خلقدونية يعترفون بأن الله الكلمة تألم بالجسد وليس باللاهوت فلأننا نوافقهم** " .

ثم ختم كلامه بالاعتراف بطبيعة واحدة للأقنوم الواحد ، الذى هو الأبن الواحد المُتجسّد ، مستشهداً بما قاله البابا أثناسيوس الرسولى إلى يوبيانوس حيث يذكر عن وحدة الطبيعة والأقنوم الذى لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال .

ومن هذا ترى الفرق الواسع بين بدعة أوطيخا وعقيدة البابا ديوسقورس . وبناء عليه قد أخطأ المجمع الخلقدونى الذى مع تحققه من أن البابا ديوسقورس لم يكن يعتقد بضلال أوطيخا . ومع أن البابا ديوسقورس قد شجب أوطيخا ، بقوله عنه إنه يستحق النار " لأنه ذهب غير مذهب البيعة " .

مع هذا كله ، نجد هذا المجمع يُصر على إلصاق بدعة أوطيخا ببطلنا الأب ديوسقورس . وما ذلك إلا لأن غرضهم النيل من هذا الحبر العظيم ، ولو من طريق الإدعاء الباطل .

هذا ولأننا قد أسهبنا فى الكلام عن هذه التهمة ، نرجو القارئ الكريم أن يفسح صدره لنا ، لأننا وجدنا أن هذه التهمة النكراء لازالت عالقة بأذهان رجال كنيسة رومة . ولذا فقد توسعنا بعض الشئ فى نفى هذه التهمة عن بطلنا الأرثوذكسى . وكانت أدلتنا غالباً من كتبهم نفسها ، وكما سنراه فيما يلى :

+ + +

الفصل الثامن

دعوى الحكم على فلابيانوس ظلماً

ولأننى قد سلكت فى نفى التهمة الأوطيخية عن بطلنا ديوسقورس بأن استشهدت بما جاء فى كتاب " مجمع خلقدونية " فأنى سأنهج هذا النهج فى إسقاط دعوى الحكم على فلابيانوس ظلماً .

لقد مر بك فى كتابنا هذا أن الملك ثاؤدوسيوس لما دعا البابا ديوسقورس إلى حضور المجمع بأفسس ، قد فوّضه الرياسة على هذا المجمع . ومع أن الملك أيضاً قد أرسل إلى المجمع مندوباً عنه يحمل رسالة بمنع الذين حكموا على أوطيخا من الجلوس مع الآباء . وهذا بحكمة لأن الخصوم لا يصح لهم أن يكونوا قضاة . فقد قرأت فيما سبق عند الكلام عن هذا المجمع أن فلابيانوس قد جلس مع الآباء ، وكان موضع الاحترام والإكرام !! .

ونورد هنا قول ألبيديوس – النائب الملكى – عندما افتتح المجمع . فقد قال بخصوص فلابيانوس : " إن الملك

الجليل متمماً بنفسه قبل المجمع نظام الشرائع التى يحرسها ، أمر أن الذين كانوا سابقاً قضاة يكونون الآن بمقام الذين يُدانون ، ولا تُعطَى لهم فرصة ليتكلموا إلا أن أعطيت لهم منكم إجازة [١] " وقد مر أيضاً فيما دونّاه سابقاً أنه مما ورد للنائب الملكى المشار إليه قول الملك : " وأولئك الذين كانوا سابقاً قضاة فى أمر أوطيخا رئيس الدير الناسك يكونون حاضرين صامتين ولا يجالسوا القضاة بل ينتظرون ما يُشرع به جمهور الآباء الأطهار".

فقد رأينا - رغم هذه الأوامر - كان جلوس فلابيانوس قاضى أوطيخا مع الآباء محاطاً بمنتهى التوقير، كأخٍ لهم . ويتحقق ذلك من قول البابا ديوسقورس عنه ، عندما طعن أوطيخا فى أعمال مجمع فلابيانوس ، فإننا نجد البابا ديوسقورس يقول : " إن كان فلابيانوس أطلع على شئ موافق ومؤكد لقوله فلينبئنا به " .

ولما احتج فلابيانوس بأنه مُنِع من الكلام . قال الأب ديوسقورس إنه " لا هو ولا الآباء منعوه من الكلام " .

---

(١) مجمع خلقدونية باب ١٨ : ١٩٣ .

وأخيراً تكلم بما عرف منه الآباء أن فلابيانوس قد سقط فى الهرَاطقة إذ قال بالطبيعتين بعد الاتحاد . وإذ أراد الآباء تفهيمه أن قوله هذا هو عين الضلال (النسطورى) فقد أصَّر عليه . وعندئذ حكم المجمع عليه بالعزل لهرطقته .

ولم ينفرد البابا ديوسقورس بالحكم عليه ، بل أنه قد تداول مع الآباء فى فحص هذه الهرطقة . وأجمع الكل على رذلها وعزل قائلها . ولقد قرأنا ذلك فيما سبق . ولذلك فإنه لما قُرِئَت رسائل الملك ثاؤدوسيوس الداعية إلى مجمع أفسس الثانى قال البابا ديوسقورس : " قد علمتم أن الملك الجليل لم يجعل الأمر لى وحدى ، بل وقد ولى على المجمع يوبيناليوس الأب المبارك وتلاسيوس الأسقف المغبوط ومنح لهما التدبير.. فلماذا ينسبون إلىَّ وحدى هذه الأمور ، بينما كان سلطان الثلاثة متساوياً . وأستصوب المجمع كله ما قد حكم به . فأقروا بأصواتهم وخطوطهم بأيديهم (توقيعهم) وأخبرنا بذلك الملك

ثاؤدوسيوس ذا الذكر الصالح . وقد ثبت بأمر (ملكى) عام كل ما حكم به المجمع المقدس [1] " .

وليس بعد هذا دليل على أن مجمع أفسس الثانى قد عُقِد بأمر الملك ثاؤدوسيوس وهو الذى أمر بعدم جلوس الذين كانوا قضاة أوطيخا . وأن البابا ديوسقورس لم ينفرد بتبرئة أوطيخا ، لما أظَهَره من حُسن الاعتقاد . كما أنه لم ينفرد بالحُكم على فلابيانوس بالعزل لهرطقته .

ولكن ما حيلتنا فى قوم قلت سابقاً أنهم يذهبون مع كل ريح ، فهؤلاء الذين قد أجمعوا على شجب فلابيانوس قد عادوا هنا فاستصوبوا تعليمه ، ووصفوه بأنه تعليم أرثونكسى ، لا غبار عليه .

حتى يوبيناليوس أسقف أورشليم الذى – إلى هذه اللحظة – كان مُتمسكاً بالصدق فى جميع أقواله التى دافع بها عما جرى فى المجمع الأفسسى الثانى . وهو الذى فوَّض إليه الملك ثاؤذوسيس أمر إدارة المجمع ، مع الأب

---

(١) تاريخ المجمع الخلقدونى الباب ١٨ : ٨٩ .

ديوسقورس والأسقف تلاسيوس - لما رأى من القضاة الجنوح إلى إدانة الأب ديوسقورس. وأنه لابُد من الحكم عليه ، ولو بغير حق ، وعرف أن نهايته ستكون كديوسقورس ، أراد أن يحتفظ بمركزه ، ولو كان فى ذلك تضحية بمعتقده القويم . وفضّل أن يبقى فى مركزه وهو فى ضلال مبين على أن يُنفَى ، لأجل الإيمان المستقيم .

وذلك أنه لما سأل القضاة الخلقيدونيين عن تفسير فلابيانوس للإيمان . وهل كان فى تفسيره حافظا للديانة الآبائية السليمة ؟ فقد أجمعوا على أن فلابيانوس قد شرح الإيمان شرحا صحيحاً ، مع إنهم قد أقروا بشجبه فى مجمع أفسس الثانى ، وكان عمل الأب ديسقوروس هو المصادقة على أقوالهم .

أى أنه كما قلت سابقا ، لم ينفرد بالحكم على فلابيانوس . وكان أكثرهم جرأة على إنكار الواقع يوبينالوس أسقف أورشليم، الذى ترك عنه الاعتصام بالإيمان القويم، فى سبيل الاحتفاظ بمركزه إذ قال :" قدس الأب فلابيانوس قد حكم بما يطابق لأقوال كيرلس ذى

الذكر الصالح " وعندئذ صاح أساقفة فلسطين قائلين : " قد حكمنا بما حكم به الأسقف يوبينالوس " ورأى يوبينـــاليوس أنه قد إطمأن على مركزه فانتقل إلى جهة الخلقدونييـــن ، فهتفوا له قائلين : " الرب قد جاء بك أيها الأرثونكســـى . مبارك قدومك " . وأراد البـــاقون أن يتـــبرعوا بتـــأييدهم لمحبذى ضلال فلابيانوس ما دام فى ذلك حظـــوة لـــهم، وحسن التقات ، حتى الذين لم يحضروا فى مجمع أفســس الثانى . فكان الواحد منهم – تلو الآخر – يقول : " أنا لـم أحضر هذا المجمع الذى حكم على فلابيانوس ، ولكن لمـا سمعت تفسيره ، فإنى أقر أنه كان ممتلئا نعمة " .

وعندما كان يقول هذا القول ، ينتقل إلى جهة أتبـــاع لاون ، الذين كانوا يرحبون به . وهكذا انتقل الجميع إلـــى ناحية واحدة . وبقى البطـــل الأرثونكســـى ديوســـقورس وحده، يردد قول سيده الذى يدافع عن صدق الاعتقاد به : " دُست المعصرة وحدى"(١) .

---

(١) إش ٦٣ : ٢

ولكن أما كان الأجدر بديوسقورس أن ينظـــر إلـــى الريح ليرى إلى أين هى ذاهبة فيذهب معها ؟ وبذلك كـــان يتفادى الأخطار المزمعة أن تحدق به ، ويمنـــع الويـــلات التى ستلحق بشعبه ؟

لا. إن البطل بطل فى وقت السلم ، وفى وقت الحـرب. بل إن البطولة الصادقة لا تظهر إلا فى ميادين القتـــال . ولا أحد يُكال إن لم يجاهد قانونيـــا[1] . ولا لـــوم علـــى الفارس إذا هو جُرِح فى ميدان الحرب . أو قُتِل فى سـبيل الدفاع عن الأوطان . ولكن العار كـــل العـــار والمذلـــة والهوان لذلك الذى تخور عزيمته ، وتفتُر همتـــه عندمـــا يرى السيوف تلمع فى الفضاء . فيرفع راية التسليم ، قبـل أن تصل الأوامر إليه . فهذا هو الجبان الحقيقى .

أما بطلنا الأمين فقد صمد وحـــده ، أمـــام أعـــداء الإيمان القويم ، غير خائفٍ ، لأن عنايـــة الله تحوطـــه ، وقوة الإيمان تملأه ، وصدق اليقين يشمله . فممن يخـــاف

---

(١) ١ تى ٢ :٥ .

إذن ؟ أمِنْ قوم كريشة في مهب الريح ؟ أم مــــن أنـــاسٍ ضعاف اليقين ،خائرى القُوَى الروحيـــــة؟ ولـــم ترهبـــه كثرتهم . ولا زعزعت يقينه معرفته بنيتهم المُبيتّه لقهره .

وله أسوة فى ذلك بمن سبقه مـــن أولئـــك الأبطـــال والشهداء والقديسين الذين يذكرهم التاريخ بأعطر الثنـــاء ، متحدثا عن شجاعتهم النادرة ، التى بلغت حد المعجزات . فقد سبقه رمسيس الأكبر اذ انتصر بمفرده علـــــى قبـــائل الخيتاس فى موقعه قادش بعـــد أن لاذ جيشـــة بـــالفرار . وسبقه إيليا فى توبيخ أخاب الملك لاغتصابه حقل نـــابوت اليزرعيلى. وسبقه داود الفتى اليافع فى انتصـــــاره علـــى جليات الفلسطينى الجبار. وسبقه يوحنـــــا المعمـــدان فـــى توبيخه الملك هيرودس الدنس .

وسبقه مثلنا الأعلى فى الشجاعة والتـــذرع بصـــدق اليقين ، ذلك الذى اتخذ جسدنا وسار بيننا ، تاركا لنا مثــالا لكى نتبع أثر خطواته[1] . فقد وقف وحده أمام هـــيرودس

---

(١) ١ بط ٢ : ٢١

وأمام بيلاطس وأمة اليهود بأجمعها ، ثائرةً علية وداعيةً إلى صلبه . ومات على الصليب كمقهور . ولكن بموته أمات الموت ، وقام منتصراً لا على اليهود فقط . ولكن على كل قوات الظلمة .

واستفانوس كان وحده بين راجميه فلم يرتعب ، ولكنه كان يصلى عنهم طالباً لهم المغفرة[١] . والرسل القليلو العدد ، الفقراء والمجردون من كل قوة عالمية فإنهم قد غزوا العالم بأسره . والشهداء كان الواحد منهم يقف أمام الملك الجبار العاتي ينادى بأعلى صوته مُعترفاً بمسيحه، هازئاً بمختلف العذابات التى كانت تنصبُّ عليه.

ودماء الشهداء التى سالت على الأرض تعتبر بذار الكنيسة الصالح النقى . وأثناسيوس الرسولى أتى عليه وقت كان فى ناحية ، والعالم كله فى ناحية . ولكن فى النهاية كانت الغلبة لذلك الذى كان بمفرده "ضد العالم" (= Contra Mondum) .

(٢) أع ٧ : ٦٠

وهنا نجد أن ديسقوروس يرى الأســـاقفة يتســللون الواحد تلو الأخر من جانبه إلى جانب السلطة المدنيـــة . فلم يوهن ذلك من عزيمته .

بل قال لهم فى هدوء الواثق المطمئن : " هو أمـــر واضح أن فلابيانوس عُزِلَ لأنه قال بطبيعتين بعد الاتحاد، وعندى شهادات من أقـــوال الآبـاء القديسـين ، ومـن أثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس . إنه لا ينبغى القـــول بطبيعتين من بعد الاتحاد ، **بل بطبيعة واحدة متجسـدة لله الكلمة** ، فإذن أنا معزول مع الآباء ، وأنا لم أتجاوز فـــى شىء تعليمهم " ، ولم يستطع الخلقدونيـون ان يعـترضوا على الأب ديوسقورس فى ما قاله . كما لم يجرأوا علـــى القول بأن الآباء الذين استشـــهدوا كـانوا غـير سـليمى المعتقد. وكل ماحصل أنه عندما طلب الأب ديوســـقورس قراءة الأعمال ، وتُليتُ أقوالهم فـــى المجمــع الأفسســى الثانى بشجب تعليم فلابيانوس ، رجعوا إلـــى الإنكـار . وكان أكثرهم فى اللف والدوران ، هو أســـقف أزمـير ،

الأمر الذى جعل أسيوس أسقف قيسارية يحتد عليه قائلا : " ما كُتِب أنت قلته من غير ضرورة البتـــة ، لمـــاذا الآن قصدت نقضه ؟! " .

ومع ذلك فقد رأوا أن التشبُّث بضلال فلابيانوس هـو خير مُنجٍ لهم من بطش السلطة ، فمالوا إلى تحبيذ عقيـدة فلابيانوس القائلة بالأثنينية بعد الاتحاد . ولما قال أحدهـم أنه يُعلّم بالسجود للاهوت سـيدنا يسـوع المسـيح فـى طبيعتين بعد التجسد . وأنه يحكم على الغير المعتقد بذلـك بالنفى خارج الكنيسة ، أجابه الأب ديسقورس " إنى أقبـل **القول أن المسيح من طبيعتين وليس طبيعتـان** " . ولـم يستطع اوسابيوس أسقف دوريلاوس أن يجيب على هـذا القول الصادق إلا بقوله للأب ديوسقورس : أنـت قتلـت فلابيانوس " (١) .

وهكذا كانت حُجته التى خالها مُفحِمَة. وما هـى إلا هروب من نور الشمس السـاطع . وكـان الأحـرى أن

---

(١) خلقدونية باب ٢١.١١٦ ــ ١٢٠ .

يناقش البابا ديوسقورس فى قوله هذا حتى يقنعه بصوابية الاعتقاد بالطبيعتين بعد الاتحاد . وأنىّ له ذلك ونحن لا نجد له كلاما فى ذلك إلا بكاءً وعويلاً ، وإستعداء القضاة على البابا ديوسقورس ، لأنه منعه من حضور المجمع ، وقد سبق إيراد الأدلة القاطعة على كذب هذه الدعوى . كما أننا قد أتينا هنا بما يقطع بسقوط الدعوى بالحكم على فلابيانوس ظلماً . وفى هذا القدر الكفاية لقوم يعرفون الحق فيتمسكون به .

+ + +

الفصل التاسع

وثيقة الفخار ووسام الشرف للبابا ديوسقورس

هل تدرى أيها القارئ ماهى هذه الوثيقة ؟ وماهو هذا الوسام ؟ إنه الحكم الذى أصدره المجمع الخلقدونى على البطل الأرثوذكسى العظيم . وستجد أن هذا المجمع قد سجل على نفسه بهذه الوثيقة العار الأبدى . والفخر

العظيم لبطلنا ديوسقورس . وبهذا الحكم قلد بطلنا وساما سامياً جزاء ثباته إلى النهاية على الاعتصام القويم . ولست بهذا أُلقِى القول جُزافاً ، ولكنى سأضع أمام القارئ نص الحكم الحرفى الذى أصدرته عصابة مجمع خلقدونية على البابا ديوسقورس ، ومنه نعرف أن **المجمع لم يذكر فى حكمه أية إشارة على أن البابا ديوسقورس قد سقط فى ما يضاد الإيمان الصحيح .**

وكل مااشتمله الحكم هو بضع تُهم تافهة ساقطة من أساسها ، تدل على إنهم إذ لم يجدوا ما يتهموا به الأب ديوسقورس ، تلمسوا أسباباً واهية ، بنوا عليها حكمهم بعزله ونفيه . وقد ظنوا أنهم قد انتصروا على جندى المسيح المجاهد .

وإلى حضرات القراء خاتمه المعركة بين الباطل والحق ونهاية الصراع الروحى بينْ الظلمة والنور . بعد أن تليت رسالة لاون المعروفة بطومس ليون فى مجمع خلقدونية قال القضاة : هل يوجد شك بعد ذلك ، فطلب

الأساقفة مُهلَة من القضاة لفحص رسالة لاون ورسالة كيرلس إلى نسطور ، وبنوده الأثنى عشر . فأجلُوا الجلسات خمسة أيام تُفحَص فيها الأمانة ، والذى يوجد عند شك يرشدوه إلى الصواب. واستحسن القضاة أن لا يكون الاجتماع عاما بل يكتفى بمن يرون فيهم الكفاية لتفهيم الضالين عن اليقين والحق .

يريد القضاة – من مشايعى مرقيان ولاون – أن يُفهمُوا من بقى ولم يفهم إلى الآن ، أن هكذا أراد مرقيان وهكذا أراد لاون . وبماذا يفهمونهم ؟ يفهمونهم أن فى مخالفة مرقيان وبلخارية ولاون النفى والتشريد . ورأى بعض الأساقفة أنياب الشر قد برزت فقالوا للقضاة : " نتضرع إليكم أيها القضاة والمحفل العظيم من أجل الأمانة وأنكم تردونَ الجميع . فاننا كلنا أخطأنا ، فليُغفّر للجميع " .

وسمع شمامسة القسطنطينية هذا القول فأرادوا أن يقللوا من أهميته فقالوا : " ليس هذا قول كل الأساقفة

ولكنها فئة قليلة لا يُعوّل عليها " . وقال أسـاقفة الشـرق الذين معهم : " يُنفى المصرى " .

وهكذا نجد أن الشمامسة فى هـذا المجمـع كـانوا أصحاب الأصوات العالية . ولـم نسـمع قبـل ذلـك أن الشمامسة تشترك فى أعمال المجامع . إذن فوجودهم فـى مجمع خلقدونية قد أسقطه من عداد المجامع المحترمـة ، لأن وجودهم فيه بهرجهم . وصياحهم وصخبهم قد أفقـده الروعة المطلوبة فى المجامع المقدسة .

أما أساقفة الصقالبة والذيـن معـهم ، فقـد رأوا أن يضعوا حدا لتهريج الشمامسة . وأنـه لا يليـق بكرامـة الأساقفة أن يصمتوا ليتكلم الشمامسة . كما رأوا أن ظلمـا سيقع فقالوا : " كلنا أخطأنا ، فأشفقوا على الكـل .... لأن الكنائس قد أشرفت على الخصومات والانشقاق " .

ولم يسكت شمامسة القسطنطينية لأنهم لهذا اجتمعـوا فصرخوا : " إنفوا ديسقورس ، اعزلوا المُخالِف . المسـيح قد دان ديسقورس" . فصاح أساقفة الصقالبة والذين معـهم:

" كلنا أخطأنا فسامحونا ، ردوا للمجمع ديسقورس . لا يصير في ولايتكم شر ، ولا يحدث لأحد ضرر في أيام دولتكم . ولا يصير في زمانكم انشقاق ".

فهتف شمامسة كنيسة القسطنطينية :" الذى يخاطب ديسقورس هو يهودى " . وقال أساقفة الشرق والذين معهم : " أنفوا المصرى ..، انفوا المُخالِف " !! .

وقال أساقفة الصقالبة : " ردُوّا الآباء للمجمع " .

وحصل هذا الحوار بين بعض الأساقفة وبين شمامسة القسطنطينية . فالأساقفة يعترفون بأنهم قد أخطأوا في ادعائهم انهم أُرغِمُوا على التوقيع على ورق أبيض ويطلبون المغفرة ، محبذين وجود السلام بدل الخصام . والوئام بدل الانشقاق . والشمامسة يهتفون صارخين : " انفوا ديوسقورس . انفوا المصرى ." ولم نسمع قبل هذا أن مجمعا كان الصوت العالى فيه للشمامسة . والصمت البليغ للآباء إلا فى هذا المجمع. مما يدل - بأوضح بيان - على أن التهريج كان غالبا عليه . وقد أعوزه الوقار والاحترام .

وأراد القضاة أن يضعوا حداً لهذا الحوار ، فقالوا : " يُعمل بما ذكرناه سابقا [1]. أى يؤجل المجمع جلساته خمسة أيام . ولم يفطن القضاة أن طلب التأجيل كان حيلة من الخلقدونيين ليخلُّوا لهم الجو فيفتكوا ببطلنا ديوسقورس. أو كانوا يُدرِكون ذلك وتعاموا عن ذلك الخطأ ، حتى لا تقع الجريمة فى وجودهم . فوافقوا على التأجيل !!.

وانتهز نواب لاون فرصة غياب القضاة . فعقدوا المجمع قبل انتهاء الخمسة أيام ، وجعلوا أنفسهم قضاةً ، للنظر فى أمر ديوسقورس . ولما التأم شملهم وقف الكاتب وقال : " إن القضاة قد نظروا فى الطلب الذى قدمه أوسابيوس أسقف دوريلاوس ، يشكو فيه ديوسقورس . وقد حصلت فى ذلك مناقشات كثيرة . والآن قدم أوسابيوس طلباً آخر فماذا ترسمون بما يُعَمل؟".

---

(١) مجمع خلقدونية باب ٢٧ :١٦٣ - ١٧١

ومع أنه قد تبيّن فيما سبق أن شكوى أوسابيوس من الأب ديوسقورس بأنه قد منعه من دخول المجمع قد سقطت ، إذ قد عرفنا هذا المنع كان من الملك ثاؤذوسيوس لا من الأب ديوسقورس . ومع علم نواب لاون ، فقد انتهزوا فرصة للعمل بمشيئة سيدهم لاون . وهى شجب الأب ديوسقورس، والحط من شأنه . فوقف أحدهم وأخذ يتفاخر بأنهم موفدون من قِبَل لاون لرئاسة المجمع . ثم طلب قراءة طلب أوسابيوس وهو لا يخرج فى معناه عن الشكوى من الأب ديوسقورس أنه منعه من دخول المجمع. ومع أن هذه الدعوى قد سقطت ، فقد أصرَّ على حضور الأب ديوسقورس وتعذيبه . وإبطال الحُكم الذى صدر ضده . فأرسلوا إلى الأب ديوسقورس يدعونه للحضور . وتأمل رعاك الله فى المحاورة التى دارت بين الأب ديوسقورس والرسل الذين ذهبوا إليه . ثم احكم أنت بما تراه .

لما وصل الرسل إلى الأب ديوسقورس ، قال له قسطنطين أسقف بسترا : " المجمع المقدس يطلب قُدسك

بإنك تحضر فى المحفل المجتمع فـــى كنيســة الشـــهيدة أوفيمية وتحتج (تدافع) عن نفسك " .

فأجاب ديوسقورس وقال : " أنــا بحكــم الحُــرّاس مسجون ، فاسألوهم إن كانوا يأذنون لى بالخروج " .

فقال له أكاكيوس الأسقف : " لم نُرسل إلى الحُـرّاس، بل إلى قدسك بإنك تعتنى ، وتذهب الى المجمع المقدس ".

فأجاب ديوسقورس وقال : " أما أنا فمستعد لذلـك ، ولكن الحراس يمنعونى " .

فقال له إتكوس أسقف زيلان :" إعلم إن أوسـابيوس أسقف دوريلاوس قدم سابقاً كتابا وتحامل عليك كثـيراً . فلأجل ذلك أرسلنا إلى قدسك كى تحتج وتدافع عن نفسـك فيما اتهموك به ".

فقال ديوسقورس :" قــد قلـت لكـم إن الحُـرّاس يمنعونى عن الخروج " .

وخرج الرسل من عنده . وعاد إليه بعض الأسـاقفة فقال لهم : " لقد نظر المجمع والقضاة فى أمـرى . فمـا

الذى يريده المجمع الآن ؟ هل يقصد إبطال ماحدث بحضور القضاة ؟ أنا لا أحضر هذا المجمع ، إلا إذا كان هناك القضاة " . فأجابه أكاكيوس أسقف أرياتيرا : " إن المجمع لم يدعك ليُبطل الذى حدث فى محضر القضاة . بل قصدِه إحضارك أمامه " .

فقال الأب ديوسقورس : " لقد قلتم إن أوسابيوس الأسقف قدّم للمجمع كتاباً يَدّعِى علىَّ إننى ظلمته . فأرغب أن يفحص القضاة كلامه " .

فأجابه أتيكوس الأسقف : المجمع المقدس وجهنا إلى حضرتك حتى ننصحك " . فقاطعه الأب ديوسقورس قائلاً : " إنى أريد أن يفحص دعوتى القضاة " .

وعاد الأساقفة إلى زملائهم يتحدثون بما صار بينهم وبين الأب ديوسقورس . وخاف أوسابيوس أن تضيع الفرصة فقال إن عنده أموراً جديدة يريد أن تُفحَص بحضوره . فأرسلوا إليه ثانياً وثالثاً ، طالبين حضوره ، ولكنه أبى الحضور إلا بوجود القضاة [١] .

---

(١) مجمع خلقدونية باب ٢٨ :١٧١ –١٧٦

وإذا لم تُجدِ محاولات نواب لاون فى حضـور الأب ديوسقورس إلى مجمعهم أصدروا حكمهم عليه فى غيـاب القضاة .

وهذا هـو النـص الحرفـى للحكـم علـى الأب ديوسقورس , كما جاء فى كتاب تاريخ مجمع خلقدونيـة (باب ٢٨ : ١٨٧ ، ١٨٨) .

" قد ظهرت وتحققت الأمور التى صنعها ديسقورس الذى كان سابقا أسقف الإسكندرية ضـد رتبـة القوانيـن المقدسة وتعليم البيعة ، بالفحص الذى صـار فـى هـذا المحضر وفى الذى سبق ، لأن المذكـور، قـد ارتكـب الشرور ونحن نقصر عن ذكرها. قـد قبـل أوطـاخى ، بخلاف ما تأمر به القوانين ، والذى كان سابقا تم حرمـه من أسقفه أبينا فلابيانوس حيث أختص لذاتـه ، بالولايـة قهرا من قبلما يجلس فى أفسس مع بقية الأساقفة " !! .

" أما الكرسى الرسولى فقد سامحهم عما فعلوا رغمـاً عنهم ، فى تلك المحفل ، لكونهم ثبتوا إلى الآن فى طاعـة

لاون الأب الأقدس ، خاضعين لهذا المجمع العام ، ولأجل ذلك قد قبلهم لكونهم متمسكين بأمانة واحدة " .

" أما ديوسقورس فقد ثبت – إلى الآن – مفتخراً بما كان يجب عليه أن يبكى ويحزن من أجله طالباً الغفران بسببه، ومن غير ذلك مثل عدم الأذن أن تُقرأ رسالة لاون البابا المرسلة إلى فلابيانوس ذو الذكر الصالح ، حيث كان يكرر المرسلون أن يقرأها ، وذلك بعدما وعدهم بقراءتها. فترتب على ذلك ضرر عظيم لكل الكنائس في كل المسكونة !! " .

" فليكن من بعد هذه الشرور كلها ، كنا نوينا أن نعامله بالشفقه والرأفة . كما قد فعلنا سابقاً مع بقية الأساقفة ، الذين ما كانوا تساووا له بالقدر والسلطان ، لولا أنه زاد إثماً على سيئاته الأولى ، فيما تجاسر وحرم لاون الحَبْر الأقدس صاحب كرسي كنيسة رومية الكبرى. علاوة على أن للمجمع المقدس عرض حالات مشتملة على سيرته القبيحة " .

" وفوق ذلك قد دعاه المجمع المقدس ثلاثة دفعات بموجب القوانين الكنسية فخالف أمره ، وأبى السير إليه لأن ذمته كانت لا تبرئة مما اعترضوا عليه . ثم قبل - بخلاف القوانين الإلهية - الذين نفوا من مجامع مختلفة . فهو بنفسه قد أوجب على ذاته حكم البيعة حيث داس قوانينها لأجل ذلك لاون الحبر الأقدس صاحب كرسي كنيسة رومية الكبرى - بوساطتنا وبوساطة هذا المجمع المقدس - مع بطرس الرسول المغبوط الذى هو صخرة وعامود البيعة الكاثوليكية وأساس الأمانة المستقيمة قد نزع عنه درجة الأسقفية ، وعزله من خدمة الكهنوت . فالآن هذا المجمع المقدس ، يحكم في دعوة ديوسقورس المذكور ، بما رسمت القوانين " . انتهى بنصه .

+ + +

الفصل العاشر

مناقشة الحكم على ديوسقورس

تضمن الحكم الذى أصدره مجمع خلقدونية على البابا ديوسقورس على الأمور الآتية :-

أولا : إنه ارتكب عدة شرور !!

ثانياً : قبل أوطيخا بخلاف ما تأمر به القوانين .

ثالثاً : أختص لذاته برئاسة المجامع قهراً (وقد حل المجمع ما حرمهم ديوسقورس ، لخضوعهم للاون) .

رابعاً : منع قراءة رسالة لاون .

خامساً : أنه حرم الأسقف الرومانى لاون .

سادساً :تقدمت للمجمع شكاوٍ مشتملة على سيرته القبيحة.

سابعاً : لم يُلبِ دعوة المجمع بالحضور .

ثامناً : قبل بخلاف القوانين الإلهية الذين نفيوا من مجامع مختلفة .

تاسعاً : ولأجل ذلك فلاون بواسطة نوابه وبواسطة المجمع نزع عنه درجة الأسقفية وعزله من خدمة الكهنوت . **وفيما يلى الرد على تلك التهم الباطلة :**

أولاً : بالنسبة لسلوكيات القديس البابا ديوسقورس :

إذا قرأت هذا فأعلم إنها عادة متأصلة عند الخلقدونيين ، بل هى لازمة ، تميزهم عن بقية المخلوقات

على الإطلاق بما في ذلك البرابرة وسكان الأحـــراش ، أنهم لا يتورعون عن ثلب ما عداهم ممن لا يؤمن بعصمة أسقف رومة ورئاسته العامة للكنيسة . ولـــهم فـــى ذلـــك أساليب منوعة في استنباط المفتريات كما يستخدمون أقـذر الألفاظ وبذيء القول في نعت غيرهم ، مخالفين في ذلـــك راعى الرعاة الأعظم (السيد المسيح) ، والمثـــل الأعلـــى والقدوة الحسنة في الوداعة والحلم والصفح والسلام .

ويكفى لكى تعلم مقـــدار مفترياتـــهم علـــى البابـــا ديوسقورس ونعتهم إياه بالشرير القبيح السيرة أن ترجـــع إلى ما دار فى الجلسة الأولى من مجمع خلقدونية ، وكيف أن اسمه لم يكن ينطق به إلا مقروناً بـــالتقى والمكـــرم . وقد ألمحنا إلى ذلك في كتابنا هذا .

ولكن لما غاب القضاة عن المجمع بحيلة أتبـــاع لاون، انتهز هؤلاء هذه الفرصة ووضعوا الحراس علـــى بـــاب ديوسقورس حتى لا يخرج ، ثم أرسلوا يستدعونه ، ولمـــا قال لهم إن الحراس يمنعونه من الخروج ، أجابوه : " لـــم

نُرسَل إلى الحراس بل إلى قُدسك ، بأنك تعتنــــي وتذهــب إلى المجمع " . وكان كلما قال "إن الحـــــراس يمنعونــــي " يجيبونه : " المجمع يدعونك " . فماذا نفـــهم مـــن هـــذا ؟ وبماذا نحكم على عقلية هؤلاء البشر ؟! .

وللقارئ أن يستنتج من ذلك مقدار ما كانوا ينتوونـــه لقديسنا العظيم . ولما عادوا إليه ثانياً وأعلموه إنهم أبعـدوا الحراس عن بابه، سألهم : هل القضاة موجودون؟ أجابوه: " المجمع يدعوك لتجيب عن التُهَم التـــــي وجهـــها إليـــك أوسابيوس " ؟ فقال لهم : إن هذه المفتريات قد فُحِصــــــت أمام القضاة فهل تريدون أن تُبطلوا ما حصل أمام القضاة؟ وأنا لا أحضر إلا إذا كان القضاة موجوديـــن ، وتُفحــص هذه المفتريات أمامهم " .

وإذا وجدوه مُصرّاً على رأيـــه ، عـــادوا فـــأخبروا أسيادهم بذلك . وإذ لم يجدوا عليه علة تُوجـــب عزلـــه ، تذرعوا بتلك العلة الساقطة وهي : أنهم دعوه ولم يحضر، أو أنه حاد عن الإيمان القويم ، أو إنه جدّف ، أو أنه أنكر الإيمان ، وإنه استحدث بدعة توجب شجبه . فهذا كله لـــم يستطيعوا إثباته عليه .

إذن فليخترعوا بضعه مثـــالب تـــدل علـــى حقـــارة وضاعة مصطنعيها . وقد طالعها القارئ فـــى صـــورة الحكم المزيف ، كما طالع القارئ أيضا تقسيمنا لمحتويات هذا الحكم . وقد افتتحوه بالقول عن الشرور التى صنعـــها كما زعموا ، ولكى يؤيدوا أكاذيبـــهم اصطنعـــوا بضعـــة خطابات تفيض كلماتها بذاءة قد يخجل الهمج من التلفُّـــظ بها دعك من طبعها ونشرها ونســـبوها إلـــى أشـــخاص مصريين وهميين ، ولم يُعرَفُوا إلا عند الخلقدونييـن[1] ولا زالوا إلى اليوم يتغنون بهذه المثالب المصطنعـــة ، فقـد لخصها صاحب كتاب الارتقات[2] .

ولما عجز الأب فرتوناتو اللاتينى ببنى سويف عـــن الرد على المرحـــوم بســـطوروس إبراهيـم نقـل هـذه البذاءات[3] وهذا كـــل مـــا فـــى جـــراب الخلقدونييـــن ،

---

(١) تاريخ مجمع خلقدونية باب ٢٨ : ١٧٦ – ١٨٤ .

(٢) رأس ٥ ج ٤ ف أع ٥١ .

(٣) صفحة ١٢٦ – ١٢٩ من كتاب السيف القاطع .

على كل من لا يستطيعون الثبات أمامه في ميدان الجدل ، كأنها حقائق إيمانية .

أما ردنا على هذه البذاءات فيكفى أن نقول أن قداسة وورع أحبار الكنيسة القبطية أمر مفروغ منه . والكلام فيه من تحصيل الحاصل . والشيء الذى نعتز به هو أن الحياة المسيحية فى الديار المصرية كانت فى ذاك الوقت على وجه التخصيص بالغة حد الكمال فى التقوى والطهارة والنُسك والعبادة الحارة .

فالحياة المسيحية المصرية هى التى أوجدت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية. وهى التى أنجبت علماءها العظماء، وهى التى أنشأت الرهبنة وقوانينها ، التى بزغ نورها على العالم أجمع . وكفى أن رومه أخذت عنها الحياة النُسكيّة . وقد دخل النظام الرهبانى المصرى إلى الشام والحبشة وبلاد السريان . فلو أن البابا ديوسقورس كان قبيح السيرة – كما يفترون – لَمَا سكت عنه شعبه الذى يعرف عن رُعاته القدوة الصالحة والمعيشة الطاهرة ،

والأخلاق والصفات الفاضلة . ولو عـــرف عنــه ذلــك الرهبان الذين كانوا يُعتبرون – فى ذلك الوقـــت – مــن أفضل النُسَّاك وأعظم اللاهوتيين، لما تركوه وشأنه . بـــل لأوقفوه عند حده في أول لحظه يسمعون عنه فيـــها أنـــه مُعوّج السيرة .

ونحن نقرأ فى التاريخ أن البابا غبريال بن تريــك ، السبعين فى عداد البطاركة لما كان يقدس فى دير القديـس مقاريوس وقال فى الاعتراف بالإيمان ، الذى يُتلَّى فـــى آخر القُداس : " وجعله (الجسد) واحداً مع لاهوته " فحالما سمعه الرهبان يقول هذا القول ، اسكتوه قـــائلين : " هــذه الجملة مستحدثه ولم نسمعها قبل الآن وهـــى فـــى ذاتـــها كُفرِّية ، فلا نسمح لك بتلاوتها " وطلبوا منه حذفها .

وحصلت مناقشات طويلة بينه وبينهم انتـــهت بـــإن طلبوا منه أن يضيف إليها : " بغير اختلاط ولا امـــتزاج ولا تغيير " وأصبحت هذه الإضافة هكذا : " وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير" .

فهولاء الذين لم يخشوا بأس بطريركـــهم وجابـــهوه معترضين على ما أضافه من عبارة على الأمانة ، كيـــف نعقل إنهم يصمتون عندما يرون فيه إعوجـــاج الســـيرة ، لاسيما ولقد كان البابا ديوسقورس فى قمة عـــهد مدرســـة الإسكندرية وازدهار الحيـــاة النســـكية وحـــرارة العبـــادة الشعبية .

لقد كنت أستطيع دفع بذاءتهم بمثلها حيث أدون هنـــا القليل من حياة بعض أساقفة رومه . ولكنى أريد الاحتفـــاظ بنقاء صفحات كتابى فلا أدنسها بسرد بعـــض تصرفاتـــهم السلبية التى فى ذِكرْها ما يُخجِل المسيحية التـــى أسســـها الرب يسوع ، مصدر القداسة والطهر . وكفى بهذا جوابـــاً على افترائهم على قديسنا العظيم البابا ديوسقورس .

ثانيا : عن قبوله أوطيخا بخلاف ما تأمر بـــه القوانيـــن الكنسية :

ولدفع هذه التهمه الكاذبة عن قديسنا نرجو القـــارئ أن يستعيد إلى ذهنه ما أوردناه سابقا عن الســـبب الـــذى

لأجله قبل مجمع أفسس أوطيخا ، وحله من الحكم الـــذى أصدره عليه فلابيانوس لِمَا أظهره من حُسْن الاعتقـــاد .
ولقد قلنا إن المجمع والبابا ديوسقورس لـــم يؤتـــوا علـــم معرفة الغيب ، حتى يعرفوا ما يُبطّنه أوطيخا .

ثالثاً : حصل لذاته قهراً على الرئاسه للمجمع :

وقد سبق سقوط هذه الدعوى فيما أوردناه سابقا مـــن أن الملك ثاؤنوسيوس هو الذى أمر بعقد مجمع أفســـس . كما إنه جعل أمر تدبيره إلـــى البابـــا ديوســـقورس مـــع يوبينالوس وتلاسيوس وذلـــك بمراســيم ملكيـــة دونـــها الخلقدونيون فى كتابهم " تاريخ مجمع خلقدونية " .

رابعاً : قد سامح المجمع (الخلقدونى) الآباء الذين كانوا مع ديوسقورس لكونهم خضعوا للاون :

ما هذا الـــذى تقولونـــه يـــا حمـــاة الإيمـــان ؟ أتسامحونهم لأنهم خضعوا للاون الأســـقف ؟ أمـــا كـــان الأحرى بكم أن تقولوا : " إنكم سامحتموهم لما أظـــهروه من حُسْن الاعتقاد وصحيح الإيمان . ومن هو لاون هـــذا

الذى كان بمجرد الخضوع لـــه يحظـــى المـــرء بـــالعفو والمغفرة ؟ أليس هو إنسان مثل كل الناس ؟ ألم يكن هـــو الذى انخدع بكلمات أوطيخا وأرسل يثنى على غيرتـــه ؟ أين كانت عصمته فى ذلك الوقت ؟ لعلها قد ذهبت تبحـث عن عصمه ليباريوس أخ أسلافه . لقد حــــدث أن جلـس على كرسى رومه باباوان وأحياناً ثلاثة ، وأحيانا أكــثر . فهل تستطيعون أن تفتونا لأيهما يكون الخضوع ؟ وهـــل لليباريوس الذى اعتقد بهرطقة أريوس وشـــجب القديـس أثناسيوس الرسولى بطل الإيمان يكون الخضوع ؟ وهـــل للخضوع لهونوريوس الذى علم بالمشيئة الواحدة يكـــون العفو والسماح ؟ .

ولكنها إرادة الخلقدونيين إنه يكفى الخضوع لأســقف رومه ، فيحظى بالعفو ، حتى ولو كـــان هـــذا الأســقف أريوسياً ، كليبـــاريوس وفيلكـــس ، ومضحيـــا للأوثـــان كمركلينوس . " حقا إنك لا تستطيع إقناع من يكـــابر فـــى إنكاره طلوع الشمس فى رابعة النهار " .

خامسا : منع قراءة رسالة لاون : (Tomus Leo)

وقد سقطت هذه الدعوى أيضا عند الكلام عنها فيما سبق . وذلك إنه لما قال نواب لاون إن عندهم رسائل من سيدهم ، قال البابا ديوسقورس : " يُقبَل ماكتبه قُدُس أخينا لاون " وعندما ما شرعوا فى قراءتها طلب يوبينااليوس أسقف أورشليم أن تُقرأ أولاً المراسيم الملكية ، وبعد ذلك لم يقدم نواب لاون ما معهم من الرسائل ،مع العلم أن البابا ديوسقورس قد طلب قراءتها مرتين كما سبق ذكره .

سادساً : حرم لاون :

ولماذا لا يحرمه وقد استحدث فى الاعتقاد القويم بدعة القول بالاثنينية بعد الاتحاد ؟ قد يجيبون قائلين : إن لاون فى تعليمه هذا لم يغلط لأنه معصوم . فلنذهب معهم باحثين عن هذه العصمة المزعومه عسانا نجدها فى ليباريوس الأريوسى (١) أو فى زفيرينوس الذى سقط فى

---

(١) تارخ الهرطقات رأس ٤ ج ٢ف ٣ع ٣٦ ص ٨١ ولومند اليسوعى ١ : ١٩٢

بدعة مؤلّمي الآب[1] أو في مركلينوس الذى ضحى للأوثان [2] أو في يوحنا الأول الذى سعى لدى قيصر الرومان في منح الحرية لشيعة الأريوسيين [3] أو في ويجيليوس الذى حرم مجمع خلقدونية [4] أو في أنوريوس الذى أيد الأقرار بالمشيئة الواحدة وقد حرمه المجمع السادس المقبول عند الكاثوليك والأروام [5].

وسيتعب الخلقدونيون معنا إذا نحن استصحبناهم في البحث عن هذه العصمة في بقية أساقفة رومه حيث ينتهي المطاف ولا نجدها ، فلنتركهم يبحثون عنها وحدهم ، وإذا وجدوها فليهنأوا بها .

سابعاً : عن الشكاوى المقدمة ضد البابا ديوسقورس :

سبق الكلام عن هذه البذاءة عند الكلام عن البند الأول .

---

(٢) تاريخ الانشقاق ج ٧ : ١٠٠

(٣) تاريخ الانشقاق ج ١ ،٦: ١٠٣

(٤) تاريخ الانشقاق ج ١ : ١٠٣

(٥) تاريخ الانشقاق ج١ :٢٧٨

(٦) تاريخ الانشقاق ج ١ : ٣١٦

ثامناً : لم يُلَبِ دعوة المجمع :

لقد بحث المجمع ما نُسِب إلى البابا ديوسقورس وناقشه فى التهمة الموجهة إليه الواحدة تلو الأخرى ، وكيف سقطت هذه التُهم ، وانتهى بقراءة رسالة لاون ، ووافق القضاة على تأجيل الجلسات خمسة أيام يتولى فى أثنائها نواب لاون ومشايعيهم إزالة الشك من قلوب الذين لم يفهموا محتويات رسالة لاون ، ولم يبقَّ شىء مما نُسِب إلى البابا ديوسقورس بلا بحث .

ولذا لم يجد القضاة مايدعو إلى إعاده البحث فى مانُسِب إليه . والدليل على ذلك هو قول القضاة : " إن الغرض من التأجيل ." هو تفهيم منْ بقى ولم يفهم اعتقاد لاون " . فلماذا ينتهز الخلقدونييون فرصة غياب القضاة ويعقدون مجمعهم قبل انتهاء الخمسة أيام ويستدعون الأنبا ديوسقورس بحجة أن أوسابيوس قدم شكوى جديدة ؟! .

وإذا كان هذا صدقاً فلماذا لم يتمهلوا حتى تنتهى الخمسة أيام ، ويحضر القضاة للنظر فى هذه الشكوى

الجديدة ؟ وإذا احتجوا بعدم ضرورة حضور القضـــاة ، فلماذا حضروا أولاً ؟ فهل هذه ضرورة زالـــت الآن ؟ لا جواب منهم على ذلك .

إلا إنهم لما وجدوا أن القضاة لم يجدوا ما يشـــجبون به الأب ديوسقورس ، قد عمدوا إلى حيلة طلـــب تـــأجيل المجمع خمسة . أيام ثم يطلبون الأب ديوسقورس وليقينهم أنه سوف لا يحضر ، إلا فى وجود القضـــاة ، فيـــأخذون عدم تلبيته دعوتهم ذريعة للحكم عليه ، وهكذا كـــان مـــا دبروا ، وتم لهم ما أرادوا . وأدانوا البرىء ، ولنـــا فـــى موقف بطلنا كل الشرف .

تاسعا : أنه قبل بخلاف القوانين الإلهية الذين نفيوا مـــن مجامع مختلفة :

ومَنْ هم هؤلاء الذين قبلهم الأب ديوسقورس ؟ ومـــا هى هـــذه المجـــامع المختلفـــة التـــى نفتـــهم ؟ إن الأب ديوسقورس لم يقبل **إلا أوطيخا فقط** ، إذن فقد كذبـــوا إذ جعلوا الواحد كثرة . والمجامع التى قالوا عنها لم تكـــن إلا

مجمعاً واحداً ، وهـو المجمـع المحلـى الـذى عقـده فلابيانوس لمحاكمه أوطيخا . وفى هذا أيضا قد كذبـوا إذ قد جعلوا المجمع الواحد عـدة مجـامع ، أمـا أن الأب ديوسقورس قد قَبِل أوطيخا ، فلأنه قد أظهر أمام المجمـع حسن الاعتقاد ، كما سبق .

بقى أن نتأمل ملياً فى مَنْ هو الذى تعدَّى القوانين فـى قبوله الهراطقه والمفروزين؟. لقـد سـمح الخلقدونيـون لثاؤدوريطس النسطورى بالوجود فى مجمعـهم . وأكـثر من ذلك انه عندما كما دخل قـابلوه بالترحـاب قـائلين: " أكسيوس " Axios (مستحق) إذن مَنْ المخالف ؟ ومَـنْ هو الذى يستعين بالهراطقة ، لشد أزره فى الحصول علـى الزعامة الكنسية العالمية الموهومة ؟! .

هذا وتأمل قول الأب ديوسقورس لهم فـى ذلـك : " أنتم تثلبونى كأنى تعديت على القوانيـن ، فـهل أنتـم تحفظون القوانين فى دخول ثاؤدريطس " (النسـطورى) ؟ وهكـذا نجدهـم إذ يرحبـون بالهراطقـة والمقطوعيـن

ويتبجحون بقولهم عن بطلنا إنه قَبِل المنفيين من المجـامع. وليس بعد هذا مُكابَرة فى الحق . وكيف يكون الحق مـــع من يتمسكون بالباطل إلى حد التشبث به ؟ .

عاشراً : ولأجل ذلك نزع عنـــه لاون درجـــة الأســقفية وعزله من خدمة الكهنوت :

- ولأجل ماذا نزع عنه لاون درجة الأسقفية ، وعزله من خدمه الكهنوت ؟
- لأجل شروره وسيرته القبيحة ، وهذه يحكـــم فيــها شعبه لا لاون وأتباعه .
- ألأجل قبوله أوطيخا ، وقـــد انخـــدع لاون نفســه بتمويهاته ؟
- ألأجل رئاسته على المجمع ، ولاون هذا من أعطــاه الرئاسة ؟

فالسوابق تدل على أن باباوات الإسكندرية هم الذيــن كانوا يتولون الرئاسة على المجامع . وفـــى بعضــها لــم يرسل أساقفة رومة نوابا عنهم ، ولم يعترضوا على مـــا

قررته ، فضلا عن أن البابا ديوسقورس تولـــى الرئاســـة بناء على أمر الملك ثاؤذوسيوس .

- ألأجل منعه قراءة رسالة لاون ، مع انه رحب بـــها وطلب قراءتها مرتين ؟ ونفرض جدلاً أنه منـــع قراءتـــها فهل لأجل هذا تنزع درجـــة الأســـقفية عــن بطريـــرك الإسكندرية الذى ناط به مجمع نيقية إذاعة منشـــور عـــام لكل مسيّحيى عام بتحديد يوم عيد القيامة المجيد ؟
- ألأجل أنه حرم لاون ، فهو حقا يســـتحق الحـــرم . لأنه حاد عن جادة الإيمان القويم ؟
- ألأجل إنه لم يُلّبِ دعوة عصابةِ خلقدونية ؟ وقد تيقّن إنهم دعوه للفتك به . وإلا فلماذا لم يتريثوا حتـــى تنتـــهى الخمسة أيام المحددة للتأجيل ؟
- لأجل أنه قبل الذين نفتـــهم المجـــامع؟ وقـــد قبلـــوا ثاؤدوريطس النسطورى أسقف قورش ؟

وإذا كانت – كما أطلع القارئ – قد سقطت كل هـــذه الادعاءات من أساسها ، فقد سقط حُكمهم على رأســـهم .

لقد كنت أتوّهم قبل إطلاعي على صورة هذا الحكم انه يحتوى على أن الأب ديوسقورس قد سقط في هرطقة حتى على الأقل كسقوط ليباريوس في الهرطقة الأريوسية، أو ضحى للأوثان كمركلينوس حتى يكون الحكم عليه بحسب ما يستحق ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل مما يدل على أن الخلقدونيين قد سجلوا في التاريخ وثيقة فخار لقديسنا . كما قلدوه وسام البسالة في الدفاع عن الحق القويم والإيمان المستقيم (orthodox) .

+ + +

الفصل الحادى عشر

تعليقات على مجمع خلقدونية

قبل أن أسرد النتائج السيئة التى تلت هذا المجمع أورد هنا بعض تعليقات بأقلام بعض الكُتّاب المُحترَمين ، على التصرفات التى حصلت من أربابه :

أولا : قال المعلم مرقس مشرقي الملواني بأبوتيج في رسالة أجاب بها على خطابيّ المعلم جرجس الغفير الراهب الأفرنجي بأخميم ما يأتي :

(١) كما أنه بعد الشريعتين اللتين من الله ، العتيقة والحديثة ، أي شريعة الفضل ، لا تصح شريعة .فكذلك بعد الثلاثة مجامع واستقرار نظام الكنيسة لم تكن هناك حاجة إلى مجامع ، لأن المجمع الأول أثبت أن الابن الأزلي إله من إله . والمجمع الثاني أثبت ألوهية الروح القدس . والمجمع الثالث أثبت اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً أقنومياً طبيعياً . وعليه لا يوجد نقص حتى يأتي مجمع آخر يكمله .

(٢) أن اجتماعه كان من الناس وليس من الله ، كما شهد بذلك لاون إلى بلخارية ، حيث يقول لها : "أعلمي أيتها الملكة إني كنت دائما أتكل على قداسة نيتكِ "[1] وترك قول الكتاب : " ملعون من يتكل على إنسان " . ورجاها

---

(١) تاريخ خلقدونية باب ١٧ :٧٦

العناية بنوابه والانتصار لهم ، وبهذا صار المجمع من الناس لا من الله ...

(٣) أنهم أدخلوا ثاؤذوريطس النسطورى أسقف قورش وأجلسوه على كرسى ، وقالوا مستحق . وذلك بحضرة الملكة والملك (مركيان) .

(٤) انهم جعلوا فيه شمامسة يقضون على الأساقفة كما يشهد بذلك تاريخ ذلك المجمع إذ جاء فيه : " قالت شمامسة القسطنطينية : انفوا المصرى ، انفوا ديوسقورس، إخرجوه إلى الخارج ". بينما المجامع السابقة لم تكن تسمح للشمامسة بالجلوس فيها لإبداء الرأى.

(٥) أن الأساقفة الذين اجتمعوا فيه كانوا أكثر من سُتمائة أسقف ، من جهات مختلفة ولكن لم يتكلم فيه إلا ثمانية عشر أسقفاً . كما يشهد بذلك عنهم تاريخ مجمع خلقدونية.

وهذا الأمر يجلب شكوكاً كثيرة . لأن المجامع التى قبل المجمع الخلقدونى كان اجتماع آبائها على رأى واحد ، وقول واحد ، واعتقاد وإيمان واحد .

(٦) أنه قال : (المجمع الخلقدونى) بالطبيعتين فى أقنـــوم ولم يرد أن يشهرها فى الكراسي (الأسقفية) ولكننا نجـــد فى رسالة الملك إلى الإسكندرية وإلى رهبان بلاد الغـــال (فرنسا) ورسالة الملكة بلخارية انهما لم يذكرا هذا القــول بالطبيعتين ، بل قالا : أقبلوا مجمع خلقدونية ولــم يذكــرا فى الرسائل ان المسيح طبيعتان فى أقنوم واحد . فلو كـان ذلك من إيمان الرسل - أو من الآباء - لما أخفــوهُ ، لأن المجامع التى قبله كانت تذيع إيمانها فى العالم بأســـره .. الخ .

ثانياً : قال البابا الأنبا يؤنس السابع بعد المائة فى رســالته إلى برثلماؤس الراهب اللاتينى:

" أما دعواكم علينا أننا تابعون لأوطاخي ومعتقـــدون باعتقاده ، فدعواكم هذه باطلة . لأن أوطــــاخي المنكــور محروم . وأننا نحن نحرمه ، ونحرم كل من يقول بقولـــه. لأنه ادخل على طبيعتى المسيح الاختلاط والامتزاج ، ولم يحسن التعبير عن إتحاد الطبيعتين لأن معنى " **الاتحـــاد** " غير" **الاختلاط** " . لذلك فنحن نفرزه من كنيستنا بالجملة".

" وأما دعواكم على ذلك الكوكب المنير ضياء كورة مصر والإسكندرية الرجل الفاضل البار الذى استل سيف الروح وحارب أعداء الحق . ودافع عن الأمانة المستقيمة وضرب بسهام الإيمان طومس (رسالة) الأعداء ، وأعنى ذلك الأب الفاضل الأنبا ديوسقورس ، الذى مات دفاعا عن الحق . تدعُّون عليه انه هو الذى حالل أوطيخا ، ودعواكم هذه باطلة لأنه مكتوب عندكم فى تاريخ مجمع خلقدونية أنه لما طلب إليه (إلى اوطيخا) أن يقول اعتقاده. أقر أمام المجمع الأفسسى الثانى بلسانه أنه يعتقد بالأمانة الصحيحة كما قررها الآباء الثلثمائة وثمانية عشر بنيقية . وحرم كل من يخالف قولهم ويحيد عن معتقدهم حتى سيمون الساحر . فأول من حالله من آباء المجمع اسطفانوس أسقف افسس وبعده أسقف سلوقيا وبعده فلان وفلان . وآخر جميعهم الأنبا ديسقورس . وكان إقرار (إوطيخا) المذكور بمكر حتى يأخذ الحل سرقة" .

" أما دعواكم على الأب الفاضل ديوسقورس أنه كـــان موافقا لأوطاخى الهرطوقى . فهذا ليس بصحيح ودعواكـم هذه باطلة . لأنك إن تصفحت الباب الحـــادى والعشـــرين من تاريخ المجمع الخلقدونى تجد ما يأتى : " قال أســـاقفة الشرق " وهذا قول أوطاخى " . هكذا يقول ديوســقورس . وأجاب الأب ديسقورس وقال :" لسنا نقول بـــالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة [1] .

ثالثا : قال العلاّمة الجليل المتنيح الأيغومانُس فيلوثــــاؤس الطنطاوى رئيس الكاتدرائية المرقسية ســــابقاً ، بعــد أن أورد أقوال الأساقفة بأنهم أُرغِمُوا على التوقيع علــى ورق أبيض ما يأتى :

" فإن قيل ان معتمدى الملك أنفسهم – مع أصحابهم– عضدُوا ديوسقورس ونُصرائه حتى أجبِّر الجميــع علــى

---

(١) نقلنا هاتين الرسالتين من كتاب مخطوط بدير السيدة العـــذراء الشهير بالسريان .

الحُكم والإمضاء ضـــد ضمـــائرهم . قلـــت بمـــا قالـــه ديوسقورس لأحدهم وهو أسقف سيلوقية : إنهم بإذعانـــهم للأب (ديوسقورس) وأصحابه ضداً لضمائرهم ومقـاصدهم خالفوا القائل : " من فمك تتبرر ومن كلامـــك تُـدَان " . أستحوا من الناس وتجاوزوا عـــن الصـــلاح ، وأهـــانوا الأمانة ، بموافقتهم للآخرين خلافا لأفكارهم ".

" ثم أقول إذا كان المذكورون حقيقةً غـــير راضيـــن بقلوبهم واختيارهم بذلـــك الحُكـــم الـــذى قـــرروه . ولا بالاعتراف الذى أعلنوه . ولا بالإمضاء الذى أمضـــوه . وعلى فرض أن الأب (ديوسقورس) وحزبه استعلى عليهم وقهرهم بواسطة معتمدى الملك وسطوتهم ، فلماذا لبثـــوا صامتين حتى نُفِّذ الحُكم بأمر ملكى ؟ ولماذا لـــم يقتـــدوا بأولئك العلماء الأبرار الذين كانوا فى المجمع الأفسســـى الأول ، مع الأب كيرلس ، وعندما طُعِـــن فـــى حكمـــهم وقرارهم وسُعِيَ فى حقهم من يوحنا الأســـقف الإنطـــاكى وثاؤذوريطس أسقف كورش وحزبهما " .

" وعلى الخصوص لما طعن فى حق الأب المغبوط الإسكندرى . حتى بلغت الفتنة إلى حبس الأب (كيرلس) المشار إليه ، كنسطوريوس الشقى . لم يفشلوا ، ولم يحابوا الوجوه ، ولم يتراخوا عن مساندة الحق وأصحابه، مع أن الظروف كانت تُضاد مساعيهم . إذ كان كانديديانوس المعتمد الملوكى معارضا لهم أشد المعارضة ومساعدا لخصومهم ، وجدُّوا بعزم متين . رغماً عن كل مقاومة ومعاكسة – حتى أبلغوا إيضاح حقيقة الحال إلى الملك الأرثونكسى ، والأكليروس والشعب القسطنطينى ".

فإن كان هؤلاء ظُلِمُوا من ديوسقورس ونصرائه وقُهرُوا ، لماذا لم يرفعوا لجلاله الملك شكوى يوضحون فيها الحقيقة ؟ وماذا كان يصيبهم من ذلك الملك العادل لو أبانوا له عن ضمائرهم قبلما ينفذ أحكاما خطتها أيديهم ، ونطقت بها أفواهم ؟" .

" وهل ما تظاهروا به فى (المجمع) الخلقدونى من الاستغفار يبرِّرهم ويحصر التبعة فى الأب (ديوسقورس) إن كانت توجد تبعة ؟ حاشا وكلاً " .

" أليس أن ماقرره كل منهم عن الاعتقاد فى المسـيح، وما حكموا به في تبرير أوطيخا ، أو ما حددوه من جهـة عدم جواز مضادة ما قرره الآباء الأطهار سـابقاً حالـة كون فلابيانوس مخالفا لهم فى كل ذلك هو نفسه إجمـاع منهم على شجبه وعزله ، نظـراً لمضادتـه لإجماعـهم السينودسى" (المجمعى) .

لكن رُبَّ قائل يقول : لا ريـب أن أولئـك الآبـاء انخدعوا بأفسس وجاروا ديوسقورس وحزبه فـى الـرأى والحُكم . وإنما لم يستمروا مصرين على ضلالـهم بـل انتبهوا فى (المجمع) الخلقدونى علـى غفلتـهم وأقـرّوا بخطأهم وقبلـوا تحريـر المجمـع المذكـور بخـلاف ديوسقورس الذى أصر عليه " . قلت أما اسـتمرار الأب (ديوسقورس) متمسكاً برأيه فى الحُكم كمـا أنـه اسـتمر معتصماً باعترافه ، فليس من قبيل العناد بل كان محافظـا على ماهو موقن بعدالته واستقامته . ولو كان اسـتمراره برأيه عناداً ومُكابرةً لكان استمر محافظا علـى اعتبـار

أوطيخا بعدما انكشف عنه ردئ الباطن، ولا كان يرفضه، ولا يوجب عليه الشجب ، كما حصل ذلك في (المجمع) الخلقدوني . إنما لم يستمر متمسكا برأيه في الحكم السنودسي (المجمعي) الذي أُبرم بإجماع الآباء بأفسس من جهه فلابيانوس ، إلا لعلمه بأنه صواب وعدل ومطابق لحدود الآباء المجتمعين بأفسس ، أولاً في عهد الأب كيرلس " .

" أما عن الآباء الذين كانوا موافقين الأب (ديوسقورس) اعتقاداً وحكماً ثم عدلوا عن ذلك ، وانضموا إلى الخلقدونيين ، فلا أزيد في حقهم شيئاً هنا ، خلاف ما ذكَّرته . قريباً في هذا الفصل من الملحوظات المهمة التي حفظها التاريخ" [1] .

---

(١) يشير جنابه إلى قوله السابق بأنه كان بالأحرى بهم ان يقتدوا بآباء مجمع أفسس الأول ، الذين اجتهدوا حتى أوصلوا عريضتهم إلى الملك ، الذي لما عرف أطلق سراح الأب كيرلس الذي حبسه بسعاية معتمديه .

وقال أيضا هــذا الأب : "نعــم إن أســاقفة الشــرق وشمامستهم أنكروا فى المجمع الخلقدونى رضاءهم بذلــك الحكم (على فلابيانوس) وادعوا انهم أمضـــوا أســماءهم على قرطاس أبيض . وبعضهم قال إنه أجبر على وضــع خطه (توقيعه) بالحُكم على فلابيانوس . وبعضهم قال غير ذلك من الادعاءات الكاذبة " .

" فضلا عن أن هؤلاء يُعذَرون فى مثل هذا التصرُّف إذ كانوا تلقُّوا من أول وهلة فى المجمع الخلقدونى الـدرس الكافى لقهر الكنيسة الإسكندرية بأســرها مــن مصــادرة نواب رومية للأب (ديوسقورس) حال افتتاح المجمع ، من الجهة الواحدة ، ومن قبول ثاؤذوريطس أســقف كــورش الخصم الألد للأب كيرلس الكلى الطوبى ، ليشــترك مــع المجتمعين بخلقدونية رغماً عن معارضة أســـاقفة أقــاليم مصر وألليريا وفلسطين ، حيث كانوا يهتفون مســترحمين إخراج ذاك الرجل نصير نسطور . ورغماً عن معارضــة الأب ديوسقورس بقبول ذلك الشخص الذى يُعـــد قبولــه

طرداً لكيرلس الطوباوى . لا بل إن أساقفة الشرق يحيونه عند جلوسه قائلين : " مستحق ثلاث مرات من الجهة الأخرى[1] .

رابعا : وقال العلاّمة الجليل الأنبا ديوسقورس أسقف دير البراموس وصاحب مجلة صهيون :

" لنا ملاحظة على حوادث وقرارات مجمع خلقيدون لم يشر إليها أحد المؤرخين قبلنا ، وربما لم تخطر لهم على بال وهى : أن المجمع المنساق بهوى بابا رومية ، والذى ماكان يتحرّك يميناً وشمالاً إلا بيد نوابه ، انتصر فقط لفلابيانوس وانتقم له من ديوسقورس ، مع إن ديسقورس كان عزل دمنوس أسقف إنطاكية وعين بدله مكسيموس .... فما السر فى كون البابا والمجمع أغفلا مناقشة ديوسقورس حساب حُكم مجمعه ضد دمنوس الذى كان لا يزال على قيد الحياة ، بخلاف فلابيانوس الذى كان فسد جثمانه وأكله الدود . فكان الواجب إنصاف الحى

---

(١) عن كتابه المخطوط " خلاصة تاريخية عن الكنيسة المرقسية ".

وردَّه إلى مركزه . وخلْع الذى رُسِم بدله . فما السر فى مناقشة ديوسقورس عن حكمه ضد الميت ؟ لا شك فى ذلك من الألغاز ، ولكن الذى يراجع تصرفات أسلاف ديوسقورس مع بطاركة العاصمة (البيزنطية) ونفوذهم فى كل الأمور الكنسية الشرقية والرجوع إليهم فى كل العويصات ومشاكل أساقفة رومية مع كنائس الشرق يسهل عليه حل هذا اللغز بلا عناء كبير .

وقد مر بنا من حوادث منتصف القرن الثالث تحت اسم استفانوس أن ديوناسيوس أسقف الإسكندرية قد احتج ضد الأول ، وحامى عن الكنائس الأسيوية ، حين قطع الأول الشركة مع رؤسائها وفعل مثل ذلك مع خلفه . وفى القرن الرابع وجدنا فى مجمع نيقية المسكونى أن أسقف الإسكندرية صاحب الكلمة النافذة وأن اثناسيوس بعد هذا المجمع كان بطل الأرثونكسية ، فى الوقت الذى كان ليباريوس البابا المعاصر له يتعثر بأذيال الهرطقة الأريوسية ، ويسقط مرة أخرى .

وبعد قليل ألفينا تيموثاؤس الإسكندرى يُدير دفة المجمع الثانى المسكونى بصفته رئيساً له ، كما شهد بذلك صوزومينوس المؤرخ (البيزنطى) . ونراه يحتج ضد تعيين غريغوريوس الثاؤلوغس بطريركا ، بدل مكدونيوس الذى عزله المجمع ، لتجديفه على الروح القدس ، فيُنزله من الكرسى ، ويقيم بدله نكتاريوس . وبعد قليل وجدنا ثاؤفليس الإسكندرى يخلع فم الذهب . ولم يكن لأسقف رومية دخل فى ذلك ولا علم . ولم تفد احتجاجاته بعد علمه. ونسج كيرلس على منوال خاله وخلع نسطور . وزاد خلفه الطين بله بخلعه فلابيانوس ودمنوس معاً . وأوغَرَ لاون الصدور بالمغيظ فوق ما هَى مُوَغرَة وتكاد تتميز وتتمزق .

فلاون ونوابه انتصروا لرؤوس الشيعة النسطورية ، لا حباً بسواد أعينهم . وانتقموا لفلابيانوس وساقوا أعضاء المجمع كمن يسوق حيوانات بعصاً. وطردوا ديوسقورس. لا حباً بالعدل ولا غيرة على الأيمان، كما يتشدق

المشايعون . بل للمزاحمة على الرئاسة وسحب السلطة من أيدى أساقفة إسكندرية على الشرق ... لآن رومية اشتهرت منذ العصور الخالية وتباهت بأنها مغارة ملجأ للثعالب والثعابين ، ومحط رحال ذوى البدع ، ومنبع لكل تعليم مخالف".

" وحسبنا شاهداً أن القديس باسيليوس في العصر الذهبى حينما كانت الإسكندرية تتلألأ بأنوار لم يجد في رومية معلماً نافعا لخدمة الكنيسة الجامعة . وأقر بأن رجالها كانوا جهلة ومتكبرون، ولا يطيقون أن يتعلمُوا".

"هكذا سُجِلّ عليهم الجهل والكبرياء والانحطاط ، فما أدراك بحالهم بعد ذلك العصر . فقد تقوضت أركان بدعة أريوس من الشرق ، بفضل أبطال الشرق . وأما فى الغرب فقد عاشت إلى هذا الأوان ، وكانت زاهية وممتدة فى كل إبرشيات الغرب ، ومعظم الكنائس الغربية كانت ممسكة بيد ذويها .

ثم استشهد سيادته على ذلك بيوحنا أسقف رومه الذى انطرح على قدمى يوستينوس القيصر، حتى يُبيح

الحرية للأريوسيين. وبويجيليوس الذى كان يعتقد بطبيعة الكلمة المتجسد الواحدة الخ [1] " .

خامسا : وقال العلامة جراسيموس مسرة :

فأولاً إدعُو (نواب لاون) على ديوسقورس أنه جمع مجمعاً بلا رخصةً (تصريحاً) من البابا . والحال أن الذى جمع المجمع ليس ديوسقورس بل القيصر ثاؤنوسيوس ، وهو أى القيصر قد حرر للبابا لاون يدعوه إلى المجمع والبابا جاوبه بتاريخ ١٣ حزيران سنة ٤٤٩ جواباً يقول فيه : " فقد رسمتم أن يجتمع مجمع فى أفسس .. ليظهر.. الحق .. وقد وجهت أخوتى .. لينوبوا عنى .. الخ " .

وحرر القيصر أيضا لديوسقورس ثلاث مرات . وأقامه رئيسا على المجمع . وحرر لجميع الأساقفة الذين حضروا المجمع على العادة . ثم إن البابا نفسه كتب

---

(١)الأنبا ديوسقورس مجلة صهيون ، السنة السادسة والعشرون ، عدد ٣ هاتور سنة ١٦٣٦ (١٩٢٠م) ص ٨٥-٨٨

للمجمع رسالة يقول فيها : " إن الملك الحليم قد احترم العقائد المقدسة وجمع المجمع ليمحو الضلال بالحكم الأكمل (يعنى حكم المجمع المسكونى الذى هو وحده الحكم الأكمل من حكم فلابيانوس) وبناء على ذلك يرسل نوابه ليقدموا مقامه ، ويوقعوًا على مايُقرَّر ، فأى الطرفين إذن هو الصادق . إرسائل القيصر والبابا ؟ أم كلام النواب فى دعواهم على ديوسقورس بأنه جمع مجمعا بلا معرفة البابا ؟

" أما قول النواب بوجوب رخصة (تصريح) البابا فهو قول فارغ ، لأنها لو كانت الرخصة حقة لكان على البابا أن لا يرسل لا نوابا ولا رسائل إلى المجمع المنعقد بدون الرخصة . ومع ذلك قد أرسل رسائل ونوابا وأعترف بأن المجمع عقد برخصة . (موافقة) قيصر القسطنطينية " .

" وعلى هذا قس أيضا قول النواب : " إن اجتماع مجمع بلا رخصة من البابا ما جرى مطلقاً " . وقد رأينا

فيما تقدم من التاريخ أن كل المجامع الشرقية وكثيراً من مجامع الغرب المكانية قد اجتمعت بلا رخصة البابا ، وبلا معرفته أيضا. وأحيانا ضد إرادته . فضلاً عن أن المجمع المسكونى الثانى نفسه اجتمع بلا معرفته ولا اشتراكه . وما استطاع البابا سبيلا إلى الخلاص من قبوله وقبول قراراته " .

" فيتضح من هذا القليل إننا بقولنا أن نواب البابا قد أطنبوا بكلام لم يكن صحيحاً لم نظلمهم . أما آباء (والصحيح قُضاة) المجمع فقد سمعوا تلك الأقوال ، ولكنهم ما إكترثوا لها . والدليل على ذلك انهم تكلموا مع أحد النواب كلاما نصفه زجر بقولهم : " إذا كنت جالساً بصفة قاض فما بالك تُخاصم ؟ " .

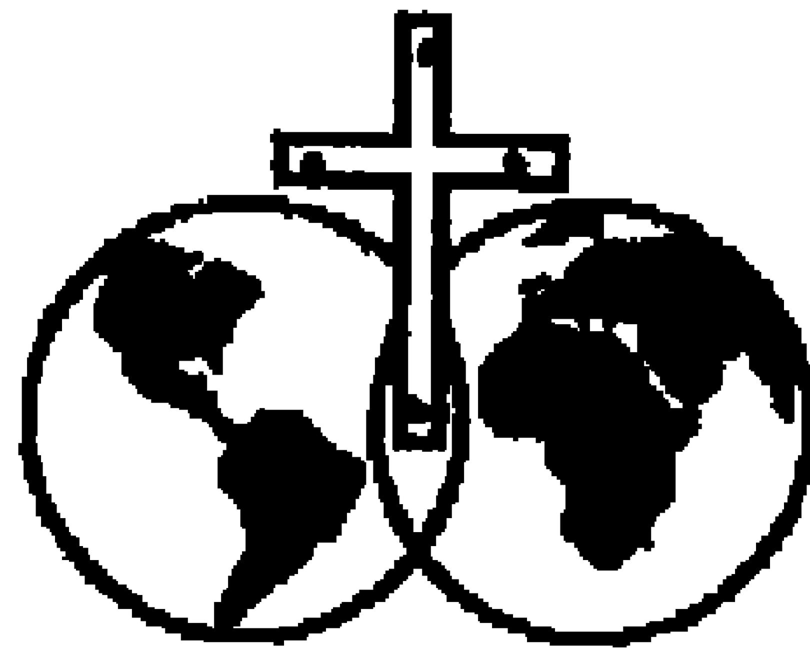
فلننظر الآن في الحكم الذى أصدره المجمع المقدس!! على ديوسقورس بفم نواب البابا .. وأما ما جاء من الكلام الكبير فى نطق الحكم لم يكن سوى فقاقيع لم يخرج جوهرها عن جوهر باقى الكلام .

(أولاً) : فإن النواب لم يحكموا هم وحدهم ، بـــل كــانوا يطلبون أن يحكم المجمع بما يرى .

(ثانيا) : لما جاوبهم الأسقف لوكيانوس ليفوهوا بالحكم مــا قال لهم اعملوا كما يعمل البابا بل قـــال : " كمــا عمــل كيرلس فى أفسس " .

(ثالثا) : كان الشرقيون يجيبون النـــواب ولــم يصرحــوا بحكم ضد ديوسقورس بل كانوا يجيبون أجوبة بعيــدة لــم يستطع النائب أن يحكم بناء على سلطان البابا وحـــده ... أو ليس من الواضح أن المجمع الرابع هدم بهذه الأعمــال تلك الدعوى العريضة التى أوردها نواب رومية فى بـــدء كلامهم" (١) .

+++



---

(١) جراسيموس مَســرَّة ، تــاريخ الأنشــقاق ، ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٥ .

الفصل الثانى عشر

نتائج مجمع خلقدونية السّيئة

نظْرة بسيطة من القارئ على نتائج هذا المجمع يجـد ما تقشعر منه الأبدان . فكم من فضائح ارتُكِبت ، وكم من فظائع عَمِلت ، وكم من موبقات اقترَفت ، وكم من دمــاء بريئة سُفكت ، وكم من نساء ترملــت ، وأولاد تيتمــت ، وأرواح أزهقت ، ومحرمات استُبِيحت . كــل ذلــك فــى سبيل فرض عقيدة لاون على شــعب المســيح المســتقيم الرأى (الأرثونكسى) الصادق العقيدة ، الوطيــد العــزم ، وللأفصاح عن ذلك بعض الشىء أقول :

لما علم البطل الأرثونكسى وكلى الإيمـــان القويــم البابا ديوسقورس أن عصابة خلقدونية قد أصدرت حكمــها عليه تحت ضغط مرقيان وبلخارية ونواب أسقف رومــه تألم كثيراً على مبلغ ماوصل إليه أولئــك الأســاقفة مــن الجُبن ، حيث خافوا من الملك الأرضى ، ولم يرهبوا ملك الملوك ورب الأرباب .

ثم أرسل إليهم قائلاً : " إن كان رأى الآباء قد أجمع على وضع توقيعاتهم بالموافقة على أمانة لاون إجابةً لرغبة الملك . فليس ثمة داعٍ لأن أخالف رأيهم فليرسلوا إليَّ كتاب (نسخة) هذه الأمانة لأوقع عليها حتى لا يكون بيننا خلاف فى الرأى .

وفرح القوم بذلك كثيراً وأرسلوا اليه الكتاب . فلما اطلع عليه ورأى خطوط جميع الأساقفة ماعدا أساقفة مصر . كتب فى جهات الكتاب الأربع بحرم ذلك المجمع وكل منَ عضده أو قبله . وحرم كل من زاد على أمانة المجامع المسكونية السابقة ، وغيَّر أقوال الآباء السابقين .

وأعاده إليهم . وعند اطلاعهم عليه اعتراهم ذهول شديد وصاروا كمن بوغتوا بصاعقة . وحصل بينهم هرج ومرج . وقال بعضهم : " لم يجاهد أحد من هؤلاء القوم فى سبيل المحافظة على الأمانة الصحيحة إلا هذا الإنسان وحده." . وقال غيرهم : إن هذه جسارة منه ، وتحدٍ لأمر الملك مرقيان . ولما رأى أحدهم ذُعرَهم وتبلبلهم قال لمن معه من الرؤساء : " لو أن جلالة مولاي الملك أمرنى ،

لسُقتُ هذه الجماعة إلى عبادة الأوثان بهذه العصـــا التـــى بيدى . قبل أن تصل إليهم إلا ديوسقورس " .

وأرسل الخلقدونيون إلى مرقيان الملك يعلمونه بمـــا حصل من الأب ديوسقورس . فغاظـــه ذلـــك. واستشـــار مستشاريه على الكيفية التى يقتله بها . فقال قـــوم " يُقتـــل بالسيف " . وقال غيرهم : " يُصلـــب " وقـــال آخـــرون : يُحرَق بالنار " .

فقال من كان حاضراً من الأساقفة : " لم يجـــرِ فـــى شيء من مثل هذا فى مجمع . ولا فعل مثل هذا أحد مـــن الملوك السالفين. بل كانوا ينفون المخالف ويُولُّون غيره" .

فأمر الملك بنفى البطل الباسل الأب ديوسقورس إلـــى جزيرة غاغرا بفلاغونيا[١] وكان أغلب أهلها من اليـــهود المتمسكين بعقيدتهم . وكان فيهم مرضى كثيرون . فكـــان

---

(١) تاريخ المجامع لابن المقفع المخطوط ، والنسخة المطبوعة فـــى باريس ص ٦١ . وتاريخ المجامع ، ومصباح الظلمة لابـــن كـــبَر باب ٢ : ١٥٨ من طبعه باريس(وراجع طبعتنا ، نشر المحبة).

القديس يصلى عليهم فيمنحهم الرب الشفاء . فآمن بالمسيح عدد عظيم من رؤيتهم هذه الأشفية ، وسماعهم تعاليمه عن يسوع المسيح . وغاظ ذلك بعض زعمائهم فاتفق منهم اثنان على أن يذهبا إليه ويجربانه بأن يدعى أحدهما بأن يده مشلولة والآخر رجله مقعدة . ومضيا إليه طالبان شفاءهما ، فقال لهما : " كإيمانكما بالمسيح يكون لكما " . فقالا له : " إننا غير مؤمنين به . "

فللحال شُلّت يد الواحد ، وعرَجت رِجْل الآخر . وصرخا من شدة الألم ، واعترفا بذنبهما . فقال لهما القديس : " إذا آمنتما بالمسيح شفاكما " . ولما قالا : " لقد آمنا من كل قلوبنا " . حصلا على الشفاء التام . وذهبا يبشران بما حصل لهما ، حتى آمن أهل هذه الجزيرة بالسيد المسيح[١] .

وكان بهذه الجزيرة أسقف نسطورى . وهذا قد أفرَغ جهده فى الاستخفاف بالقديس ديوسقورس . ولكنه لما

(١) تاريخ المجامع للمنبجى .

رأى ثبات هذا الأب العجيب والمعجزات التى يجريـــها الله على يديه ، رجع عن كفره إلى صواب المعتقد[1] .

وقضى البطل الأرثونكسى العظيم البابا ديوســقورس بقية حياته فى هذه الجزيرة يهدى الضـــالين إلـــى الحـــق اليقين ، ويرشد الخطاة إلى طريق الكمال ، حتى انتقل من هذا العالم متوجا بإكليل الظفـــر ، لثباتـــه الوطيـــد علـــى الاعتصام بالإيمان القويم . وذهب إلى ربه شهيدا عظيمـــا وقديسا كريما .

+ + +

الفصل الثالث عشر

تعذيب الخلقدونيين لشعب المسيح بالأسكندرية

لما كان البابا ديوسقورس فى منفاه بجزيرة غـــاغرا ، حضر إليه القديس بفنوتيوس مـــن الرهبـــان المتوحديـــن بدوناسة، وروى له ما يلى :

---

(١) سنكسار الكنيسة القبطية ٧ توت .

" بعد حضور القديس مقاريوس أسقف ادكو من لدنكم بشهر ، حدث ونحن مجتمعون فى دير الزجاج الذى خلف الإسكندرية ، أن حضر إلينا قائد من قبل مرقيان الملك ومعه طومس (رسالة) لاون وكتاب من الملك يقول فيه : " إن كل دير لا يقبل رهبانه الموافقه على هذا المجمع (الخلقدونى) لا يبقى فيه إنسان حيا . فأخذ منه الرسالة رئيس الدير الأيغومانس لُنجينوس[1] وإذ لم يجد عليها اسم بطريرك الإسكندرية ، فلم يوقع عليها ، وأمهله إلى

(١) من أهل كيليكية وترهب بها على يد معلمه لوقيانوس . ولما تنيح رئيس الدير أرادوا أن يقيموا لوقيانوس عوضه ، فأخذ تلميذه لنجينوس وأتيا إلى الشام ومكثا هناك . أما لُنجينوس فتوجه إلى مصر ، وأقام بدير الزجاج ، إلى أن تنيح رئيس الدير . فاختاروه للرئاسة عليهم . وبعد أيام حضر معلمه لوقيانوس . وكانا يعملان قلاع المراكب ويقتاتان بثمنها . أما لُنجينوس فقد لبث فى الرئاسة حتى حضر رسول مرقيان برسالة لاون . وحصل ما تراه مُفصّلاً أعلاه (سنكسار ٢ أمشير) .

الصباح ، حيث سار به – ومن معه ومعهم الرهبان– إلــى حيث أجساد الشيوخ القديسين وناداهم قائلا : " هــل أنتــم موافقين على هذا الطومس " ؟ . فخرج صوت من القــبر برذل هذا الطومس، وحرم الموافقين عليــه . ولمــا رأى القائد والذين معه هذه الأعجوبة حلقوا رؤوسهم ، وترهبوا ولبثوا بالدير إلى يوم وفاتهم .

وبعد أيام حضر قائد آخر يدعى ســرجيوس ومــع آخر اسمه صالافاغيارى. ودعا الأساقفة إلى الدير. وقــرَأ عليهم كتاب الملك ، وفيه بأن الذى يكتب اســمه (يوقــع) أولا من كهنة الإسكندرية على طومس لاون هــو الــذى يخلف ديسقورس فى البطريركية . فتقــدم بروتــاريوس القس ، وتناول الطومس ليكتب اسمه ، فــأخفى الرهبــان الأقلام التى معهم حتى لا يشاركوه فى خطيته . فقدم لــه صالافاغيارى الكاتب قلمه، فكتب اسمه (وقَّع علية).

فقال له القديس مقاريوس (أسـقف أدكــو) : " ألــم تتذكر قول الأنبا ديوسقورس لك إنك سوف تجلس علــى

كرسى البطريركية بعدى" ؟ وإن جلست على كرسيه وهو حىّ حرّمك ؟ " .

فأجابه بروتاريوس : " إننى أكتب (أوقِّع) على عقيدة مجمع نقية" . فقال له للقديس مقاريوس . " كان الأجدر بك أن تقرأه قبل أن توَقِّع عليه ، ولكنك قد أفضحت شيبتك ، ووقعت تحت الحرم ، الذى أوقعته على نفسك قبل الآن" .

وقدم القائد الطومس القديس مقاريوس ليكتب اسمه ، فامتنع قائلا :" حاشا لى أن أضع نفسى مع أعداء الحق ". فلما سمع منه ذلك رفسه بغضب عظيم رفسةً سقط منها فاقد الحياة ونال أكليل الشهادة. فحمله المؤمنون ولفوه فى حلل ثمينة وحملوه إلى كنيسة القديسين أليشع النبى ويوحنا المعمدان بالإسكندرية .

ولما وصلوا الى الكنيسة قال صالافاغيارى الهرطوقى : " ماذا انتم عاملون بهذا القبطي المرذول ؟ أتدفنونه فى هذا المكان المقدس؟ فللوقت نزل عليه غضب الله وتورم لسانه حتى ملأ فمه، وسقط ميتاً !!.

ولما وضع المؤمنون جسد القديس مقـــاريوس مـــع جسدى القديسين . كان هناك صبي ابن إثنتى عشرَة ســنة أخرس . وهذا انحلت عُقدة لسانه، وصرخ قـــائلاً لأبيـــه وهو مُمسِك بيده :" انظر يا أبى كيف أن هذين الرجليـــن المنيرين يعانقان هذا الرجلِ الذى قُتِل ، وهما يقولان لـــه : " حسنا مجيئك يا أخانا ، هلُم بالسلام لتســتريح معنـــا " . فعَلاَ صوت والد الصبى والجميع بتمجيد اسم الــرب إلـــه هذا القدس القبطى ، وكانوا يـــتزاحمون لمشـــاهدة هـــذا الصبى الأخرس الذى تكلم بشفاعة القديس مكاريوس .

وكان يقول إنى شاهدت رجلين مضيئيـــن أحدهمـــا لحيته كبيرة وشعره طويل نازل على كتفيه . والآخر قليـل الشعر، أجلخ الرأس طويل القامة" . فتحققوا أن الطويـــل الشعر هو يوحنا المعمدان ، والذى بلا شعر أليشع النبـــى . وحينئذ انحنوا أمام عظامـــهما ممجديـــن الـــرب يســـوع المسيح.

وكان هناك أيضا إنسان مُقَعـــد . ولكـــثرة الزحـــام طرحه أحدهم على عظام القديسين ، فشُفِى من مرضـــه ،

وصرخ بالتمجيد . وارتفعت أصوات الشعب بالتسابيح الشجية والمزامير والتماجيد والأناشيد الروحانية[1] .

أما بروتاريوس مغتصب البطريركية فإنه لما ذهب إلى دار الرئاسة ودخل الكنيسة وكان فى ليلة عيد القيامة المجيد ، ورأى من الشعب إعراضاً عنه . وقد تسللّوا من الكنيسة – الواحد تلو الآخر – فقد أمر الجند المحيطين به أن يعملوا السيف فى رقاب الشعب !!.

فخضع الجند لإشارته ، وقتلوا منهم فى هذه الليلة مائة وخمسين شخصاً !! حتى جرى الدم من باب الكنيسة.

وهنا يعجز القلم عن وصف ما ارتُكِب فى هذه الليلة خارج الكنيسة من فظائع وحشية ومخزيات فاضحة . فكم من نساء فضحوها ، وعذارى محصنات هتكوها . والنساء الحبالى كانوا يشقون بطونهن ويخرجون الأجنة ثم يتقاذفونها وبسيوفهم يتلقونها ، حتى غاب الرشد وضاع

---

(١) تاريخ القديس مقاريوس أسقف ادكو، وتاريخ المجامع للمنبجى.

الصواب من كثيرين مـــن هــول مـــا رأوا ، وفظاعـــة ماشاهدوا [1] .

وهكذا انتصرت أمانة لاون ومرقيان بقوة الســـيف لا بصدق الإيمان .

وأسكر هذا النصـــر الدامـــي بروتساريوس القـــس المُغتَصِب ، فتملكه الغرور ودفعته الغطرسة إلى ان يســير في شوارع الإسكندرية ممتطيا صهوة جـــواد ، والجنـــد تحوطه من أربع جهات وهي مدججه بالسلاح ، وأصبـــح الحاكم بأمره لا يدخل الكنيسة إلا وهـــو محـاط بـــالجند المسلحين . وزاد على ذلك أن استولى على جميع ما فـــى الكنائس من أوانٍ ذهبية ومال ، وما لها مـــن عقـــارات . وأودع كل ذلك في قصرٍ فخمٍ، اتخذه لإقامتـــه . وعـــرف ذلك بعض اللصوص ، فسطوا عليه ليلاً وقتلوه ونهبوا كل وجدوا عنده من أوانٍ ومال ، ولاذوا بالفرار !! .

---

(١) تاريخ المجامع لأبن المقفع ، وتاريخ المجامع للمنبجى .

هذا ماجرَى فى مصر. وقد اختصرنا فى القول عنه، لأن هذه الفظائع لم تقتصر على شعب المسيح فى مصر فقط بل قد حصل مثلها وأكثر فى بلاد الشام والعراق أيضا . وذلك أن يوبيناليوس أسقف أورشليم الذى كان شريك الأب ديوسقورس فى تدبير المجمع الأفسسى الثاني، بأمر الملك ثاؤذوسيوس ، لما رأى أن مجمع خلقدونية لم يلتئم إلا لقهر بابا الإسكندرية ، ولاحظ أن ما حصل للأب ديوسقورس سيحصل لمن يناصره، وكان هو أحدهم.

فقد خاف على مركزه أولا وخشى الاضطهاد والنفى والتشريد ثانيا . فانضم إلى أتباع مرقيان ولاون الذين رحبوا به . ولما انفض المجمع ، ورجع إلى أورشليم، خرج شعبه لاستقباله فرحين متهللين براعيهم . ولما دخل الكنيسة وتلى عليهم رسالة لاون وفيها القول بالاثنينية بعد الاتحاد ، لم يقبلوها وصاحوا فى وجهه قائلين : " لا تُقبَل غير أمانة مجمعى نيقية والقسطنطينية والمُصدّق عليها بمجمع أفسس " .

وإذ وجدوا منه الإصرار على تلاوتها تركوا الكنيسة وانصرفوا إلى بيوتهم . أما هو فقد أرسل إلى مرقيان بهذا الأمر ، فأرسل له قوة من الجند تساعده على تنفيذ مُراده . وعلم الشعب بذلك فهرعوا إلى الكنيسة يتقربون من الأسرار المقدسة قبل أن يضع يده عليها هذا الهرطوقى . فما كان منه إلا أن اقتحم عليهم بجنده وهم يتناولون الأسرار الإلهية . وأمر الجند بقتلهم ، فأعملوا السيف فى رقابهم وأجسامهم حتى أتوا عليهم. وكان عددهم خمسة آلاف نفس . وبينهم القس سيلاس ، الذى كان يقدس في ذاك الوقت !!.

وبلغ من همجية الجند انه لما أتت النساء لأخذ أجساد ذويهن ، أن هجموا عليهن وارتكبوا معهن الفحشاء . ونجت أمرأة القس سيلاس وابنته بأعجوبة . ورجعتا إلى بيتهما [١] . وفى بلاد السريان حصل مثل هذا وأكثر .

---

(١) تاريخ القديس مقاريوس أسقف ادكو، وتاريخ المجامع للمنبجى.

وذلك أن جند مرقيان قد أماتوا القديس برسوم أب رهبان السريان رجماً بالحجارة ، لأنه لم يقبل أمانة ملكهم .

وكان تلميذه نائما بكنيسة القديس يوحنا المعمدان بمدينة حمص . فلما رأى الاضطهادات المريعة التى يصبها الخلقيدونيون على شعب المسيح أخذ رأس القديس يوحنا المعمدان وهرب إلى مصر. وذهب إلى برية الأسقيط (وادى النطرون) ففرحوا به ووضعوه (الرأس) بكنيسة القديس مقاريوس ، ثم نُقِل إلى الإسكندرية مع جسده الذى كان مع جسد أليشع النبى بالكنيسة التى ابتناها البابا ثاؤفليس البطريرك الثالث والعشرون على اسميها ، وهى المعروفة بكنيسة (فى زمن الكاتب): النبى دانيال . ولقد مر بنا أن جسد الشهيد القديس مقاريوس أسقف ادكو قد وُضِع معهما . أما جند مرقيان فقد بذلوا قصارى جهدهم فى تعذيب المؤمنين ببلاد السريان . والذين هربوا نهبوا أملاكهم وهتكوا عرض نساءهم. واستشهد كثيرون لثباتهم على الإيمان المستقيم[1].

---

(١) تاريخ المجامع للمنبجى (السريانى الجنس).

الفصل الرابع عشر

نهاية الوحدة وبداية الانقسام

ظل المصريون متمسكين برئيسهم الشرعي البابا ديوسقورس حتى علموا بانتقاله من هذا العالم وهو في منفاه . وكان مرقيان الملك قد مات ، وتملّك بعده الملك (البيزنطى) لاون الأول . فاجتمع الأساقفة ورسموا القس تيموثاوس . وكان أولاً راهباً بدير القلمون بالفيوم ، ثم رُسِمَ وعُيّن قسيساً للكنيسة المرقسية بالإسكندرية .

فلما جلس على السدة المرقسية جمع مجمعاً من الأساقفة وحرم مجمع خلقدونية. فغضب منه لاون الملك ونفاه إلى جزيرة غاغرا بفلاغونيا. وقضى هناك سبع سنوات، حتى مات لاون هذا، وتملّك بعده الملك لاون الثاني، فأعاده من منفاه إلى كرسيه. وحالما رجع جمع مجمعاً من ٥٠٠ أسقف، وحرم مجمع خلقيدونية. وكان ذلك في سنة ٤٦٨م (١) .

---

(١) الأنبا إيسيذيروس، حسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك، ج ١: ١٥٩ وتاريخ الكنيسة القبطية للمتنيح القس منسى يوحنا، ص ٣١٧.

ولما مَلَك زينون البار (Zeno) سنة ٤٧٤م وكان فـى أول أمره خلقدونى المذهـب، نفـى الأب بطـرس بابـا الإسكندرية السابع والعشـرين والأب بطـرس القصّـار بطريرك إنطاكية . إلا أنه لما عاد أكـاكيوس (بطريـرك القسطنطينية) إلى صوابه ورجـع عـن تسـليمه بعقيـدة خلقدونية وكاتب فى ذلك بابا الإسـكندرية بطـرس ال٢٦ وتداولت المكاتبات بينهما، وطلب أكاكيوس ، فى رسـالته الرابعة ، من البابا بطرس أن يرسل بعض الشـيوخ مـن الرهبان القديسين العلماء الأقباط ليطلبوا من الملك رفـض قرارات مجمع خلقدونية فقال : " أرسـل لنـا أيـها الأب الأقدس أناسا قديسين من رهبان البرية ومن الأديرة ومـن المدينة الإسكندرية، رجالا خـائفين الله ومحبيـن للعمـل الروحى، يطلبون من الملك ليقع صلـح بيـن الكنـائس ويرفض مجمع خلقيدون . وأنا سـأنطلق إلـى السـراى وأنصح الملك ومشيريه عنـك ، أنـك رافـض مجمـع خلقيدون كما قلت أنا ذلك ، لكى يتم تدبير الصُلح " .

فرّد عليه البابا بطرس فى رسالته السادسة بقوله : " قد أرسلت إلى الملك - كما كتبت لى - رهبانا محبين لله من البرية ، من الأديرة المصرية ، وأناسا ذوى تقوى ومحبين للعمل الروحي . فالآن أسرع - أيها الحبيب - واقنع الملك لكى يتم تدبير صلح للكنائس حسب الإيمان الأرثونكسى".

وسافر الرهبان المصريون واجتمعوا بالملك وأبلغوه رغبة باباهم فى عقد مجمع لرفض مجمع خلقدونية . فأصدر بذلك منشورا يعرف إلى اليوم " بمنشور الاتحاد". جاء فيه " والآن قدم لنا محبو الإله الارشمندريتيون وشيوخ البرية وأناس آخرون أتقياء رجاء سائلين بدموع أن يجرى صلح (= اتحاد) الكنائس ، ونجمع الأعضاء التى مزقها عدو الخير لتشترك ببعضها(١) " .

وفرح المؤمنون بذلك وزال عنهم الاضطهاد الخلقدونى . وملك بعد الملك زينون الملك انسطاسيوس سنة ٤٩١م وكان كذلك أرثوذكسى المعتقد .

---

(١) حُسن السلوك، المصدر السابق، ج ١ : ١٥٩ - ١٧٤ .

فسَادَ السلام . وشمل النظام أمور الكنيسة فى أيـــام هذا الملك (انسطاسيوس) وقد ملك تسعا وعشرين ســنة . وهو آخر الملوك الأرثونكسيين بمدينة القسطنطينية .

وكان الشيطان يفرح ويرقص طربا ، حيث قد أفلــح سابقا في شطر كنيسة المسيح إلى اثنين ، لأنه لما وجد أن الحرب التى أشعل نيرانها على يد ديقلانيـــانوس الكــافر (٣٠٣ – ٣٠٥) قد عادت عليه بخيبـــة الأمــل ، حيــث خرجت منها المسيحية ظافرة وقاهرة . ومنتصـــرة علـــي مملكته التى اندحرت وتوارت من ميدان الجهاد إلى غــير رجعة .

ولأنه (الشيطان) لا يرضى بالاندحـــار ولا يســكت عليه . لذلك ابتكر وسيلة أخرى للانتصار علـــي كنيســة المسيح بأن اجتهد حتى بذر في قلب أسقف رومه فكـــرة الرئاسة العامة على كل اخوته الأساقفة . وكان من نتائج نمو هذه الفكرة أن أثمرت هذا الشقاق المحزن الذى أوجده لاون أسقف رومة يعاونه فى ذلـــك مرقيـــان وبلخاريـــة

الراهبة الحانثة ، ولا زالت الكنيسة إلى اليوم تئــــن منــه متوجعة ، وتتمنى قرب اليوم السعيد الــذى فيــه تصبــح متّحدة بقلب واحد ، لأن فاديها ورَاعِى رُعَاتها واحد .

ولكن هل لهذا اليوم من قُرْب [1] ؟ وأساقفة رومــه لا يزالون (فى زمن الكاتب) يُطلِقون لأقلامهم العنان ، فـــى طعن الكنيسة القبطية الأرثونكسية ، ونعت باباها وبطلـــها الأرثونكسى بأقسى الألفاظ ، حتى أن "ليكورى" صـــاحب كتاب الارتقات لا يذكر اسم البابا ديوسقورس إلا ملحوقـــا أو مسبوقا بقوله عنه " المنافق " !! .

أهكذا علّمهم رئيـــس الســـلام الـــذى كـــان يبـــارك مضطهديه ويصلى عن صالبيه . وقد علق على الصليـــب كمقهور ، تاركا لنا مثالا لكى نتبع أثر خطواته .

---

(١) فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث – أطال الله حياته بذل محـــاولات وعقد لقاءات واتفاقات بين الكنيسة القبطية والكثير من كنـــائس الغـــرب الرومانية والخلقدونية وغيرها ، ولا تزال للآن تتم هـــذه الحـــوارات . ونأمل أن تحقق ما تمناه الفادى ليكون الجميع واحدا (يو ١٧: ١١) .

ولكننا مع الأسف الشديد نجد مــن أســاقفة رومــة ورسلهم انهم لا يستخدمون فى التعبير عــن أفكــارهم إلا تلك الألفاظ المستهجنة ناسين قول الرسول : " لا تخـــرج كلمة ردية من أفواهكم " .

أما نحن فأملنا أن يأتي ذلك اليوم الذى فيه تزول هـذه الانقسامات المحزنة لقلب المسيح والذى يفرح ببنيه وهــم فى إيمان واحد ، تربطهم عروة المحبة الأخوية ، وبذلــك تكون رعية واحدة لراعٍ واحد .

+ + +

القسم الخامس

شهادة الكنيسة والتاريخ عن الاتحاد الطبيعى (بين اللاهوت والناسوت)

تمهيد :

لست بحاجة إلى إقناع القُراء بأننى عبثاً أحــاول الأتيــان بأفضل مما قاله جهابذة كنيستنا القديســين عــن الاتحــاد الطبيعى العظيم . ولذلك أرانى سعيداً بأن أدوّن أقوالـــهم

هنا كما جاءت فى كتاباتهم التى تركوها لنا تراثـــا ثمينـــا نعتز به ، إذ فيه الغِنىَ لنا والكفاية .

وأنى لأرجو أن أكون قد أحسنت الأداء فى اقتطـــاف هذه الثمار الروحية حتى بذلك تغتذى أرواحنـــا وأفـــهامنا بأقوال معلمينا الأولين . وإذ أنقل شروحاتهم هنا ، فـــأنى اكتبها مجردة من أى تعليق ليقينى أنها ســـهله التعبـــير ، قريبة الفهم . وسأدون من أقوالهم ما يختـــص بالأســـباب الموجبة للاتحاد ، وما هو ؟ وكيفيته ؟ وشرحهم لذلك . ثم ألحق ذلك بشهادات مختلفة لغير آبـــاء الكنيســـة القبطيـــة الأرثونكسيةبتأييداً لصدق عقيدتنا وإيماننا المستقيم .

+ + +

الفصل الأول

أسباب الاتحاد

١- قال العلاّمة الجليل الأنبابطرس السدّمنتى (القـــرن ١٣) :

" إنه سبحانه لما شاءت رحمته إنقاذ خليقتـــه مـــن يـــد عدوهم ، لم يأتهم بطريق خلاف ماعـــاهدوه لئـــلا تتفـــر

عقولهم ، ولا يأنسوا إليه . بل ســـــلك مســـالك الطبيعـــة البشرية التى تجسد منها . وأخذ فى النمو فى القامة كسائر البشر . ولو شاء لأكمل قامته فى وقت واحد."

" وإنما فعل ما جرّت به العادة للأجســـــام البشــرية . ولف بالأقماط ، وهو الذى زين السماء بالأفلاك . ورضــع الثديين ، وهو المطعم البشرية . وحمل على الكتف وهـــو حامل السماء والأرض بقوته . وهرب مع أمه إلى مصــر ، وهو الذى لا يستطيع أحد أن يهرب من قدام عينيه . ونــام وهو الذى لا ينعس ولا ينام ، وجـــاع وعطــش وتعــب وحزن وفرح وبكى".

" كل ذلك عمله بتحقيق ، ليتحقــق عندنـــا تجســده ، ويتكمل للجسد ما فى طبيعته . ولما أكمل ثلاثـــون ســنة تعمد من يوحنا المعمدان في نهر الأردن ، وهـــو مقــدس القديسين . وأظهر لنا الثالوث القدوس بحلوله فـــى المـــاء حيث نزل الروح عليه وصوت الآب من السماء قـــائلا : "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " . وبعد ذلك خــرج إلى البرية وصام أربعين يوما وأربعين ليلة ليعلمنـــا أننـــا

ولو أخذنا (مواهب) الروح القــدس ونعمــة البنــوة أن لا نترك الصوم والصلاة".

" ولما أكمل الوقت الذى ينبغى فيه خلاص العــالم ، أطلق سبحانه عليه الأيدى بإرادته. فمُسِك ورُبِطَ وهــزئ به، وهو المسبح من الملائكة . وسقوه الخل وهــو الــذى أطعمهم المن فى البرية ، ثم علقوه على الصليــب وهــو رافع خطايا العالم . ومات وأسلم النفس البشرية".

" وأما قول الرسول إنه مات بالجســد ، وهــو حــى بالروح ، فيعنى أنه مات الموت الجســدى . وأنــه حــى باللاهوت المتحد به ، ومضت النفس البشرية إلى الجحيــم وخلصت الذين كانوا هناك ، وأعادتهم إلــى الفــردوس ، كما قال بولس الرسول : " لأن المسيح أيضا مات دفعــة واحدة من أجل الخطية . البار عِوَض الأثمة ، لكى يُقرّبنــا إلى الله، إذ أُمِيت بالجسد وهــو حــى بــالروح ، وبــها (باللاهوت)مضى وبشّر الأرواح التى كانت محبوسة[1] ".

---

(1) ١ بط ٣ : ١٨ و ١٩ ، حسب الترجمة القبطية .

وذهب بالجسد إلى القبر وهو متحد باللاهوت أيضا ، ولم يلبث فى القبر حتى قام فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء . وسيأتى ليدين الأحياء والأموات [1].

٢ - وقال العلاّمة الشيخ الصفى بن العسال :

ذكر العلماء للاتحاد أسبابا كثيرة. وهى ترجع إلى قسمين (الأول) من جهة البارى تعالى، وهو أن الذى لأجله أوجدنا هو جوده ، وهو الذى لأجله اتصل بطبيعتنا لتكميلنا، وهو تكميل جوده :

١ - والدليل على وجود الاتحاد ، أن البارى تعالى هو أفضل أهل الجود . وأفضل الجود ، الذى يجود بأفضل الذوات ، وأفضل الذوات ذات البارى تعالى ، فلزم جود البارى بذاته علينا . وهذا كان باتصاله بنا .

٢ - ودليل ثان : وهو أن اتصاله بنا ممكن ، لأن المانع من الممكن المضاداة ، والخالق ليس هو ضد مخلوقاته ، إذ الضد يعدم ضده ولا يوجده . وقد قال فى التوراة أنه

---

(١) باختصار عن الباب الثالث، المقالة الأولى من كتاب الأنبا بطرس السدمنتى "البرهان" .

يخلق الإنسان بشبهه . والمشابهة مُقرِّبة للإتصال . وإذا كان اتصاله بنا ممكناً ، وكان لنا فيه غاية الشرَف ، وله فيه كمال الجود ، فلا يمنعه إلا العجز والبُخل . وهما من صفات النقص ، وهو يتعَالَى عنهما ، فيجب اتصاله بنا .

والقسم الثانى من جهتنا ، وهو لما قصرّنا عن بلوغ كمالنا الإنسانى ! وقصَّر الأنبياء عن البلوغ إلى مبادئ الكمال المنكور ، تأنّس الإله حتى بلغ بالأكثرين إلى غاية الكمال الإنسانى[1] ".

الفصل الثانى

أولا : ما هو الاتحاد ؟!

١ – قال العلاَّمة، الأب بطرس السدمنتى فى كتابه المخطوط باسم " ترياق العقول فى علم الأصول ، (الفصل السادس) " ما يأتى :

---

(١) الفصل الحادى عشر من مقالته عن التثليث والاتحاد وقد نَقَل هذا الكلام بحروفه ابن كبر فى الباب الأول من كتابه مصباح الظلمة ص ٨٢ و ٨٣ طبعة باريس (راجع طبعة المحبة من إعدادنا) .

" الاتحاد هو مصير شيئين – أو أكثر من شيئين – شيئاً واحداً. ولا يخلو أن يكون على طريق الامتزاج كالماء والشراب . أو على طريق الاختلاط كبرادة الذهب والفضة إذا جُمِعَا فى الإناء الواحد ... أو على طريق تعلق التدبير العلى ، كالنفس الناطقة (الروح) والحيوان فى الجملة الإنسانية ، أو على طريق اجتماع المادة والصورة فى الجسم " .

٢ – وقال أيضا فى كتابه المخطوط المسمى " البرهان" (المقالة الثانية) : " الاتحاد لفظة معناها يدل على أشياء أكثر من واحد ، اتحدت ببعضها ، فصارت شيئاً واحداً ، ولا يجوز أن يقال عن الشيء الواحد انه اتحد ، لأنه لم يزل واحداً ، لأن اشتقاق لفظة "الاتحاد" من الوحدانية الحادثة عن أشياء ، قد اجتمعت فصارت واحداً " .

+ + +

ثانيا – كيفيته

١ – جاء فى كتاب المجامع المخطوط لابن المقفع "الباب الثالث " ما يأتى :

قال ديوسقورس : " قد قال أبي أنبا كيرلس (الكبير) أن اتحاد اللاهوت بالناسوت، كاتحاد النار بالحديد ، وإذا ضرب بالمطرقة ، فالنار لا تتوجع ، والحديد هو المتألم " فصاح جماعة من الناس وقالوا : أمانة ديوسقورس هى الأمانة الصحيحة " .

٢ – وجاء فى الباب الرابع من هذا الكتاب : " قال كيرلس بطريرك الإسكندرية : فأخذنا لنا مثالا لاتحاد اللاهوت بالناسوت، كاتحاد النار بالحديد ، وإن كانا طبيعتين مختلفتين، فباتحادهما صارًا طبعا واحداً . لا أن طبع النار استحال فصار حديداً ، ولا أن طبع الحديد استحال فصار نارًاً ، بل نارًاً اتحدت بحديد ، هى النار

وهو الحديد" وأيضاً قال : " إن الحديد إذا ضُرِب بالمطرقة، فهو يتأثر وليست النار هي المضروبة ".

وقال أيضاً القديس كيرلس بطريرك الإسكندرية في رسالته إلى لوكيطس أسقف قيسارية التى بسوريا :

" يجب أن نأخذ لنا مثالاً من طبعنا نحن البشر ، لأننا مخلوقون من نفس (روح) وجسد . وهما طبيعتان مختلفتان قبل الاتحاد ، وباتحادهما صاراً إنساناً بطبعٍ واحد . لم تتغير النفس عن طبعها باتحادها بالجسد فصارت جسداً ، ولا الجسد صار نفساً ، بل النفس والجسد طبع واحد ، وإنسان واحد " (الباب الرابع من كتاب المجامع لابن المقفع) .

٤ – وقال أخوه الشيخ الأمجد بن العسّال في المقدمة التى وضعها عن البصخة :

" .. وهذا الجوهر الإلهى لم يلحقه شيء من هذه الانفعالات ، ولم تتله أيدى المخلوقين في حال من الحالات ، لا دون الجسد ، ولا مع الجسد ، تعَالَى الله عن

ذلك. والجوهر الإلهى لا يتغيَّر . لذلك فليس يلحق التـأثير على ماهيته . والجوهر الثانى هو الإنسان المولـود مـن مريم العذراء ، والذى طبيعته مثل طبيعة البشـر ، وهـو مساوٍ لهم فى جميع (الصفات) الإنسانية ماخلا الخطيـة . وجسده يجرى مجرى الأجساد الآدميين كلـهم ، فـالآلام التى قبلها المسيح ، والصلْب والموت ، وما ناله من هـذه الانفعالات والتأثيرات ، إنما ألحقَ بالجوهر الإنسـانى دون الجوهر الإلهى ، لأننا نبصر الحديد متحداً بالنار مُحـرَق بجوهر النار ، قابلاً الانفعال والضرب بجوهر الحديـد ، وهما متحدان ، منسوباً لكل منهما ما يخصه " (نقلا عـن نسخة بالعربية بدير البراموس ، تاريخها ٢٢ أمشير سـنة ١٠٤٥ للشهداء – ١٣٢٨ م) .

٥ – **وقال الأب بطرس السدّمنتى** : " إنـه كمـا جـاز اتصال جوهرين أحدهما بسيط مجرد عن المادة ، والآخـر حيوانى (غرائزى) حساس ومتحرك بالإرادة . فكان منهما الجملة الإنسانية، من غـير اختـلاط ، ولا امـتزاج، ولا

انحصار، ولا تغيير، فكذلك نقول فى اتصال الذات الإلهية بالإنسان المأخوذ من مريم" (ترياق العقول فصل ٦).

٦ – **وقال فى كتابه البرهان (مقالة ٢)** ، " كما قد جُعِل الاتحاد الصائر بين النفس الملائكية الروحانية ، وبين الجسد التُرابيِ الحيوانى : إنسانا واحداً ، طبيعة واحدة ، وجوهراً واحداً ، وليس فى الملائكة من هو لابس جسداً مثله ، ولا فى سائر الحيوان من هو متجسد بنفس عاقلة مثله ، يوصف بصفتين مختلفتين ، من جهة نفسه ، ومساوٍ للجواهر العقلية . ومن جهة جسده مساوٍ للحيوان (للعواطف) . ولا ينبغى أن يُقال بعد اتحادهما وصيرورتهما أنسانا واحداً أنهما إثنان ، ملاك وحيوان . وإن كان فيه جوهرا الملائكة والحيوان موجودين .

لم تنتقل النفس فتصير جسماً ، ولا الجسم نفساً ، بل كل منهما يظل حافظاً مايخصه . وأبدع لهما الاتحاد إسماً يخصهما الذى هو " **الإنسان** " . فلا النفس بمفردها تُدعَى إنساناً ، ولا الجسد بمفرده يُدعَى إنساناً ، بل بالاتحاد

دُعَى مجموعهما إنساناً ، ذا طبيعة واحدة وخاصية متقومة من طبيعتين عامتين ، وهكذا فى المسيح له المجد ، إنه لا يجوز أن يقال فيه بعد الاتحاد أنه من طبيعتين مفترقتين ، وإن اللاهوت لم يستحل فيصير ناسوتاً ، ولا الناسوت انبسط فصار لاهوتاً ، بل كل منهما حافظ على مايخصه ، من غير اختلاط ولا امتزاج ، ولا استحالة " .

٧ – **وقال أيضا** : " إنه اجتمع رأى كل من له عقل على أن الأشياء البسيطة – غير المركبة – ليست منفعلة فى ذاتها، ولا قابلة لشىء من الأعراض البتة ، وإنما يقع الأنفعال على الكثيف بالحق ، وعلى البسيط بطريق المجاز لا على التحقيق ، مثال ما قد نظن بالنار المتحدة بالحديد أنها قد تألمت ، وتقطعت ، وتدورت ، وتطاولت ، ورقت، وغلظت، لما طرق الحدَّاد قطعة الحديد بالنار ".

" وعلى التحقيق إن النار لم تتألم ، ولا لحقها شىء من الأعراض ، ولا تغيرت عن حالها. وكذلك النفس المتحدة بالجسم قد نظن بها أنها تتألم وتتقطع عند تقطيع

الجسم الذى هي متحدة به ، وعلى التحقيق فإن النفس لم تتألم ولم تتقطع ، وإنما المتألم فى الحق هو الجسم . وتُنسَب للنفس الآلام على سبيل المجاز لا على الحقيقة ، وذلك من جهة الاتحاد .

" **وهكذا اعتقادنا فى الكلمة الأزلى المُتّحِد بالجسم البشرى ، والمأخوذ من مريم العذراء .** إن الآلام التى عرضت له من جوع وعطش وتعب وصلب وموت، وغير ذلك من الأعراض، إنه لم يدخل على كلمة الله شيء منها ، بل إنما دخلت على الجسم الذى فى طبعه أن يقبلها. ونُسِب للكلمة الأزلى من جهة الاتحاد لا فى جوهره، لأن جوهره هو جوهر الآب والروح القدس بعينه. فلو لحق الله الكلمة الأزلى شيء من الأعراض (التغيير) والآلام ، لوجب أن يلحق الآب والروح القدس ، ومعاذ الله من ذلك . لأن الله تبارك وتعالى غير قابل لشيء من الأعرَاض (التحوُّل) فى جوهره ، ولا لها عليه من سبيل " (الباب ٤ مقالة ١ من كتاب البرهان) .

+ + +

الفصل الثالث

فى اعترافات الآباء

كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فخورة بتلك الذخيرة الثمينة التى تركها لنا معلمونا القديسون من الاعترافات والشروحات الوافية عن سر الاتحاد العظيم . ولا تتسع صفحات هذا الكتاب لا يراد جميع ما قالوه . وما دوّنوه ، ولكنى أنكر القليل المفيد من نفحاتهم المقدسة ، جاعلاً أقوالهم فى قسمين الأول : شهادة الآباء السابقين لعهد الأنبا ديوسقورس . والثاني شهادة اللاحقين له .

+ + +

القسم الأول

شهادات الآباء السابقين عهد الأب ديوسقورس

أولا – اعتراف القديس أثناسيوس الرسولى البطريرك العشرين من باباوات الإسكندرية :

١ – قال هذا الأب فى رسالته الى الملك يوبيانوس :

" ينبغي أن نعتقد بطبيعة واحدة وأقنوم لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال . ومن لا يقول هكذا ، فإنه يخاصم الله ، ويحارب الآباء القديسين" (يضاد أقوالهم) .

٢ – **وقال في مقالته على التجسد** " نعترف بابن الله المولود من الآب قبل كل الدهور . وولد من مريم العذراء مريم بالجسد . وهذا الواحد هو الإله ، وهو ابن الله بالروح ، وابن الإنسان بالجسد ، ليس بأن الابن هو طبيعتان إحداهما مسجود لها، والأخرى غير مسجود لها ، **بل طبيعة واحدة لكلمة الله (Logos) المتجسد** ، الذي يسجد له مع جسده سجوداً واحداً [1] .

٣ – **وقال أيضا** :"إن الغير جسد (اللاهوت) والجسد اشتركا بالاجتماع إلى طبيعة واحدة . وهو الله والإنسان معا . وهو لا يقبل تغييرا ولا استحالة . بل أقنوم واحد ، ووجه واحد ، وفعل واحد ، وطبيعة واحدة لله الكلمة الذي صار جسداً [2]".

---

(١) كتاب اعتراف الآباء .

(٢) كتاب حُسن الاعتقاد في سر الاتحاد ، للمتنيح الإيغومانس فيلوثاؤس الطنطاوي رئيس الكاتدرائية المرقسية سابقا (بالقاهرة) .

ثانياً – اعتراف أبينا القديس البابا كيرلس الكبير البطريرك الإسكندرى الرابع والعشرين :

١ – قال هذا الأب فى رسالته إلى أكاكيوس أسقف ميليطين : " لكننا لا نذهب مع بعض هراطقة قدماء ، إلى أن كلمة الله اصطنع لذاته جسداً من طبيعة اللاهوت، بل نقول تابعين الكتب الإلهية دائما : إنه اتخذ جسَداً من القديسة مريم . فلأجل هذا إذا افتكرنا فى الأشياء القائم منها الابن والرب الواحد يسوع المسيح نقول : " إن طبيعتين قد اتحدتا لكن بعد الاتحاد إذ نُزِعَ الانفصال من الطبيعتين ، فنؤمن بأن طبيعة الابن واحدة ، بما أنه واحد لكنه متجسد ومتأنس ... لكننا لا نفرق الألفاظ، لأن طبيعة الابن واحدة هى . وهذا حق واضح فى غاية الضياء ، لكننا نعلم أنه متجسد ، كما قلت " .

٢ – وقال فى رسالته الأولى إلى سوكتس الأسقف : " إن الطبيعتين اتحدتا ، ومن بعد الاتحاد لا نُفرِّق الطبائع عن بعضها ، ولا نقسم الواحد الغير منقسم ونجعله إبنين ،

بل نعتقد أنه ابن واحد ، مثلما قال آباؤنا : **إن الكلمة المتجسد طبيعة واحدة** " .

٣ – وقال في رسالته إلى القس أولوجيوس القسطنطيني:

" أما أتباع نسطور فلا يعتقدون بالاتحاد ، كما نعتقد به نحن ، لأننا نقرن الطبيعتين بالاتحاد ، ونعترف بمسيح واحد ، وابن واحد ، ورب واحد . ولذلك نقول : **طبيعة واحدة لابن الله المتجسد** ... فإذ قد ثبت الاتحاد فلا تفترق الأشياء المتحدة عن بعضها ، بل يكون المسيح واحداً وطبيعة واحدة ، بما إنها طبيعة الكلمة المتجسد .

٤ – وقال في رسالته إلى باليرناوس الأسقف: فإن قالوا: " إن الله والإنسان اتحدا معا . وكون مسيح واحد . وحفظ كيان كليهما بغير اختلاط إلا أن يكون انقسامهما عقليا ، أجبتهم : إنهم لا يتكلمون في هذا الأمر حقاً وصدقاً ، لأن الله والإنسان لم يجتمعا ويكونا مسيحاً واحداً كما يقولون ، بل كما قلت الآن :" إن الله اشترك نظيرنا في اللحم والدم، من حيث أن الله صار إنسانا ، وأخذ جسدنا وخصّه لذاته،

كما أن كل إنسان منا مؤلف من نفس وجسد ، وهو واحد.
هكذا نعترف بأنه ابن واحد ، ورب واحد " .

٥ – وقال فى الفصل الثالث من فصوله الأثنى عشر :

" من فرق المسيح إلى أقنومين بعد الاتحاد ويقول إن اتصالهما عن طريق الكرامة والسلطة والقوة فقط . وليس ذلك باجتماع الاتحاد الطبيعى ، فليكن محروما " .

٦ – وقال فى الفصل الرابع : " من فرق الأقوال المثبتة فى الكتب ، إلى شخصين أو أقنومين ، وكذلك الأقوال التى قيلت فى المسيح، أو التى قالها هو عن نفسه ، فينسب بعضها إلى إنسان معلوم على حدة ، خارجاً عن كلمة الله، وبعضها ينسبها إلى الإله المولود من الآب ، فليكن محروما " .

٧ – وقال فى كلامه إلى متوحدى مصر عن اسم المسيح:
إن كلمه الله لم يُعطَ اسم المسيح قبل أن يتجسَّد ، بل أعطى حين صار إنسانا مثلنا . لأنه حينئذ مسح بحسب اتحاده . فلذلك لم يكن اسم المسيح "الكلمة" الله قبل أن يولد ولادة بشرية ، فإن دُعَى فى بعض الأماكن مسيحاً على

الإطلاق ، فلا تفهمه إلا مُتجسداً ؛ وإن سمعته يُدعَى كلمة (Logos) بعد كمال التجسد ، فإيـاك أن تتسـى الجسـد المتحد به [1] " .

+ + +

القسم الثانى

اعترافات الآباء اللاحقين للبابا ديوسقورس

لئن توسعت فى نقل شهادات الآباء السـابقين لعـهد أبينا ديوسقورس، فما ذلـك إلا لأنـى أردت أن أعطـى القارئ فكرة على أن البطل ديوسقورس لم يتحـوّل فـى إيمانه. عمن سلفه من باباوات الكرازة المرقسية. وأن مـا ناله وما لحق بشعبه من آلام وتعذيب واضطهاد هو جـزاء محافظتهم على سلامه إيمانهم الذى تسلموه من آبائهم .

أما فى هذا القسم فإنى لا أستطيع مهما اختصـرت أن أدون جميع ما كتبه علماء كنيستنا القديسين وبطاركتـها القديسين ولطالب التوسع أن يطلـب ذلـك فـى كتـاب: "**اعترافات الآباء**" ، فيجد أقوالهم فى رسـائلهم المتداولـة

---

(١) كتاب حُسن الاعتقاد فى سر الاتحاد ، السابق ذكره .

بينهم وبين بطاركة الكنيسة الإنطاكية . وهـذا الكتـاب لا يزال مخطوطا نأمل أن يقرب الوقت الذى يطيع فيه هـذا الكتاب وأمثاله من مخلفات آبائنا الثمينة [1] .

وإنى اقتصر على الأقرب عهدا من معلمينـا الذيـن شرحوا ذلك السر العجيب شـرحا قريبـا إلـى أفـهامنا وبالأكثر ، لأنه يدل على دوام تمسـك كنيسـتنا بصـدق إيمانها، وصحة معتقدها إلى اليوم .

قال العلامة الفيلسوف القس بطرس السدمنتى فـى المقالة الثانية من كتابه "البرهان":

١ – إن الإله نزل من السماء من غير انتقال ولا تغيـير . وتجسد من مريم بجسد كامل ذى نفـس عاقلـة ناطقـة . فصار بالاتحاد واحدا ، وطبيعة واحدة ، خاصية ومعنـى . وقولى خاصية أى انه أختص بها ، دون غيره ... ولـهذا سمى الوحيد الجنس، وأشتق له من الاتحاد اسم "**المسـيح**" ... انه ماسُمّى مسيحاً إلا باتحاد اللاهوت بالناسوت ، وإذا كان الاتحاد قد جعلهما طبيعة واحدة ، فلا يجوز فى العقل ولا فى الشرع أن يُقال فيها طبيعتين بل طبيعة واحدة " .

---

(١) قام دير المحرق بطبعه هذا العام (٢٠٠٣) .

٢ – **وقال فى نفس المقالة** : " هل حصل مابين اللاهوت والناسوت اتحاد أم لا ؟ فإن أنكر يكفُر بإجماع الفرق الثلاث [١] . وإن قال : "بل صار الاتحاد" ، قلنا :" وما هو الذى اتحد عندك ، إذا كانت الطبائع إثنتين والجواهر اثنين والأفعال اثنين والمشيئات اثنين ، فما نرى الاتحاد قد عمل شيئا . فسواء اتحدا أو لم يتحدا ، هما كانا اثنين وقد بقيا اثنين " .

٣ – **وقال فى كتابه " التصحيح "** :

" واعلم أن ظاهر مقالة القائلين بالمشيئتين بعد الاتحاد ، يظهر منها بأنهم لا يقرون بالاتحاد فى شىء أصلاً. وذلك لأنهم يقولون بمشيئتين وفعلين ، وأقنوم لا متقوم من أقنومين بل أقنوم اللاهوت ، خاصة على رأى بعضهم . وعلى ذلك فلم يقولوا بالاتحاد أصلا . وأعجب من هذا قولهم بطبيعتين بعد الاتحاد . **فيقرون بالاتحاد لفظا وينكرونه معنى** ".

---

(١) يقصد الأرثوذكسية والنسطورية والملكية . أى أتباع مرقيان الملك (الخلقيدونيين) .

" ثم نقول : إن اعتبار لاهوت المسيح مع ناســوته ، إما أن يكون قد حصل لهما نوع من أنواع الاتحاد ، أو لـم يحصل البتة .فإن كان الأول ففى أى الأقسام وقــع ؟ وإن كان الثاني فلم يكن المسيح إلها ، لأنـــه لـم يكـن بيـن اللاهوت والناسوت صلة، فلا يجوز أن يكــون المســيح أيضا إلها. والعياذ بالله من ذلك " .

٤ – **وقال أيضا** : ثم إنهم يقولون :" **إن المسيح واحـد** ". فمعنى الوحدانية فيه :" إما أن تكون معتبرة فى الذوات أو فى الصفات، وهم لا يقولون بالأول لقولهم بطبيعتيـن. وإن قالوا به لزم القول بالثانى. وان كان الثانى، فهم ليسوا بــه قائلين. وينتج من هذا ان المسيح عندهم ليس واحدا أصلا. والرسول قد دعاه واحدا [١] والاعتقاد بوحدانيــة المســيح أصل كبير ، وقد نصت عليه الشــريعة ، ووافــق عليــه العلماء " .

وجه آخر : اعتبار مشيئة اللاهــوت مــع مشــيئة الناسوت : إما أن يكونا قد توافقتا مـــن كـل وجــه ، أو تخالفتا من كل وجه . أو توافقتا من وجه وتخالفتـــا مـــن

---

(١)١ كو ٨ : ٦ .

غيره . فإن كان الأول حصل المطلوب . فإن الموافقة من كل وجه تستلزم الاتحاد ، ولابد من كل وجه. وإن كـــان الثاني كان رديئا في حق المسيح ، إذ يكون ناسوته مخالفـا للاهوته من كل وجه . والرسول بولس قد قـــال : " إنـــه أطاع حتى الموت[1] والإنجيل يذكر عنه أنه لم يوجد فـــي فيه (فمه) خطية [2] " بــل ولا العيــب ، كقــول إشــعياء الخ[3] وإن كان الثالث ، ارتفع الاتحاد في بعض الجـــهات لوجود المضادة في بعض الاعتبارات ، وذلــــك مخــالف لإجماع المسيحيين . ولو صح ذلك لسقط أيضـــا تفضيــل المسيح على سائر الناس . فبقى أن تكون الموافقة حاصلــة في كل الأوقات، ومن كل الجهات ، لوجوب بقاء الاتحــاد، وهو المطلوب [4] .

+ + +

---

(١) يو ٨ : ٤٦ .
(٢) فيلبى ٢: ٨ .
(٣) إش ٥٣ :٩ و كو ٥ : ٢١ و ١ بط ٢ : ٢٢ .
(٤) صفحة ٢٥ من الطبعة القديمـــة.وص ١٢٨ – ١٣١ مــن الطبعـــة الحديثة التى أطلقوا عليها إسم " القول الصحيح فى آلام السيد المســـيح " (وراجع طبعتنا لهذا الكتاب ، نشر مكتبة المحبة) .

الفصل الرابع

اعتراف الكنيسة الرومانية بصحة معتقدنا

ليس شيء أدعى إلى العجب ، وأبعث للدهشة من أن نرى الكنيسة الرومانية تطعن عقيدتنا المستقيمة ، وفى الوقت نفسه تعترف هى نفسها بصحتها وسلامتها . وهذا من المتناقضات العسيرة الفهم على الذين لا يعرفون ميول رجال الكنيسة ، الذين لاهم لهم إلا الطعن فى أقوال غيرهم لينفردوا هم بتقرير العقائد ، كأن هذا وحيا قد خص بهم فقط !! .

ونحن لكى نحيط القارئ علما بصدق قولنا أنهم **فى الوقت الذى فيه يثلبون عقيدتنا ، نراهم يعترفون بصحتها ، نورد هنا ما يتسع له المقام من أقوالهم :**

أولا : قال الأسقف الرومانى فى مؤلفه " الإيمان الصحيح " عن الكنيسة الرومانية متبوعته : " فأنها تعتقد وتعلم بوجود طبيعتين فى المسيح !! ثم تطعن بالحرم فى من لا يعتقد بأن المسيح هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسد.

كما تدوّن ذلك فى المجمع اللاتراني المنعقد بأمر القديس البابا مرتينوس سنة ستمائة وتسع وأربعين ، فى القانون الخامس بهذه الألفاظ : " من لا يعتقد بموجب رأى الآباء القديسين انه توجد **طبيعة للإله الكلمة فى المسيح خاصةً وحقاً** ، دلالة على أن المسيح أخذ جوّهرنا كله كاملاً ماعدا الخطية، فليكن محروماً "[1].

ثانيا – قال هذا الأسقف ما يؤيد قولنا بالمشيئة الواحدة :

" ونحن نعلم أن كثيرين باقتناعهم من شهادات الإنجيل والآباء القديسين ، ومن القياس والبرهان يعتقدون حقا بمشيئين فى المسيح ، لكن بنوع أن إحداهما موافقة الأخرى ، **ولا يمكن القول إنهما إثنتان بل واحدة .** فبالحقيقة (أن) الكنيسة الرومانية أيضا تقر وتعتقد بأن هاتين المشيئتين متفقتان فى المسيح كأنهما واحدة فقط[2]".

ثالثا – وقال هذا الأسقف فى ذلك أيضا : لكن المشيئة الإنسانية لم تضَاد أو تخالف قط المشيئة الألهية القادرة

---

(١) ص ٩٢ و ٩٣ من طبعة بيروت سنة ١٨٦٤ .

(٢) ص٢٤ .

على كل شيء ، بل خضعت لها دائماً ، لأنه كان يجب ان تتحرك مشيئة الجسد ، لكن بنـــوع أن تخضـــع للمشــيئة الإلهية . كموجب رأى أثناسيوس الكلي الحكمة ، لأنه كما أن جسده يقال له جسد الإله الكلمة . وهو هكذا حقا كذلك. كذلك مشيئة جسده الطبيعية . يُقال لها مشيئة الإله الكلمــة. وهو هكذا حقاً [١] .

وأيّد هذا القول ليكوري في مؤلفه " تاريخ الأرتقات"[٢] فـي رده على بروريار اللاتيني القائل ، بانفراد أفعال الناسوت.

رابعا – وجاء في كتاب "مختصر المقـــالات اللاهوتيـــة " لبيروني اليسوعي ، ترجمة الخوري يوسف الدبـــس فـــي ملاحظته على قول الآبــــاء : "**طبيعـــة واحـــدة الكلمـــة المتجسد**" فإن أريد أنهم يُعلِّمونَ أن الطبيعـــــة المتجســدة صارت واحدة بعد الاتحاد، **فأنا أسلِّم بذلك** وإن أُريد أنـــهم يقولون ذلك في الطبيعة بالإطلاق، فأنا أُنكِر" (ج ٣ : ١٧١).

وقد جاء في هذا الكتاب أيضا ما يؤيد بالفعل الواحـد للمسيح بقوله : " فأسلَم إن المسيح أظهر فعلاً واحـداً – أو

---

(١) ص ١٣٤ .

(٢) راس ١٢ ج ٥ ف ٣ ص ٣٧٣ .

بالحرى – فعلا جسدياً تياندريكياً (مُركبّاً) بسبب الاتحـــاد العجيب بين الطبيعتين واجتماعهما على الفعـل الواحـد " (ص ١٨٣) .

+ + +

تعقيب على الفصل السابق

أن جملة " **طبيعة واحـــدة متجســدة** " قـد أخذهــا الرومانيون عن القديسين العظيمين اثناســيوس وكــيرلس مُحّرفةً ، وعلى غير وضعها الأصلي ، وصحتــها هكـذا: " **طبيعة واحدة للكلمة المتجسد** " ولكن الرومــانيين قـد حرفُوها . ثم حاولوا أن يتخذوها حجة يؤيدون بها قولـــهم بالطبيعتين بعد الاتحاد . وعلى هذا الأساس قال الأســقف الروماني بعد أن أورد قول القديس كيرلس محرفاً هكـذا : " نقول بطبيعة واحدة متجسدة " (وصحتها " **طبيعة واحـــدة للكلمة المتجسد**") وبعد أن أورَد قول القديس اثناســـيوس مُحرَّفاً أيضا هكذا : " وليس نعرفــه طبيعتيــن إحداهمــا مسجود لها والأخرى غير مسجود لها ، لكن طبيعة واحدة

متجسدة للإله الكلمة ، وصحتها " ليس بأن الأبن هو طبيعتان إحداهما مسجود لها والأخرى غير مسجود لها ، **بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد** " .

وبناء على نقله هاتين الشهادتين مُحّرفتين . قد ذهب ليحاول إثبات دعوى كنيسته بالقول بالطبيعتين (ف ٨ : ٨٠ – ٩٣) ومع **إنه يعترف بالاتحاد لفظاً ويُنكره معنىً. فقد فنّد الايغومانُس فيلوثاؤس الطنطاوى استناد هذا الأسقف على ما نقله محرفا بقوله** : " ... ولو صح أن غرض القديس (اثناسيوس) هو أن سيدنا ابن واحد لكنه طبيعتان ، لكان بالضرورة قال ليس بإن هذا الابن الواحد طبيعتان واحدة نسجد لها والأخرى لا نسجد لها ، بل **طبيعتان نسجد لهما على السواء**". ثم أيّد قوله بما قاله البابا أثناسيوس نفسه فى رسالته إلى يوبيان الملك : " إنه يجب أن نعتقد بطبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس . ومن لا يقول غير ذلك يخاصم الله ويحارب الآباء القديسين " (نفح العبير ٢٠٩ – ٢١٤) .

وقال العلاَّمة الجليل صاحب مجلة صهيون (الأنبا اسيذورس) عن الفرق بين " إن الكلمة المتجسد طبيعة واحدة " وبين " إن طبيعة واحدة للكلمة متجسدة " أن الصيغة الأولى هي الصحيحة الأرثوذكسية التى نطق بها الآباء المستقيمو الرأى، قبل المجمع الخلقدونى بزمن طويل ، باعتراف أنصار هذا المجمع ، واعتراف كتبهم . والذى نعلمه أن أول من نطق بها هو القديس اثناسيوس (وبعد أن أورد شهادة هذا البابا السالفة) قال :

"إن ظروف النطق بهذه العبارة وظروف احتجاج الآباء بها ضد معتقد نسطور مثل كيرلس وديوسقورس وغيرهما تؤيد أن هذه الصيغة هى الصحيحة، وأن الصيغة الثانية (وهى طبيعة واحدة للكلمة متجسدة) حصل فيها تلاعب، وامتدت إليها أيدى العبث والتلف. وذلك إن الذين احتجوا بها أرادوا أن بها بدعة كان موضوعها أن الله أكثر من طبيعة، وان كل طبائع الله تجسدت أو متجسدة. فلو كانت حدثت بدعة وعلّمت هذا التعليم الكاذب لكانت الصيغة الثانية وجيهه وفى محلها. لأنها كانت تُسّفه رأى الذين كانوا يقولون بكثرة وتعدد طبع الإله، وبتجسد كل ذلك مثلاً" (المطالب النظرية ص ٢٤٦)

تنبيه : عندما نقلّت من كتاب مجمع خلقدونية (ص ١١٧) عبارة البابا ديوسقورس حينما قال " إن فلابيانوس عُزِل لأنه قال بطبيعتيين من بعد الاتحاد " بل طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة " **فإننى يجب إن أُلفِتَ القارئ إلى أن هذه العبارة مُحرّفة. وصحتها هكذا : "لكن طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد."** وقد كتبها بهذه الصيغة حضرة علاّمتنا الجليل صاحب الخريدة النفيسة فى ج ١ : ٢٩٢ طبعة أولى وفى ج ١ : ٥٢١ طبعة ثالثة ، وفى تاريخ البطاركة ج ١ : ١٤٦ .

+ + +

الفصل الخامس

شهادة التاريخ

يحسن بى أن أختم كتابى هذا بما خطّه قلم العلامة المتنيح الأيغومانس فيلوثاؤس الطنطاوى رئيس الكاتدرائية المرقسية سابقاً . وفى ما كتبه هذا المؤرخ المحقق واللاهوتى الخطير ما يُعتبَر القول الفصل فى هذا البحث الخطير الدال على أن بدعة القول بالطبيعتين لم تكن معروفة قبل المجمع الخلقدونى. والى القارئ ما قال :

"إنه لكى يتضح لك بأوفر جلاء أن عقيدة الطبيعتين لم تكن هى عقيدة الكنيسة الجامعة الرسولية فى الأجيال الأولى. ولإيضاح ذلك أذكر الآن بعض ما حدث قبل انعقاد المجمع الخلقدونى، وبعد انعقاده، مما يتعلق بهذا الغرض".

" فقد حدث قبل المجمع المذكور أن فلابيانوس الذى كان بطريرك القسطنطينية قد كان – فى مجمعه المحلى الذى عقده ضد أوطاخى المرذول – قد أعلن فى صورة اعتقاده بذكر الطبيعتين ، ولم يقف عند الحد الذى سلمه الآباء للكنيسة لاسيما أثناسيوس وكيرلس العظيمين المناديين بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ضد نسطور وأشياعه . وإذ كان هذا الاعتقاد منافرا للكنائس الشرقية الأرثونكسية ، أضاف على رسالته المحررة منه إلى ثاؤذوسيوس الملك . الواردة فى تاريخ المجمع الخلقدونى تأليف الرومانيين (بالباب الثامن) ذكر الطبيعة الواحدة . وذلك أنه بعد ما ذكر اعترافه بالطبيعتين فى المسيح الواحد يقول هكذا : "ولم ننف القول القائل أن فى كلمة الله طبيعة واحدة إذ أضاف إلى قوله أن الطبيعة المذكورة هى متجسدة ومتأنسة ، بسبب أن من الطبيعتيين حصل لنا يسوع المسيح رب واحد .

وقد ذكر مؤلف " تاريخ الهرطقات" انه بعد ما أنهى فلابيانوس مجمعه الخصوصي استؤنف انعقاده ثانية بالقسطنطينية وهاك ما أورده نصا في فصل ١ جزء ٤ رأس ٥ بالعدد ٥٠ :

" وبالحقيقة أنه في اليوم الثامن من نيسان سنة ٤٤٩ قد عقد بأمر الملك مجمع آخر في القسطنطينية حيث اضطر القديس فلابيانوس أن يقدم صورة اعترافه بالأيمان التي أوضح القديس بها أنه يعتقد أن في المسيح طبيعتين بعد التجسد في أقنوم واحد ، وإنه لا يرفض القول بطبيعة واحدة للكلمة ، بشرط أن يزاد : المتجسد والمتأنس " .

فمما ذكر يتضح لك جليا أن القول بطبيعة واحدة هي العقيدة التي كانت منتشرة ومسلم بها من الجمهور . ولولا ذلك لما كان فلابيانوس يتدارك المحافظة عليها ، أي وحدة الطبيعة للمسيح حال إشهاره اعتقاده بالطبيعتين .

على أن القول بطبيعة واحدة لا يتناول لمجرد لاهوت الكلمة فقط ، بل هو عن السيد المسيح ، الذي هو الكلمة المتجسد المتأنس .

" وبالتالي القول أن في المسيح طبيعة واحدة ليس أوطاخياً . ولا بدعة بوجه من الوجوه ، بل أرثونكسياً .

وإلا لكان فلابيانوس ذاته - خصم أوطيخا - أوطاخيـــاً :
وبما أن الكنيسة الرومانية التى تعتبر فلابيـــانوس محقـــا
شهدت عقائدها القانونية إستناداً لأراء الآبـــاء القديســـين -
كما رأيت ذلك فيما سبق - أن للمسيح خاصة وحقا طبيعة
واحدة . وقد رأيت صراحة اعترافات الآباء عن ذلـــك .
فإذن اعترافنا بطبيعة واحدة للكلمة " أرثوذكسى " بموجـب
شهادة الخصوم وفى هذا الكفاية" .

"أما ما سأذكره من الحوادث المهمة بعد انتشار قـول
المجمع الخلقدونى بالطبيعتين مما يناسب الموضوع ويبيـن
للمطلع أن عقيدة المجمع المذكور طارئة فـــى الكنيســـة .
وقد قاومها آباء بطاركة وملـــوك لمـــا نشـــأ عنـــها مـــن
الاضطرابات والأضرار الروحية والمادية ، هو بعض مـــا
ذكره مؤرخو الكنيسة اللاتينية . واكتفـــى بـــإيراد حادثـــة
ذكرها صاحب كتاب " تاريخ الهرطقات " .

إنه بعد ما أورد فى الفصل الثانى من الجزء الرابـــع
من الرأس الخامس بالعدد ٧٩ : إن زينون الملـــك بنـــاء
على سعى اكاشيوس بطريرك القسطنطينية وإقناعه إيــــاه
من جهه بطرس مونغوس بطريرك إسكندرية ، الذى كـــان
نفاه سابقاً بكونه محبوباً عند شعب الإسكندرية ، بخـــلاف

يوحنا طلايا (الملكى) قد أعاد بطرس المشار إليـــه إلـى كرسيه ونفي يوحنا المذكور . وقال في بدء الفصل الثـالث منه بالعدد ٨٠ :

" إن أكاشيوس محامي بطرس قد جعل الملك يـــبرز أمره الشهير المدعو باليونانية " اينوتيكون " أى مرســـوم الاتحاد ، الذى كان بطرس بطريرك الإسكندرية ملتزمـــا بحسب الموافقة أن يمضيه لدى رجوعـــه إلـى الكرسـى الإسكندرى . فهذا الأمـــر قـــد أرســل لا إلـى أســاقفة الإسكندرية وشعبها فقط بل إلى مصر وليبيـــا وبنتـــابولى Pentapolis (الخمس المدن الغربية) كلـــها أيضـــا . أمـــا خلاصة هذا المرسوم فهى :

"أن رؤساء الأديرة وغيرهم من الأشخاص المعتبرين قد سألونا بشأن اتحاد الكنائس إزالـــة لغوائـل الإنقســام المحزنة التى من جراها عدم كثيرون سر العماد وتنـــاول القربان المقدس. وفضلا عن ذلك نشـــأت خصومـــات لا تعداد لها، ولهذا نعلن للجميع أننا لا نقبل قانونا إلا القـانون الذى فرضه آباء نيقية الثلثمائة وثمانية عشر، وأثبته آبـــاء المجمع القسطنطينى المائة والخمسون، وتبعه آباء مجمـــع أفسس، الذين حرموا نسطور وأوطاخي، ونقبـــل الأثنـــى

عشر جزءا التى ألفها القديس كيرلس. ونعترف بأن سيدنا يسوع المسيح الذى هو إله وابن الله الوحيد الذى تجسد حقيقة. هو مساو بالجوهر لأبيه باللاهوت ولنا بالناسوت، وذاك الذى نزل وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء أم الله. وهو ابن واحد لا إثنان ".

فلذا نقول إنه ابن الله ذاته، الذى صنع العجائب وقام بجسده من الموت طوعا . ولا نقبل من يقسمون أو يمزجون الطبيعتين ، ومن يزعمون أن المسيح أخذ جسدا خياليا . لكننا نحرم كل من يؤمن أو آمن فى أحد الأوقات بخلاف ذلك فى خلقدونية ، أو فى أى مجمع كان . لاسيما نسطور وأوطاخى ، وأتباع بدعتهما . "

" فارجعوا إذن إلى الاتحاد مع الكنيسة أمنا الروحية، لأنها تعتقد كاعتقادنا " .

هذا ما أردت إيراده. ومنه استوعبت فهما. وأدركت جيداً كيف كانت حالة اعتبار حكم المجمع الخلقدونى وتعليمه لدى الكنائس الشرقية، لا الإسكندرية والإنطاكية فقط بل والقسطنطينية أيضاً، ولدى البلاط القيصرى معاً، الذين بنص هذا المرسوم العقائدى العام أشهروا اعتبار وبراءة قانون الثلاثة مجامع الكبار الأوائل والاثنى عشر فصلاً

الكيروليسية الموجهة ضــد الشــيعة النســطورية فقــط.
وأسقطوا كل ما خالف ذلك فى خلقدونية أو غيرها .

وإنى لأدع ذكر مــاحدث غــير ذلــك مــن جهــه المعارضات البطريركية والملوكية الموجهه ضد القــائلين بالمشيئتين والفعليــن فــى المســيح ، لا مــن بطاركــة الأسكندرية وإنطاكية فقط ، بل ومن القسطنطينية أيضــا . الأمر الذى اشترك فيه أنوريوس بابا روما نفسه، وصّــادّق على قول القائلين بمشيئة واحدة للسيد المســـيح . منكــرا على كل من يقول بفعلين ومشيئتين . وما صدر من بعض الملوك المؤمنين عن ذلك أيضا ، اكتفــاء بمــا أوردت . ومن آثر التوسع فى معرفة الوقائع ، فعليه الرجوع إلـــى مُطوَّل التواريخ ليطلع على الواقع .

+ وإنى أرجو سيد المرّاحِم، ابن الله الوحيد الجنــس، ولــى الجود والنعم. صانع العجائب والعظائم. أن يلـــهم جميعنــا الرشاد، ويوفقنا إلى سبل الســداد. ويثبتنــا علــى "حُســن الاعتقاد، فى سر الاتحاد" (١) . الآن والى أبد الآباد آمين .

---

(١) "حُسن الاعتقاد فى سر الأتحاد " هو مؤلف مخطوط للعلامة الجليــل الإيغومانس فيلوثاؤس الطنطاوى ، وقد استشهدت به كثيرا فى ما سبق . كما أنى نقلت منه الفصل الختامى الذى توجت به كتابى هذا . وجعلتـــه حُسن الختام .

خاتمة :

إلى هنا قد انتهيت من وضع هذا البحث التـــــاريخى عن بطلنا العظيم البابا ديوسقورس ، الذى قد أعطانا أكبر درس فى كيفية الثبات على صدق الإيمان الى آخر نســمة من حياتنا . وبذلك نكـــون حقـــاً أولاد أبطـــال كنيســتنا وجنودها البواسل، الذين دافعوا عن إيمانها القويم . اللـــهُمَّ أهلّنا أن نسير على منوالهم ، ونسلك فى نفـــس ســبيلهم، لنَحّظَى بالملكوت معهم ، آمين .

+ + +

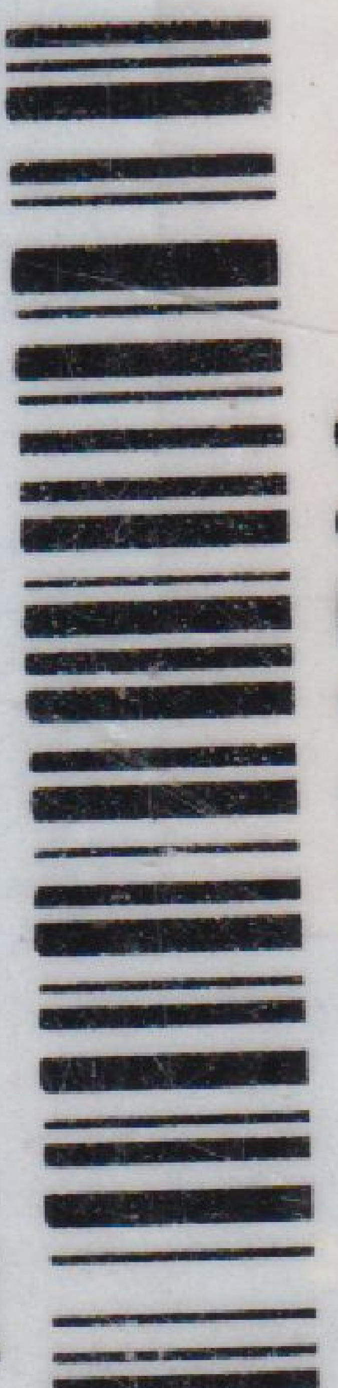
تم بحمد الله

هذا الكتاب

+ دراسة تاريخية علمية وثائقية، لسيرة حياة وأعمال البابا (ديوسقورس السكندرى)، وماحدث فى عهده من إثارة موضوعات عقائدية ومناقشات لاهوتية، والمجامع التى شارك فيها، وماتعرَّض له قداسته من تجارب صعبة بسبب إيمانه، ودفاعه الأرثوذكسى المنطقى.

+ وهو كتاب هام لطلبة قسم اللاهوت، وللدارسين للتاريخ العام، ولطلبة الكليات الإكليريكية، وللباحثين فى تاريخ الكنيسة المصرية، وللخُدَّام والشمامسة ولكل عُشَّاق التاريخ المقدس من الشعب فى مصر وبلاد المهجر، وقد قُدِّم بطريقة مبسطة، تصلح لجميع الأعمار والمستويات، مع تعليقات إضافية، ومصادر هامة للرجوع اليها فى هذا المجال.

وهو استكمال للمصادر التاريخية، التى أصدرتها مكتبة المحبة، عن الكنيسة المصرية من كنوز التراث القبطى التاريخى واللاهوتى.



٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر
تليفون وفاكس: ٥٧٧٧٤٤٨ - ٥٧٥٩٢٤٤ ت: ٦٢...
E-mail: Mahabba5@hotmail.com

٥/٢٢٠